الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
-قسنطينة-

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم: التاريخ
شعبة: التاريخ العثماني

موقع المخزنية في النظام العثماني في الجزائر

بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث

إعداد الطالبة:
حليمة أمقران

إشراف الأستاذ الدكتور:
عميراوي احميدة

أعضاء لجنة المناقشة	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية
الرئيس:	أ.د. صاري أحمد	أ. التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر
المقرر والمشرف:	أ.د.عميراوي احميدة	أ. التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر
العضو:	د. قشي فاطمة الزهراء	أ. محاضرة	جامعة الأمير عبد القادر
العضو:	د. علاوة عمارة	أ. محاضر	جامعة الأمير عبد القادر
العضو:	د. هلايلي ضفي	أ. محاضر	جامعة بلعباس

المناقشة يوم: .....

السنة الجامعية: (1425-1426هـ/2004-2005م)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾

[النحل: 125]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وتقدير

لخروج هذا العمل إلى النور أسهمت أطراف عديدة في ميلاده. فمن الأمانة أن أعترف للجميع بجميلهم.

شكري وامتناني الكبيرين لله ﷻ الذي وفقني وسدد خطاي ويسر لي كل صعب، فله أبلغ الحمد وأزكاه وأشمله، فاطر القلوب على حب الخير والسلام.

أتقدم بخالص الشكر وفائق الاحترام إلى الأستاذ المشرف أ.د.عميراوي احميدة، الذي شجعني ودعمني في أصعب فترات البحث، فكان لي خير عون في إنجازه بإرشاداته وتوجيهاته القيمة، خاصة وقد جمع بين الصرامة والأبوة.

كما أشكر الأستاذ خليفة حماش الذي قدم لي خدمات جليلة أثرت موضوع بحثي وذلك بتزويده لي بالمصادر النادرة، هذا فضلا عن نصائحه القيمة التي كان يسديها لي، هذا دون أن أنسى وقوف الأستاذة فريدة قاسي إلى جانبي طيلة فترة البحث.

كما أتقدم بخالص الشكر والامتنان إلى الأخت الغالية والصديقة المميزة الأستاذة ليندة خراب التي عكفت على مراجعة هذه المذكرة لغويا، برغم التزاماتها الكثيرة، فلها مني جل الامتنان.

كما لا يفوتني أن أقدم كبير امتناني لعمي عثمان الذي كان دائما إلى جانبي بتشجيعاته ودعائه وإلى كل أفراد أسرته وخاصة عمتي خديجة وآسيا وسمية وسيرين، وأيضا عمي حواس وأفراد أسرته وأخص بالذكر خالتي ليلى ورجاء وسلاف. إلى هاتين العائلتين اللتين احتضنتاني برعاية واهتمام كبيرين طوال مرحلتي الجامعية، خالص شكري وامتناني.

هذا دون أن أنسى كل من ساعدني من قريب أو بعيد من عاملين بالمكتبات العامة أو الجامعية. بدء بـــ: عمال المكتبة الوطنية بالعاصمة، مكتبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسم الدوريات وأخص بالذكر الأخوات: صباح، نرجس، حواء، منيرة ونضيرة، وأيضا القائمين على مكتبة البلدية والأرشيف الولائي بقسنطينة.

كما أوجه شكري العميق إلى أعضاء اللجنة الموقرة لتحملهم عناء قراءة هذا العمل المتواضع.

وفي الأخير أقدم شكري الجزيل إلى كل أفراد أسرتي على تحملهم مني ومعي الكثير من المتاعب، طوال فترة إنجاز البحث، هذا دون أن أنسى الأخت شبيلة التي كان لها الفضل في طباعة هذا العمل على أكمل وجه.

كانت هذه عينة من جملة الذين وقفوا إلى جانبي، ولأنه ليس بوسعي تسمية جميع من شجعني ولو بكلمة طيبة، فلهم مني أسمى الشكر وأعمق الامتنان.

الإهداء

إلى من قال فيهما الرحمن: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾،

إلى أبي ومثلي الأعلى وأستاذي ومعلمي الذي علمني أن العلم والأخلاق هما سر النجاح في الحياة.

إلى أمي التي كانت ومازالت دائما إلى جانبي بحنانها ودعائها.

إلى أخواتي الحبيبات: لطيفة، سارة، هدى، هاجر.

إلى صديقتي عمري وعائلتيهما: هدى نبه وعردة بهلولي.

إلى صديقات الطفولة: زوليخة، رباب، علية، رجاء، أمال، صبرينة.

إلى كل من ضحى بأغلى غواليه من أجل إعلاء كلمة الحق، إلى المجاهدين في سبيل الله في كل مكان.

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة هذا العمل

حليمة أمقران

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله وكفى والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى.

1-التعريف بالموضوع

لقد كان للقبيلة -التي تبتدئ في قاعدتها من الخلية الأولى التي هي الأسرة ثم ترتفع إلى مستوى العشيرة المشتملة على عدد من الأسر التي تنتمي إلى جد واحد وترتبط برابطة القرابة الوشيجة، ثم ترتقي إلى مرتبة العمارة أو البطن، الذي يجمع عشائره شتى جوامع الصهر والجوار والقرابة والمنفعة المشتركة، وتنتهي في القمة بالقبيلة التي تحتوي في الغالب على عدد من البطون، تؤلف بينها وحدة الدم والنسب-[1] دورا بارزا فوق مسرح السياسة والحكم في مختلف مراحل تاريخ المغرب الطويل، فهي تعد وجها من أوجه حياته ومظهرا من مظاهر عيشه، إذ كانت وراء قيام الدول وسقوطها، ونشوب الحروب وخمودها، وثبوت السلطة وتزعزعها، ورخاء المعيشة وشدتها، وازدهار الاقتصاد وتدهور الصنائع، واستتباب الأمن وشمول الخوف، وتدخل الأجانب واحتلال الأرض، وذلك كله بفضل إخلاص كل فرد من أفرادها، حيث يجود بنفسه لنصرتها متحاشيا معرة خذلانها، هذا الأخير الذي كان في بعض الظروف ينتصل عن قبيلته الأصلية التي تربطه بها الرابطة الدموية من أجل الانضمام إلى قبائل اصطناعية -إن صح التعبير- ابتدعتها السلطة لتدعيم حكمها، وهذا ما تجسد بخاصة بالجزائر خلال العهد العثماني، أين قام الأتراك العثمانيون بخلق تجمعات سكانية، تتكون غالبا من عائلات غير متقاربة، تقوم بتجميعها وإسكانها في مساحات محددة من الأراضي غير التابعة لها، لتشكل ما عرف في النظام العثماني بالقبائل المخزنية، التي كانت بمثابة مؤسسة قبلية حليفة للسلطة بالريف الجزائري -خاصة- كقوة مأخوذة من أبناء البلاد لإدارة شؤون البلاد بجمع الضرائب وبمناصرة النظام في حروبه الداخلية والخارجية على السواء، وبذلك شكلت هذه المؤسسة العسكرية سندا قويا للنظام العثماني، وذلك لاتساع رقعة الإيالة وقلة عدد جنود الإنكشارية، ويكفي أنه وفرت الأمن والاستقرار أكثر مما يوفره الجيش النظامي.

وهذا ما حذاني إلى البحث في أغوار المؤسسة المخزنية من خلال هذه الدراسة الموسومة

1- بن منصور (عبد الوهاب)، *قبائل المغرب*، ج.1، د.ط، المكتبة الملكية، الرباط، 1388هـ/1968م، ص.3-4.

ب: ***موقع المخزنية في النظام العثماني بالجزائر.***

ومما يجدر ذكره هو أن عدم تحديدنا للموضوع من خلال الزمان والمكان، يرجع إلى سببين رئيسين هما:

-فيما يتعلق بالمكان، أو بمعنى أصح حصر الدراسة في بايلك واحد، غير ممكن وذلك لعدم توفر مادة كافية في المصادر المتعلقة بالموضوع باللغتين العربية والفرنسية، في حين أن الجمع بين البايلكات الثلاثة في الدراسة يسهل علينا تحصيل المادة العلمية بشكل أوفر وفق التسلسل الزمني للأحداث.

-أما عن تحديد الفترة الزمنية وجعل الدراسة تمتد على طول الفترة العثمانية بالجزائر، فذلك يعود أيضا إلى ندرة المادة في فترة معينة، أضف إلى كون تنظيم هذه المؤسسة قد مر بمراحل ثلاث، مما يقتضي تغطيتها كلها، وأي تحديد في الفترة يحدث خللا في الدراسة.

2-دوافع وأهداف البحث

تعددت أهداف ودوافع هذه الدراسة المتواضعة، والتي نتوخى من خلالها فوائد شخصية وعلمية.

-فأما الشخصية فتتعلق بتكويننا الشخصي عن طريق التعمق في التحصيل العلمي للمعالجة التاريخية بالمناهج الحديثة المتنوعة، مع إتباع ضوابط منهجية تعمل على صقل تجربتنا العلمية صقلا موضوعيا، وبذلك نكون قد أكملنا مرحلة التدرج عن طريق التطبيق الفعلي للنظريات المنهجية.

-أما الأهداف العلمية فنجملها فيما يأتي:

1-رغبتي كدارسة للتاريخ وباحثة فيه، المشاركة في مجال الكتابة العلمية وبالضبط فيما يتعلق بالعهد العثماني.

2-اهتمامي بالدراسات التاريخية المتعلقة بالجانب غير السياسي للجزائر خلال الفترة العثمانية، فكان أن وقع اختياري على موضوع المخزنية ودورها الفعال بالإيالة، وزاد اقتناعي بأهمية البحث فيه بفضل توجيهات الأستاذ المشرف.

3-كون الدراسات التاريخية المتعلقة بأوضاع الريف الجزائري أثناء العهد العثماني يكتنفها الإهمال والغموض، وعلى اعتبار أن التعرف على حياة سكان الريف يعتبر بمثابة حجر الأساس الذي يبنى عليه البناء الاجتماعي للإيالة، فضلا على أن علاقة هؤلاء السكان بالسلطة العثمانية كانت تمثل القاعدة الأساسية التي يرتكز عليها التطور السياسي والوضع الاقتصادي للجزائر العثمانية.

4-إهمال التاريخ المحلي من طرف الباحثين، إذ لم يلق العناية اللائقة به، فأغلب ما كتب كان من قبيل الموضوعات العامة -باستثناء بعض الدراسات الأكاديمية-، بينما أهملت المسائل النوعية والقضايا الخاصة المتعلقة بحياة المجتمع والتي تشكل اللحمة التي يقوم عليها التاريخ المحلي.

5-إن الاهتمام بموضوع المخزنية، لم يكن يشغل مؤرخين -حسب علمي- باستثناء بعض الدراسات التي قام بها البعض في شكل مقالات أو إشارات في بحوث، لكنها ليست دراسات علمية معمقة، إذ أهملت الكثير من الجوانب التي سنحاول تدعيمها وإكمال نقائصها من خلال هذه الدراسة.

6-تناولي لموضوع المخزنية بإبراز دورها في تدعيم الحكم العثماني وطبع الريف بطابع خاص، هو سعيي الدائم للاقتراب من الحقيقة والوصول إليها إن أمكن فيما يخص العلاقة بين الريف الجزائري والسلطة العثمانية.

3-إشكالية البحث

لما كان موضوع الدراسة هو: "***موقع المخزنية في النظام العثماني بالجزائر***"، وكما سبق وأشرنا بأن التعرف على حياة سكان الريف يعتبر بمثابة الحجر الأساس الذي يبنى عليها البناء الاجتماعي للإيالة، كل هذا يجعلنا نطرح التساؤل الآتي: **ما هي مؤسسات نظام الحكم في**

الجزائري العثمانية؟ أو بمعنى أصح ما هي مؤسسات نظام الحكم في الريف الجزائري خلال العهد العثماني؟

لنصل على طرح الإشكالية المحورية للدراسة وهي: **ما هي حدود الحيز الذي شغلته المخزنية في النظام العثماني بالجزائر؟** وبمعنى آخر **ما موقعها على مسرح الأحداث بالإيالة؟ وما علاقتها بواقع الجزائر السياسي والاجتماعي؟ وهل يجوز لنا اعتبارها الأداة الفاعلة في استمرار نظام الحكم بالريف الجزائري؟** وتندرج تحت هذه الإشكالية التساؤلات الآتية: ماذا نقصد بالمخزنية؟ وهل هي وليدة العهد العثماني أم لها أصول تعود إلى العهود السابقة؟ وما هي أسس تعاملها مع السلطة؟ وإلى أي مدى يمكن اعتبارها أداة فاعلة في استمرار الحكم من خلال الأدوار التي أوكلت إليها في المجالين الإداري والعسكري؟

4-منهج البحث

لتحقيق أهداف الدراسة والوصول إلى أجوبة منطقية مقبولة للتساؤلات المطروحة، ونظرا لطبيعة الموضوع الذي يتتبع مراحل تشكل المخزنية كقوة مساندة للنظام، وكذا تنظيمها، ومحاولة معرفة دورها في الإيالة وعلاقتها بالواقع السياسي والاجتماعي للجزائر، ومدى تأثيرها على استمرار الحكم في الأرياف، فقد اتبعنا عدة مناهج:

-المنهج التاريخي الوصفي: واستخدمانه بغرض عرض الحقائق التاريخية، بهدف رصد وتحديد مضمون القضايا المتعلقة بها.

-المنهج التاريخي التحليلي: عند مناقشة الأحداث ومحاولة الخروج منها بتقييم منطقي وأحكام واستنتاجات موضوعية.

-بالإضافة إلى المنهج المقارن الذي استعن به في بعض المواضع من الدراسة للمقارنة بين مختلف الوقائع أو بين المخزنية على مستوى جميع البايلكات.

5-هيكل البحث:

لمعالجة الموضوع فضلنا تقسيمه إلى: مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة وملاحق.

-أما الفصل الأول فجعلناه حول نظام الحكم في الجزائر في العهد العثماني، ويعتبر هذا الفصل كأرضية للبحث، وذلك لارتباط المخزنية ارتباطا وثيقا بنظام الحكم في الجزائر العثمانية، وتعرضنا فيه لنظام الحكم في المدينة والريف على السواء، وذلك بأن تطرقنا إلى هيكل الحكم الذي كان يضم مجموع الموظفين السامين والتابعين على مستوى دار السلطان وعلى مستوى البايلكات -وذلك ما ينضوي تحت مبحث التقسيم الإداري- وعلى رأسهم الوالي أو الحاكم العام، إذ هم أصحاب كل الصلاحيات، وهم الطابع المميز لنظام الحكم.

هذا عن المدينة، أما عن الريف فقد أضفنا مبحثا حول نظام الحكم غير العثماني، وذلك لوجود سلطات أخرى -غير العثمانية- كانت صاحبة نفوذ.

وخصصنا الفصل الثاني من البحث للحديث عن المخزنية من حيث المفهوم في اللغة والاصطلاح، وكذا عن أصولها أو جذورها التاريخية، وسبب اعتمادها كقوة من طرف السلطة العثمانية، كما تناولنا فيه كذلك مجال نفوذها بأن تطرقنا لأهم المواقع التي تتمركز بها قبائل المخزن، لننتقل بعدها إلى إحصاء أهم القبائل المخزنية على مستوى كل بايلك، متعرضين قبل ذلك إلى لمحة عامة عن كل واحد منها، لنختم فصلنا هذا بذكر امتيازات هذه المؤسسة المادية والمعنوية.

وفي الفصل الثالث والأخير -والذي يعدّ صلب الموضوع- فقد تناولنا علاقة قبائل المخزن بالواقع الاجتماعي للريف الجزائري من أجل تحديد موقع هذه المؤسسة على مسرح الأحداث بالإيالة مبينين دورها على جميع المستويات، وذلك بأن قسمنا الفصل إلى ثلاث نقاط أساسية هي: المخزن والأرض، دور المخزن في جباية الضرائب، دورها (المخزنية) في إقرار الأمن بالإيالة.

وتعرضنا في النقطة الأولى إلى أهم أصناف الأرض بالجزائر خلال العهد العثماني لننتقل بعدها إلى دور فارس المخزن في خدمتها(الأرض)،أما النقطة الثانية، فتطرقنا فيها إلى أهم الضرائب بالجزائر خلال ذلك العهد لنصل إلى مشاركة فرسان المخزن في الحملات العسكرية التأديبية بالبايلكات الثلاثة وكذا أثر الجباية الضرائبية على الرعية وردود فعلهم، وإكمالا

للدورين السابقين -الفلاحة والجباية- خصصنا النقطة الثالثة والأخيرة من الفصل لدورها في إقرار الأمن بالإيالة وذلك بمشاركتها في إخماد الثورات المحلية وأخذنا للدراسة أشهرها،وهي: ثورة بن الأحرش، ثورة ابن الشريف الدرقاوي، ثورة التيجاني وثورة ابن الصخري، أضف إلى ذلك دورها في صد الهجومات الخارجية والذي تمثل في مواجهتها لبايات تونس وصدها لهجومات المغاربة والأسبان. وبوصولنا لهذا الفصل نكون قد حاولنا الإلمام بأهم جوانب الموضوع.

وأنهينا بحثنا المتواضع هذا بخاتمة تضمنت جملة من النتائج تمّ التوصل إليها من خلال البحث، وألحقنا بالدراسة مجموعة من الملاحق التي تخدم الموضوع بصفة مباشرة.

6-صعوبات البحث:

أما عن الصعوبات -وهي صعوبات لا مناص منها لكل باحث- التي واجهتني أثناء البحث في ثنايا هذا الموضوع، فقد تمثلت أساسا في:

-قلة خبرتي في مجال البحث، ولاسيما البحث في الفترة العثمانية التي استضافتني خلال السنة التحضيرية بالدراسات العليا، حيث وجدت صعوبة في التعرف عليها، وكذا صعوبة أكبر في اختيار الموضوع ولولا توجيهات الأستاذ المشرف، لما استقر اختياري لهذا الموضوع.

-من الصعوبات التي واجهتني كلك، ندرة المادة العلمية حول الموضوع وإن وجدت فما كانت إلا إشارات في مراجع معدودة، مما اضطرني إلى اللجوء إلى المكتبة الوطنية بالعاصمة، أين تتوفر المصادر حول الموضوع وإن كانت باللغة الأجنبية.

-عدم توفر الإمكانيات المادية التي تسمح لنا بالسفر خارج الوطن من أجل الحصول على وثائق تخدم الموضوع، من مكتبات تونس واستانبول، خاصة وأن طموحاتي حول الموضوع هو إجراء مقارنة بين المخزنية بالإيالة الجزائرية وباقي الولايات التابعة للدولة العثمانية، وحتى باستانبول، وهذا ما آمل البحث فيه فيما بعد إن شاء الله.

7-نقد لأهم المصادر والمراجع:

اعتمدت في إنجاز هذه الدراسة المتواضعة حول موضوع المخزنية جملة من المصادر، -ومنها ما هو مخطوط لم ينشر ومنها ما قد تم نشره-، والمراجع التي تمس الموضوع بصفة مباشرة وغير مباشرة، وفيما يلي سنحاول التعريف بأهمها موضحين دورها في إخراج هذا العمل إلى النور.

أولا: الوثائق: وتتمثل أساسا في جملة المراسلات التي كانت بين الباشوات أو الدايات والبايات وبين هؤلاء والرؤساء المحليين على مستوى البايلكات، وتعدّ جزء من وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني (السجلات، الرسائل، التقارير، الأوامر، المعاهدات ...إلخ)، والتي قام الأستاذ "خليفة حماش" بتنظيمها وترقيمها وفق ترتيب محكم، وذلك بإعداد كشاف مفصل لها، يساعد الباحثين على الاستفادة منها.

أما بالنسبة للوثائق التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة، وبالضبط في القسم الأخير من البحث عند تعرضنا لدور المخزني في جباية الضرائب ومشاركته في الحملات العسكرية التأديبية، فقد كانت عبارة عن مراسلات بين البايات والدايات أو بين البايات وقبائل الرعية، وفي بعض الأحيان بين الآغاوات والرؤساء المحليين، وسنذكر نماذج عن كل مراسلة فيما يلي:

-الرسالة رقم 19 من المجموعة 1642، وهي من أحمد باي إلى حسين باشا بعثها له في أواخر صفر 1243هـ، يخبره فيها بإخضاع بعض القبائل المتمردة بالأوراس.

-الرسالة رقم 7 من المجموعة 3204، من إبراهيم آغا إلى أولاد علي في أواخر جمادى الثاني 1243هـ، يأمرهم فيها بإرسال عدد من الفرسان لاستخلاص الضرائب من قبائل أولاد علي.

-الرسالة رقم 37 من المجموعة 3206 (الملف الثاني) من حسن باي الغرب إلى أولاد بسام وأولاد عمار وأولاد رابح يخبرهم فيها بقرار العفو، ويأمرهم بمغادرة أولاد نائلة والعودة إلى أراضيهم.

-الرسالة رقم 52 من المجموعة 3206، وتضم قرار من حسين باشا أواسط محرم 1235هـ بإعفاء بعض العلماء وجميع أولاد سيدي عبد الوهاب من المطالب المخزنية بعد أن ثبت أنهم شرفاء.

ومما يجدر ذكره **أن هذه الرسائل مكتوبة على ورق عادي بخط مغربي مقروء في غالب** الأحيان (ينظر الملحق رقم 3) محفوظة بقسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة.

ثانيا: المصادر: وهي ذات أهمية بالغة لا يمكن الاستغناء عنها في مثل هذه الدراسات، وأهمها:

1/**فريدة مؤنسة حال دخول الأتراك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها** والمعروف **بتاريخ قسنطينة** لمحمد صالح العنتري، الذي ألفه بتشجيع من السلطات الفرنسية، وكان هذا المصدر مخطوطا قام بتحقيقه وتقديمه الدكتور يحي بوعزيز، ويعد من أهم المصادر التي أرّخت لبايات بايلك الشرق، وإن كان قد أهمل جزء كبيرا من تاريخ الحكم العثماني بالمنطقة.

2/**تاريخ قسنطينة** لأحمد بن المبارك بن العطار، وقد حققه الأستاذ رابح بونار، ويعدّ مصدرا مهما للتأريخ لبايلك الشرق خلال الفترة العثمانية.

3/**أنيس الغريب والمسافر** لمسلم بن عبد القادر، والمحقق من طرف رابح بونار **ودليل الحيران وأنيس السهران** لمحمد بن يوسف الزياني المحقق من طرف المهدي البوعبدلي، ويعدان مصدران مهمان للتأريخ لبايلك الغرب، وقد استعنا بهما لأخذ التفاصيل حول الثورات المحلية وكذلك دور المخزني في إخمادها، إذ تعرضا (المصدران) بإسهاب لأهم القبائل التي شاركت إلى جانب السلطة العثمانية في مواجهة هذه التمردات.

4/**طلوع سعد السعود في أخبار وهران وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر ميلادي** للآغا إسماعيل بن عودة المزاري، والذي قام بتحقيقه الدكتور يحي بوعزيز، ويعتبر مصدرا مهما يؤرخ لمخزن بايلك الغرب، ويكفي أنّ مؤلفه نفسه كان آغا لفرسان المخزن، وهو في جزئين: الجزء الثاني أرّخ لفترة الاستعمار الفرنسي، في حين كان الأول -وهو

ما يهمنا- حول الفترة العثمانية، حيث أرّخ لبايلك الغرب منذ الوجود الإسباني حتى نهاية العهد العثماني، بإسهاب وبدقة شديدين، خاصة ما تعلق منه بالجانبين السياسي والعسكري.

5/**إتحاف أهل الزمان لأخبار ملوك تونس وعهد الأمان** لأحمد بن أبي الضياف، المحقق من طرف لجنة كتاب الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، **والاستقصا لأخبار دولة المغرب الأقصى** للناصري أبي العباس أحمد بن خالد والمحقق من طرف محمد وجعفر الناصري، وقد استعنت بهذين المصدرين في إبراز النزاعات والمعارك بين الجزائر وكل من تونس والمغرب بهدف معرفة دور المخزنية في صد الهجومات الخارجية.

6/**المرآة** لحمدان بن عثمان خوجة **ومذكرات** لأحمد الشريف الزهار، وأردت أن أختم قائمة أهم المصادر التي اعتمدتها في دراستي بهذين المصدرين، لأنه لا مناص لكل باحث في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني من الاعتماد عليهما.

-أما **المرآة** لصاحبه حمدان بن عثمان خوجة الذي هو من أصل كرغلي، سمحت له ظروفه العائلية أن يتقن كثيرا من العلوم وأن يتكلم اللغتين الفرنسية والإنجليزية، وكان الدافع الرئيسي لتأليف هذا الكتاب هو إطلاع الرأي الأوربي ولاسيما الفرنسي على الأحداث الجارية في الجزائر بعد الاحتلال، وقد ساعدنا هذا المصدر في التعرف على الجانب التاريخ لنظام الحكم العثماني بالإيالة.

-أما المذكرات، ويعد أهم مصدر للفترة المتأخرة من العهد العثماني في الجزائر خصوصا وأنّ صاحبه قد شغل منصب نقابة الأشراف بعد وفاة والده، والكتاب مقسم إلى أحد عشرة فصلا تعادل عدد الولاة الذين أرّخ لهم ابتداء من علي بوصباع باشا، إذ يؤرخ للحاكم العام وللأحداث التي وقعت في عهده واضعا الأحداث الهامة منها تحت عنوان بارز.

ثالثا: المراجع باللغة الفرنسية: وتعتبر أساسية بالنسبة لموضوعنا، فقد تمثلت في المؤلفات وكذا الدراسات التي نشرها الباحثون الفرنسيون في المجلة الإفريقية، ومن أهمها:

1/Domination Turque dans l'ancienne régence d'Alger.

2/Notice Historique sur le Meghzen d'Oran.

والمؤلّفين لـــ"Esterhazy. (W)"، وقد استعنت بهما خاصـــة في التعريـــف بالمخزنيـــة وأصولها وأهم القبائل المنتمية إليها، لاسيما لبايلك الغرب.

3/Description de division de l'Algérie. لـــ"Warnier et Carette".

4/Propriété foncière en Algérie. لـــ"Pouyanne (M)".

وقد اعتمدت عليهما كثيرا في هذه الدراسة، للتعريف كذلك بالمخزنية وأصولها، وكذا عند تعرّضي لعلاقة المخزني بالأرض، وأسس تعامله معها وكل ما تعلق بالملكية العقارية للفارس المخزني.

5/مجموعة من مقالات المجلة الإفريقية، والتي لها صلة مباشرة بموضوع الدراسة، وأهمها:

-Federmann (H) : Notice sur l'histoire et l'administration du Beylik Titteri,in **RA**, 1865.

-Vaycette (E) : Histoire des derniers Beys de Constantine, in **RA**, 1858.

-Berbrugger (A) : Epoque de l'établissement des Turcs à Constantine, in **RA**, 1856, 1857.

-مقالات عديدة لـــ"Féraud (CH)" في الأعداد 1864، 1872، 1874، 1886.

رابعا: الرسائل الجامعية والمراجع باللغة العربية: اعتمدنا في دراستنا هذه على ثـــلاث رسائل ماجستير هي:

-**الأسر المحلية الحاكمة ببايلك الشرق**، لجميلة معاشي.

-**النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني** لفلة القشاعي

-**النظام الإداري ببايلك الشرق (1791-1830)**، لأحمد سيساوي.

هذا دون أن ننسى الدراسات القيمة لكل من: الدكتور عميراوي احميدة والدكتـــــور سعيدوني ناصر الدين التي ساعدتنا كثيرا في تحليل القضايا والأحداث، ومن أهمها:

-مؤلفات الأستاذ عميراوي احميدة:

الفصل الأول:
نظام الحكم في الجزائر في العهد العثماني

أولا: نظام الحكم العثماني في المدينة

ثانيا: نظام الحكم في الريف

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

من أهم دعائم الحكم عند العثمانيين، اعتبار الحاكم العام -الداي وقبله البايلر باي وكذا الآغا والباشا- هو الرئيس الأعلى لجميع الهيئات السياسية والعسكرية والدينية في الدولة، وعلى هذا الأساس فقد أُتّبع نظام حكم يقوم على ربط التقسيمات الإدارية بعضها ببعض، على شكل سلسلة متصلة الحلقات، ابتداء من حكام أصغر الوحدات في الدولة، ومرورا بحكام الولايات التي تتبعها تلك الوحدات، وانتهاء بالسلطة المركزية باستانبول[1].

وقد ارتبط نظام الحكم العثماني بالجزائر -عبر جميع مراحله[2]- في الريف والمدينة على السواء بهيئة الموظفين، نظرا لإشرافهم عليه وتأثيرهم على مختلف أجهزته ومصالحه، فهؤلاء الموظفون وعلى رأسهم الحاكم العام أو الوالي، هم أصحاب كل الصلاحيات الإدارية والاقتصادية والعسكرية، وعليه نقول: **ما هي مؤسسات نظام الحكم وما هي هياكله في الجزائر في العهد العثماني؟**

للإجابة على هذا التساؤل، كانت دراستنا في هذا الفصل متمثلة في النقاط الآتية:

1-حماش إبراهيم خليفة، ***العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من (1798-1830)***، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة الإسكندرية، مصر، 1988، ص35.

2-مراحل الحكم العثماني في الجزائر هي:

-المرحلة الأولى: وتبدأ من 1520 إلى 1659، حكم فيه ولاة يعينهم الباب العالي ويرسلهم من استانبول.

-المرحلة الثانية: وتبدأ من 1659 إلى 1711، وخلالها كان منصب الباشا صوريا، مرسلا من الأسيتانة، وكان الحكم في يد الآغا ثم الداي فيما بعد، وتعرف بمرحلة الحكم الثنائي.

-المرحلة الثالثة: وتبدأ من 1711 إلى 1830، وفيه توقف إرسال الولاة من استانبول، وأصبح تعيينهم يتم محليا من طرف الديوان، واقتصر دور الباب العالي على ترسيمهم في مناصبهم لا أكثر.

أولا: نظام الحكم العثماني في المدينة

تطور نظام الحكم العثماني -والمتمثل أساسا في الجهازين السياسي والإداري- للدولة الجزائرية[1] في العهد العثماني، ووصل قمة تطوره في نهاية القرن الثامن عشر -أي عهد الدايات-، حيث عرف النظام السياسي استقرارا من ناحية المؤسسات السياسية والإدارية، فأصبح الداي هو صاحب السلطة التنفيذية بمساعدة هيئة سياسية تتكون من مجموعة من الموظفين، ليشكل هؤلاء مع الحاكم العام أو الوالي هيكل الحكم العثماني بالمدينة الجزائرية.

1-هيكل الحكم

كما سبق وأن أشرت، فإن نظام الحكم في الإيالة، ارتبط بهيئة الموظفين السامين والتابعين على السواء، ولهذا سنحاول التعريف بهم بدءا بطبقة السامين -على حد تعبير حمدان بن عثمان خوجة-، ويقف على هيكل الحكم، الحاكم العام وبالضبط الداي -لأنه كما سبق وأن أشرنا بأن النظام العثماني بلغ قمة تطوره في عهد الدايات-، فهو المسؤول عن جهاز الحكم في الإيالة، والممثل الشرعي للسلطان العثماني بالجزائر، خاصة بعد أن جمع بين منصب الباشا الشرفي ووظيفة الداي العملي، وكان من قبل يكتفي بلقب الداي، بينما كان لقب الباشا من اختصاص مبعوث السلطان العثماني إلى الجزائر، والذي له أحقية تمثيل الباب العالي لدى ديوان الجزائر، ويعود تاريخ إلغاء منصب الباشا إلى عام 1711م، عندما منع علي شاوش نزول الباشا إبراهيم مبعوث السلطان بمرسى الجزائر، بحجة تسببه في إثارت الفتن وإحداث القلاقل، وهذا ما سمح للداي شعبان (1689-1695م)، وخلفائه من بعده، أن يحصلوا على لقب الباشا من

1-كانت الإيالة مقسمة إداريا إلى أربع مقاطعات، يطلق على كل واحدة اسم بايلك وهي:

-بايلك مدينة الجزائر، ويشمل الجزائر والبليدة وشرشال والقليعة ودلس ويعرف بدار السلطان.

-بايلك التيطري، وقاعدته المدية، ويعتبر تابعا لدار السلطان.

-بايلك الشرق، وقاعدته قسنطينة.

-بايلك الغرب، وتولاه في بداية الأمر بايان، واحد استقر بمازونة، والآخر استقر بتلمسان، ثم توحد القسمان عام 1706، وأصبح يعين عليها باي واحد، جعلت قاعدته معسكر ثم وهران.

السلطة، مقابل تقديم الهدايا وإعلان فروض الطاعة والاحترام[1].

ولكي يعين الوالي الجديد، كان ديوان الإيالة يجتمع في جلسة موسعة يحضرها كبار الموظفين والعلماء ومعظم جنود الأوجاق[2] وقوادهم، وبعد الاتفاق على الشخص الذي يتولى الحكم يتقدم إليه العلماء والأعيان ليجلسوه على كرسي الحكم، ويلبسوه الخلعة السلطانية أو القفطان[3] -الذي يعتبر اللباس الرسمي لرجال الدولة العثمانية-، وبعد الانتهاء من مراسيم الجلوس يتقدم إليه المفتي ليذكره بمسؤولياته التي يتحتم عليه تأديتها، ثم يقوم الحاضرون فيدعون له بالنصر ويهنؤنه بالولاية، ويبدون له الطاعة بتقبيل يده[4].

وبعد أن يستقر الوالي في الحكم يقوم بتحرير تقرير يبعث به للسلطان العثماني يطلعه فيه على تغير الحكم في الإيالة ويشرح له الظروف التي تم فيها ذلك، والأسباب التي دعت إليه، وبعد أن يرسل خبر التعيين إلى الباب العالي يحصل منه الوالي على رموز الولاية لإضفاء شرعية الحكم عليها، تتمثل في الفرمان والقلج[5] والقفطان. ومما يجدر بنا ذكره هو أن الباشا يجمع في شخصيته بين صورتين متكاملتين تعكسان في مظهرهما نظام الحكم الذي كان قائما في الدولة العثمانية بجميع جوانبها.

وأما عن مهام الوالي أو الحاكم العام فهي تتمثل في[6]:

1-سعيدوني ناصر الدين، ***ورقات جزائرية -دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني***-، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص.216.

2-أطلق هذا اللفظ في استانبول على الجيش النظامي. أما في الجزائر فله ثلاثة معاني: يطلق على الدلالة في الإيالة، أو على الجيش العثماني، كما يستعمل أيضا بمعنى أورتة؛ أي وحدة من وحدات الجيش الانكشاري. ينظر: ديران كلكيان، ***قاموس تركي فرنسي***، مطبعة مهران، الباب العالي، إستانبول، 1329هـ/1911م

3-الزهار أحمد الشريف، ***مذكرات***، تحقيق: أحمد توفيق المدني، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص.95.

4-وتفاصيل أخرى، مثل: رفع العلم، وضرب الموسيقى، والنداء في المدينة لإعلام الناس.

5-القلج وهو نوع من السيوف العثمانية.

6-سعيدوني ناصر الدين، المرجع سابق، ص.217-218.

- تعيين أصحاب المراكز العليا في الأجهزة الإدارية واستدعاء الديـــوان للاجتمـــاع والختم على قراراته.

- إعلان الحرب وإقرار السلم وتزكية القناصل وتوقيع المعاهدات مع الدول، ومراسـلة الملوك، ورؤساء الحكومات.

- إقرار الأمن والمحافظة على النظام ورعاية مصالح الإيالة، بتوفير المداخيل من مصادرها الداخلية في شكل ضرائب ورسوم، أو من مصادرها الخارجية، المتمثلـة في غنـائم الجهاد البحري وإتاوات الدول الأجنبية والهدايا الإلزامية التي يساهم بها القنـاصل والتجار الأجانب المقيمون في الجزائر.

- إشرافه على النظام الاقتصادي للبلاد، ومراقبته لسير جهاز الدولة ورعاية مصـالح الموظفين، وغالبا ما يحرص على دفع أجور الإنكشارية دون تأخير، وكـذا إقـرار أسعار المنتوجات ومعاقبة المتلاعبين للأسعار، والنظر في تقييم عملة الإيالة وتحديـد قيمة العملات الأجنبية.

وقد فرضت هذه المشاغل على الداي المثابرة على حضور جلسات ديوان الموظفين مـن مطلع النهار وحتى الساعة التاسعة صباحا، كما أنه كان ينفرد بكاتبه الخاص حـوالي السـاعة الثالثة أو الرابعة مساء، ليفحص ويسوي جميع الأمور، التي لا تتصـل مباشـرة باختصـاص القاضي[1].

أما عن الامتيازات المالية التي كان يتمتع بها، فهي تنحصر في المرتب الذي يتقاضاه عـن رتبه العسكرية، بالإضافة إلى ما كان يتقاضاه من هدايا وعوائد من قناصل الدول الأوروبية، أو من البايات والقياد المحليين عند زيارتهم للجزائر، زيادة عن المؤونة التي تتكفل بها الدولـة لـه ولموظفيه.

1-Venture De Paradis, ***Alger au XVIII*** ***ème*** ***siècles***, Alger, Jourdan, 1998 , P.102.

هكذا نكون قد ألقينا نظرة على أبرز شخصية في هيكل الحكم العثماني بالإيالة، أما عن مساعديه من الموظفين السامين، فسنعرف بكل واحد منهم، متعرضين لأبرز مهامهم وصلاحياتهم.

كان هؤلاء الموظفين يشغلون المناصب العليا في الإيالة ويشرفون على مؤسساتها، باعتبارهم أعضاء مهمين في الديوان[1]، يتولى الباشا تعيينهم وهم:

أ-الخزناجي: وهذه اللفظة مستمدة من كلمة خزينة، والتي كانت تستعمل في الإدارة العثمانية للدلالة على مكان حفظ الأموال، وتتمثل وظيفة هذا الشخص في الجزائر العثمانية، في إدارة شؤون المالية المتعلقة بالإيداع والصرف، وكان يحتل مركزا ساميا في الإيالة، وكان له من النفوذ ما يجعله الشخصية الثانية بعد الباشا، إذ ينوب عنه في رئاسة الديوان في حال غيابه، حيث يستقبل القناصل ويتفاوض معهم حول المسائل المتعلقة بعلاقات الإيالة ببلدانهم، ويفصل في القضايا التي ترفع إليه من قبل الرعية.

ونظرا لهذا المركز المرموق، كانت الحكومات الأوروبية تشير إليه في وثائقها باسم الوزير الأول، وكانت تورد اسمه مباشرة بعد اسم الباشا، وتؤكد لنا كتابات المؤرخين والرحالة المعاصرين لتلك الفترة على مدى سلطة ونفوذ الخزناجي، نتيجة اكتسابه صلاحيات واسعة[2].

ومما يجدر بنا ذكره أنه كان يمارس وظيفته تحت إشراف الباشا الذي كان يحتفظ بمفاتيح الخزينة، ولا يسلمه إلا له ليعيدها هو إليه في منتصف النهار[3]، وكان يقوم بإيداع الأموال وسحبها بحضور موظفين متخصصين في تقويم النقود والمعادن[4]، وتقييد الحسابات في

1-إحدى الدعائم الأساسية التي أقام عليها العثمانيون نظام الحكم، وهو بمثابة مجلس عام يضم الوزراء وكبار موظفي الدولة وقادتها العسكريين وعلمائها، ويجتمع لمعالجة قضايا الدولة، ولأهمية هذا الجهاز، فإنه كان سائدا في الإيالات العثمانية على غرار ما هو سائد في استانبول.

2-حماش خليفة، مرجع سابق، ص.57-59.

3-Venture De Paradis, Op.Cit, P.206.

4-حمدان بن عثمان خوجة، ***المرآة***، تقديم وتعريب وتحقيق: محمد العربي الزبيري، ط.2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982، ص.128.

السجلات، ويطلق على أحدهما المحاسب الكبير، وعلى الآخر المحاسب الصغير. ومن مهامه كذلك تسليم المداخيل والإشراف على الإنفاق ومراقبة أمور السكة[1].

ونخلص في الختام إلى أن الخزناجي كان ذا منصب سامي في الإيالة، ويكفي أن الحكومات الأوروبية كانت تورد اسمه في قوائم الهدايا المرسلة إلى الإيالة في المناسبات.

وخير ما نختم به حديثنا حول خذه الشخصية الهامة، ما قاله تيدنا (Thedenat) في مذكراته، التي سجل فيها قصة مغامراته التي انتهت به أن أصبح خزناجي باي معسكر، إذ يقول: «الخزناجي هو كبير البلاد بعد الداي، يخضع لأوامره باي معسكر، ويتقرب إليه بتقبيل يديه ورجليه»[2].

ب-بيت المالجي: وقد استعمل هذا المصطلح في الدولة العثمانية للدلالة على الضابط المكلف بإدارة بيت مال الأوجاق، والإشراف على الأملاك التابعة لها، أما في الإيالة الجزائرية فهو موظف حكومي سامي، يشرف على الأملاك والثروات التي تعود إلى الإيالة بعد وفاة أصحابها أواستعبادهم، وكذا في حال انعدام ورثة شرعيين كاخوة أو أبناء أو أقارب[3].

ولهذا فقد كان يعتبر عضوا بارزا في ديوان الإيالة، وبمثابة وزير له وظائف عديدة ومسؤوليات واسعة، بحيث تشمل الأوجاق والرعية معا، وإن كان عمله ينحصر خاصة في تصفية الأملاك التي ليس لها ورثة، مع الإشراف على مراسيم الدفن وبيع التركات والأملاك، مع الإشارة أنه كان يمارس مهنته عن طريق تفويض مسبق من الداي، الذي يكلفه بحيازة الثروات المنقولة وغير المنقولة لصالح بيت المال، والجدير بالذكر أنه كان يباشرها بمساعدة قاضي يدعى الوكيل، بمساعدة موثقين يتم تعيينهما وعزلهما من قبل الداي، ولكن السلطة

1-Péchot (L), ***L'Afrique du Nord avant 1830***, T.2, Alger, 1914, P.28.

2-Emerit (M), «Mémoire de Thédenat », in ***R.A***, P.315.

-ينظر: ترجمة هذه المذكرات والتعليق عليها في: عميراوي احميدة، ***الجزائر في أدابيات الرحلة والأسر -مذكرات تيدنا أنموذجا-***، ط.1، دار الهدى، الجزائر.

3-Péchot (L), Op.Cit, P.29.

الكبرى كانت بيد بيت المالجي[1].

أما عن الأعمال التي يباشرها صاحب هذا المنصب، فتتمثل في[2]:

- الإشراف على كل ما يتصل بالوفيات ومراسيم الدفن وحراسة المقابر.
- المحافظة على حقوق الدولة والورثة، حسب أحكام الشريعة، فهو كان يسهر على حقوق الورثة والغائبين، ويأمر ببيع الأملاك والثروات، وذلك بعد أن ينال الورثة حقوقهم المشروعة، وتدفع النفقات للقاضي والموثقين، وعمال بيت المال، شريطة ألا تزيد المصاريف عن 7% من القيمة الإجمالية الثالثة، ويؤول الباقي إلى خزينة الدولة.
- الإشراف على الأعمال الخيرية، كتوزيع الصدقات، من أموال بيت المال على الفقراء، وكذا صيانة بعض المؤسسات الدينية، وافتداء الأسرى المسلمين من البلاد المسيحية.

جـ–وكيل الحرج[3]: وهو موظف سام بارز في الإيالة الجزائرية، وكانت مهامه موزعة على مجالين رئيسيين: أولهما شؤون البحرية، وثانيهما العلاقات الخارجية.

بالنسبة للمجال الأول، وقد كانت مسؤولياته واسعة، بحيث شملت جميع أنواع النشاطات التي تتعلق بالميناء، سواء منها التجارية أو العسكرية، أما المجال الثاني فكان يقوم بتسوية المسائل الخاصة بعلاقات الإيالة مع الدول الأجنبية[4].

ومهامه فهي تتمثل في مايلي[5]:

1–حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص.128.

2–السليماني أحمد، ***النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني***، د.ط، مطبعة دحلب، الجزائر، د.ت، ص.28.

3–أطلقت هذه التسمية في نظام الإدارة العثمانية على الضباط المكلفين بالتموين في وحدات الجيش الانكشاري، وكان يطلق أيضا على الموظفين المساعدين في الديوان الهيمايوني.

4–الزهار أحمد الشريف، مصدر سابق، ص.50.

5-Péchot, Op.Cit, P.30.

- مراقبة النشاط البحري وأعمال الترسانة البحرية.
- الإشراف على تهيئة عتاد الحرب وتوزيع غنائمها.
- في حال توسع صلاحياته يصبح وزيرا للبحرية الخارجية.

ومما يجدر بنا ذكره، أنه على الرغم من كونه يجمع بين وظيفتين اثنتين، إلا أن نفوذه بقي محدودا، ويرجع ذلك إلى تقهقر نشاط الجهاد البحري، وإقصاء الرياس من الحكم منذ سنة 1689، ومعادات جماعة الأوجاق وفرق الانكشارية له، باعتباره المشرف على طائفة الرياس المنافسين له في الحكم، وكذا تزايد نفوذ آغا العرب والخزناجي.

د-خوجة الخيل: ويسمى في اللغة التركية أت خوجاسي، وهو موظف سام يدير أملاك البايلك، كما يذكر ذلك حمدان خوجة في المرآة: «...وبعد الآغا يأتي خوجة الخيل، الذي يشرف على الأملاك الوطنية، وتدخل في اختصاصاته، أيضا إدارة الحارات والتصرف في الجمال المخصصة لنقل الجيوش والعتاد الحربي...» [1]. ومن مهامه أنه كان يشرف على أملاك البايلك ومواشي الدولة التي يتكفل الأهالي بتقديمها في شكل ضرائب عينية، كما يشرف على تجنيد الفرسان -رجال المخزن-، مما خول له نفوذا على عرب الصحراء، الذين كانوا يعتبرون أنفسهم بمثابة رعية له، فيدفعون له الخراج عوض عن الزكاة، التي كانوا عادة يمتنعون عن تقديمها له.

ومما يجدر ذكره، أنه كان قبل القرن الثامن عشر، بمثابة خوجة متواضع مكلف بحراسة عزل البايلك[2] ورعاية مواشي الدولة فقط، ثم بعد ذلك يوسع نشاط اختصاصاته ونفوذه، حيث أصبح في بعض الأحيان يتولى قيادة فرق العسكرية لتأديب العصاة والخارجين عن القانون، وبهذه الصلاحيات أصبح خوجة الخيل، بمثابة الرجل الثالث في جهاز الحكومة، وهذا ما تؤكده مراسيم التشريعات التي تخول له الحصول على نصف ما يعطى للخزناجي وآغا العرب[3]. وبذلك ازدادت أهميته بصفة محسوسة مع نهاية القرن الثامن عشر.

1-حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص.128.

2-هو أرض البايلك أو الباي. للتفصيل ينظر: الفصل الأخير من الرسالة.

3-أحمد الشريف الزهار، مصدر سابق، ص.48.

أما عن الأعمال التي يباشرها فهي[1]:

- إشرافه على تموين موظفي الدولة بالمواد الغذائية الضرورية.
- تكفله برعاية قطعان حيوانات البايلك.
- التحكم في القبائل المقيمة بعزل البايلك بفرض أعمال السخرة عليها ومطالباتها بالتزامات عديدة.

هـ-آغا العرب: يعرفه حمدان بن عثمان خوجة بأنه: «ذا درجة سامية، إذ هو الذي يقود وحدات الفرسان التي تتكون في معظمها من العرب أو القبائل»[2]. وكان يعتبر بمثابة وزير مطلق الصلاحية حسب تعبير بعض المصادر، فهو قائد فرق الانكشارية[3] وجماعات المخزن المعسكرين خارج مدينة الجزائر، يتلقى أوامره من الداي مباشرة، وأنيطت به مسؤولية مراقبة قيادات متيجة والساحل وأوطان دار السلطان والمناطق المحيطة بها. وتزايد نفوذه أواخر العهد العثماني، داخل مدينة الجزائر بعد أن كلف بإقرار الهدوء والمحافظة على الأمن، ونتيجة لمراقبته للسهول المعروفة بإنتاجها الزراعي والحيواني، أصبح رجلا له نفوذ وسلطة شرفية في مدينة الجزائر، علاوة على صلاحياته المطلقة خارجها. وكان يستعين بقبائل المخزن من أجل الحفاظ على الهدوء والأمن في أنحاء الإيالة، وهذه القبائل لها مقرات في مناطق استراتيجية لوقوع كل عصيان محتمل من قبل الرعية أو أهالي النواحي الجبلية الخصبة والصحراوية -وهذا ما سنفصله في الفصل التالي-، فهو يولى قائدا على جماعات المخزن حتى يكون على أهبة الاستعداد للتوجه معه للحروب.

ونخلص للقول، إن آغا العرب يعد بمثابة الوزير الثاني في هيكل الحكم، وذلك لإشرافه

1-سعيدوني ناصر الدين، مرجع سابق، ص.127.

2-الإنكشارية: (ïéni-tcheri)، وهي كلمة تركية معناه الجيش الجديد، وهي فرقة من فرق الجيش النظامي العثماني، وتعد من أقوى وأكثر الفرق عددا في الجنود، سواء في استانبول أو في الولايات التابعة لها، ويعود تأسيس الانكشارية في الجزائر إلى عام 1520 حينما أرسل السلطان سليم إلى خير الدين باشا 2000 من الجنود الإنكشاريين. ينظر: ديران كليكان، مرجع سابق، مادة: يكيجري (ïéni-tcheri)، ص.1355.

3-حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص.128.

على حفظ الأمن ومشاركته مع قبائل المخزن في القضاء على الثورات المحلية خلال الربع الأول من القرن التاسع عشر[1].

بهذا نكون قد تعرضنا للطبقة الأولى من هيكل الحكم العثماني بالمدينة، والتي تضم مساعدي الحاكم العام من الموظفين السامين، وهم:الخزناجي، بيت المالجي، وكيل الخرج، خوجة الخيل وآغا العرب.

وفيما يأتي سنقوم بالتعريف بالطبقة الثانية والمساعدة للأولى والتي عرفت باسم طبقة الموظفين التابعين.

يشكل الموظفون التابعون إطارا متميزا له صلة وثيقة بالجهاز المالي والاقتصادي للإيالة، كما أن له ارتباطا وثيقا بأوضاعها الاجتماعية وحالتها الثقافية آنذاك.

أ-الكتاب الأربعة أو الخوجا باشي[2]: ويعرفون باسم دفتر دار خوجة أفنديلر، وكانوا يزاولون وظائفهم في الديوان إلى جانب الباشا أو الخزناجي في حال غيابه، وهم على التوالي: مقاطعة جي أو المقطجي، وكان مكلفا بالإشراف على سجلات الأوجاق الخاصة بمصاريف الجنود اليومية ومرتباتهم، وكذلك سجلات عوائد الدولة من ممتلكات والتجارة والضرائب، ويعتبر رئيس الكتبة الثلاثة الباقين[3].

والخوجة الثاني هو: باش دفتر، ويعرف بوكيل الخرج الكبير، ومهمته تنحصر في تسجيل مصادر دخل البلاد مثل الضرائب والرسوم العينية، وله صلاحية مراقبة مخازن الدولة. أما الثالث، ويعرف بـ ايكنجي مقاطعة جي أو وكيل الخرج الصغير، ومهمته تكمن في الإشراف على السجلات الخاصة بغنائم البحر وشؤون الجمارك، وكان يشرف أيضا على

1-السليماني أحمد، مرجع سابق، ص.26-27.

2-الخوجة: أطلق اللفظ في الإدارة العثمانية على الأشخاص الذين يحسنون القراءة والكتابة، أو المتعلمين بشكل عام، وكانوا يعينون في المؤسسات الحكومية للتعليم أو لمباشرة الوظائف الإدارية. ينظر: ديران كليكان، مرجع سابق، مادة: خواجه، ص.553.

3-Venture De Paradis, Op.Cit, P.215.

البحرية[1]، أما الرابع، فهو الرقمجي، ومهمته المحافظة على السجلات المتعلقة بمصالح البايلك والمرتبطة بالشؤون الخارجية[2]، مثل: شكايات القناصل المقيمين بمدينة الجزائر، وإذا حدث ذلك فإن الباشا يوجه إليه الأمر بالبحث في سجلات المعاهدات ومختلف الوثائق عما يفيده من نصوص تتعلق بذلك، ويقرأ عليه ليرد في ضوئها على أسئلة القنصل ويتفاوض معه[3].

ب-الخوجات: وهم حسب وظائفهم اثني عشرة خوجة:

- خوجة القصر: ويعرف كذلك بخوجة باب القصر.
- خوجة الجمارك: ويعرف بكمرك خوجة سي، ويستلم رسوم البضائع الواردة من البلاد المسيحية عن طريق المراسي.
- خوجة الغنائم: وهو مكلف ببيع الغنائم البحرية وتقسيمها بين المستحقين لها.
- خوجة الرحبة: ويستلك الرسوم على الحبوب المفروضة في الأسواق.
- خوجة الزرع: وهو الذي يوزع الحبوب ويراقب كمية ونوعية الخبز الذي يوزع على الفرق العسكرية.
- خوجة العيون: ويهتم بالمنشآت المائية، ويرعى الأوقاف المخصصة للإنفاق عليها.
- خوجة الملح: لكون تجارة الملح لا تخضع إلا للحكومة، فهو يتكفل بشراء الملح وتعبئته ثم بيعه.
- خوجة الجلد: بيده مفاتيح فندق الجلود.
- خوجة الفحم: يستخلص الرسوم المفروضة على كل حمولة فحم تدخل المدينة.
- خوجة أبواب المدينة: على كل باب يوجد اثنين منه.
- خوجات المنازل والدكاكين والحدائق.

1-السليماني أحمد، مرجع سابق، ص.30.

2-Dr Shaw (T), ***Voyage dans la régence d'Alger***, 2e édition, Bouslama, Tunis, 1980, P.165.

3-Ibid, P.166.

- خوجة الوزن المكلف بالقياس والكيل[1].

هذا عن الخوجات الذين لم يكونوا أعضاء في الديوان، وإن كانت مناصبهم غير سامية، فإن وظائفهم حساسة ومهمة، إذ كانوا يشرفون على تسيير المكاتب المتفرعة من الأجهزة الإدارية الرئيسية التي يشرف عليها الموظفون المشار إليهم سابقا.

جـ-القياد والحكام:

أما القياد، فأغلبهم يتولون الإشراف على الأوطان، ويقومون بإقرار الأمن واستخلاص الضرائب من أهالي الأرياف، وللوصول إلى هدفهم هذا، كانوا يعودون إلى شيوخ الدواوير والأعراش، ويستعينون بفرسان المخزن وفرق الحامية التركية، وكانت قلة من القياد الذين أنيطت بهم مهام الإشراف على سير الخدمات الاجتماعية داخل المدن الجزائرية، مثل قائد العبيد وقائد الشوارع...الخ.

أما الحكام، فإليهم يعود حكم المدن، والبعض منهم يراقب جمع الضرائب عن طريق الاستعانة بالرؤساء المحليين وأمناء المهن والطوائف، وكذا السهر على استتباب الهدوء في المدن، وتنفيذ الأحكام بالحواضر، وقد توسعت صلاحيات بعض الحكام، فأصبحوا يشرفون على شؤون كثير من العشائر، وقد تزايدت صلاحياتهم الإدارية في أواخر العهد العثماني، حتى أصبحوا يعينون مباشرة من طرف الداي، مثل: حكام المدية والمليانة وتلمسان، إذ أصبحت أمور النقابات المهنية والطوائف العرقية تعود إليهم بصفة مباشرة[2].

1-سعيدوني ناصر الدين، مرجع سابق، ص.230.

2-السليماني أحمد، مرجع سابق، ص.31،32.

د-الآغوات[1] أو مجموعة الضباط المتقاعدين:

وكانوا يمثلون مجلس الوجاق، وعلى رأسهم الكاهية أو الباشي بلوك باشي[2]، الذي أحظي بهذا المنصب لكونه أقدم ضباط الوجاق، وبفضل هذه الأقدمية اكتسب صفة أول عضو في الديوان بعد الداي، وكان يتولى منصبه الشرفي لمدة شهرين قمريين، ولذا سمي بآغا الهلالين. وأثناء توليه لمنصبه، كان يقوم بالإشراف على الجيوش التركية الموجودة بمدينة الجزائر، والموزعة على سبع ثكنات، ويرأس مجلس الضباط، ويقوم بتوزيع الرواتب، ويحق له الجلوس مكان الداي أثناء توزيعه الجرايات على الجند، كما يحق له معاقبة الأتراك منذ صدور الأحكام بشأنه في منزله الخاص، بعيدا عن أنظار الأهالي الجزائريين غير الأتراك.

ونظرا لكون منصب آغا الهلالين لا يسمح لصاحبه أن يستمر فيه أكثر من شهرين، فإن كثيرا من الأغاوات والبلوك باشيات وأولاد آباشيات، ارتقوا إلى هذا المنصب حتى أصبحوا عام 1748 يعدون بثلاثمائة معزول آغا[3].

هـ-موظفو الخدمات الاجتماعية: وأهم أصنافهم هي:

- الطباخون: وعلى رأسهم كبير الطباخين، الذي كان يحظى بثقة الداي نتيجة خدمته له وارتباطه به، وهذه العلاقة مع الداي هي التي أكسبته أهمية تتجاوز ميدان عمله، إلى حد التأثير في استقرار نظام الحكم.
- شيخ البلد: وينتمي إلى مجموعة الموظفين التابعين، باعتباره موظفا مدنيا يشرف على

1-أطلق مصطلح الآغا في الإدارة العثمانية على كثير من الأشخاص الذين كانوا يشغلون مناصب عديدة في مجالي الخدمة المدنية والعسكرية، وأبرزهم آغا الإنكشارية وآغا السباهية، وهما أكبر ضابطين في الجيش العثماني، أما في الجزائر فيطلق على عدد من الموظفين ينتمي جلهم للجيش، ومنهم آغا الإنكشارية، وأيضا قواد الوحدات العسكرية الموزعة على مستوى البايلكات، ويطلق عليهم لقب آغا. ينظر: حماش خليفة، مرجع سابق، ص.65.

2-وهي إحدى الرتب التي يصل إليها الجندي في الجيش الإنكشاري، وعددها خمسة، وهي على الترتيب: أورده باشي، ثم البلوك باشي، ثم يايا باشي، والباش بلوك باشي وأخيرا رتبة آغا الإنكشارية.

3-Mercier (E), ***L'Algérie en 1880***, Paris, 1980, P.15.

النقابات المهنية والطوائف السكانية، فهو يتصل بأمناء هذه المهن ورؤساء هذه الطوائف، ليتعرف على مشاكلهم ويلبي حاجاتهم عند الضرورة، كما يسعى لدى السلطات لإيجاد الحلول لها، وكان يتسلم منهم مقابل ذلك الضرائب والرسوم ليودعها في الخزينة العامة كل شهرين، بالإضافة إلى ما كان يأخذه من بعض النسوة المنحرفات ذات المكانة المرموقة في المجتمع[1]، وبهذا يصبح شيخ البلد بمهامه هذه أداة وصل بين النقابات الحرفية والسلطة المركزية، مما أكسبه مكانة هامة عند الطرفين.

- المحتسب: ومهمته هي نفسها مهمة المحتسب المعروفة في العهود الإسلامية السابقة.
- المزوار: ويقوم بمهام شرطة الأخلاق والمخالفات الاجتماعية، بمساعدة أعوانه من الحرس، وعلى رأسهم السركاجي وقائد الفحص.
- الشواش: ويكلفون بالأعمال القانونية، ويشرف على توزيعهم على هذه الأعمال كبيرهم باش شاوش، وكل واحد منهم يحمل لقب يدل على العمل الذي يمارسه ويختص بأدائه ومنهم:

- باش سيار: ويقوم بحراسة السجون.

- الباش سايس: وهو مخول بإلقاء القبض على الأتراك الجناة ومعاقبة العصاة والمتمردين.

- البراح: ويقوم بإعلان الأوامر والقرارات الصادرة عن السلطة الحاكمة، كما يشهر بالمجرمين واللصوص والمحتالين أمام الملأ وفي الساحات العامة[2].

2-التقسيم الإداري:

لا تكتمل الصورة حول النظام العثماني بالإيالة، إلا بالتعرض لتقسيمها الإداري، وبالضبط الجهاز الإداري الخاص بالبايلكات الثلاثة (الشرق والغرب والتيطري)، إذ كان كل

1-Dr Shaw, Op.Cit, P.167.

2-Féraud (CH), « Les anciens établissements réligieux Musulmans », In R.A, 1986, P.131,131

بايلك مقسم إلى وحدات إدارية صغيرة أطلق على كل منهاإسم وطن، يحكمه قايد، وكان كل وطن مقسم إلى وحدات إدارية تسكنها مجموعة من القبائل على رأسها ما يعرف بالشيخ[1].

وكان تعيين الباشا من طرف السلطان العثماني، يليه مباشرة تعيين البايات على مستوى البايليكات وهم بدورهم يعينون القياد على مستوى الوطن، وذلك وفق نظام يراعى فيه تسلسل المستويات[2].

ونجد على رأس الجهاز الإداري بالبايلك الباي، الذي يعتبر في منطقة نفوذه صاحب السلطة العليا بتفويض من الباشا، وذلك بإرسال القفطان (رمز التعيين) إليه. وكان يساعده في أداء مهامه جملة من الموظفين المساعدين ليشكلوا معه صورة مصغرة لديوان الداي من حيث تنظيمه.

ويمتاز الباي عن بقية الموظفين أنه كان يباشر سلطات مطلقة ضمن حدود البايلك الترابية، فلا تحد سلطته سوى بعض الإجراءات كالالتزام بالحضور إلى دار السلطان مرة كل ثلاث سنوات لتقديم فروض الطاعة والمتمثلة في الدنوش الكبير[3]، أو التقيد باستشارة أعضاء الديوان المحلي[4].

ونعود لنلقي نظرة على الموظفين المشكلين لديوان البايلك وهم:

أ-الخليفة: وهو الذراع الأيمن للباي -على حد تعبير (Mercier)[5]، وهو الذي ينوب عنه في الحضور إلى دار السلطان لتقديم الدنوش الصغير، كما له الحق كذلك في الاتصال بقياد البايلك، للحصول على الضرائب من سكان الأرياف، كما أن له صلاحية إقرار الهدوء وفرض

1-Baudicout (L), ***La Guerre et le gouvernement de l'Algérie***, Sagnier Bary, Paris, 1853, P.271-272.

2-Ibid, P.273.

3-الدنوش: وهي كلمة تركية معناها في اللغة العودة، ويقصد به أن الباي كان يعود بنفسه أو يرسل من ينوب عنه إلى مدينة الجزائر، ليقدم حساباته المالية وتقاريره عن المقاطعة للباشا، ومن خلال تقديم الدنوش يتحدد مصير الباي إما بتحديد تعيينه وإلباسه القفتان، أوبسحبها منه وتعيين من يخلفه. ينظر: الزهار أحمد الشريف، مصدر سابق، ص.35-36.

4-Mercier (E), ***Histoire de Constantine***, Marle et Biron Imprimeurs et éditeurs, Constantine, 1903, P.214.

5-Ibid, P.214.

نفوذ السلطة، والتصرف في شؤون الأوطان، كما يشير إلى ذلك (Vayssette)[1].

ب-**الباش خزناجي أو النقاد:** وهو المشرف على مصادر دخل البايلك، ويقوم بتسديد أوجه الإنفاق المختلفة بالبايلك، ويعينه على ذلك كاتبان رئيسان يعرف كل واحد منهما بالدفتر دار[2].

جـ-**آغا الدائرة:** ويعرف في بعض الأقاليم بآغا العرب أو الباش آغا أو خوجا الخيل وهو قائد فرسان العرب التابعين لسلطات البايلك، ويخضع لأوامره فرسان المخزن، وهذا ما جعله متصرفا في الأرياف، فمثلا ببايلك الشرق يرجع إليه التصرف في شؤون 39 قبيلة[3].

وقد أدى توسع صلاحيته إلى حد إعطائه حق التصرف في جميع الفرق العسكرية، فضلا عن كونه مراقبا للباي بتقديم تقرير عن نشاطه للداي في الجزائر، كما كلف بالإشراف على تنصيب البايات وتنفيذ أوامر العزل الصادرة ضدهم.

د-**شيخ البلد:** ويحافظ على أملاك الدولة ويوفر الخدمات الضرورية للحامية التركية، ويشرف على شؤون البلد، ويرعى مصالح الطوائف السكانية والحرفية بالمدينة[4].

هـ-**الباش كاتب:** وهو كاتب الباي الخاص، وحافظ دفاتر الإدارة المحلية بالمقاطعة، كما له اتصال بالخزناجي وذلك لتوليه المحاسبات المالية للباي[5].

و-**الباش سايس أو الباس سراج:** وهو المتصرف في اسطبلات البايلك.

ي-**الباش مكاحلية:** وهو قائد الفرق المسلحة بالبنادق، والتي تخرج بصحبة الباي.

ن-**الباش علام:** وهو حامل شارات الحامية التركية بالبايلك[6].

1-Vayssette (E), « Histoire des Derniers Beys de Constantine », in ***R.A***, 1858, P.111.

2-السلماني أحمد، مرجع سابق، ص.40.

3-Vayssette, Idem, P.112.

4-سعيدوني ناصر الدين، مرجع سابق، ص.244.

5- Mercier, Op.Cit, P.214

6-Idem, P214.

لم يبق لنا سوى الموظفين الذين لا يحضرون ديوان البايلك، أو بمعنى أصح لا يستدعون لحضور جلسات الديوان إلا عند الضرورة، أو عند التكليف بمهام معينة من طرف الباي، ومنهم قياد البايلك والمدن.

أما قياد البايلك فيتركز نشاطهم في الأرياف، حيث يقيمون المحاصيل الزراعية ويراقبون مواشي البايلك، ويحددون مقدار الضرائب الداخلة إلى الخزينة.

أما قياد المدن، فيعين أغلبهم من طرف الباي أو الداي، إذ يشترون المنصب بمبالغ مالية تقل وتكثر حسب أهمية المنصب وما يدره من فوائد.

وإضافة إلى العوائد التي يحصل عليها البايلك من القياد، التعهدات المالية من النقود والمنتوجات الزراعية والحيوانية التي يوفرها هؤلاء القياد للباي، وكمثال على ذلك نجد: قائد مستغانم الذي كان يسلم لباي وهران 800 زياني ذهب، 300 قيسة قمح، و300 قيسة شعير، و300 طن زبدة، 73 حصان[1].

ويلحق بهم: الشواش وحاملي الألوية والموسيقيين المصاحبين للجند والقائمين على بعض الخدمات الإدارية مثل: قائد الجبيرة، أي حامل محفظة الباي، وقائد المقصورة أي الحاجب الخاص بالباي، وقائد السبسي أي حامل غليونه، وقائد السيوانة أي حامل مظلته، وقائد الزريبة أي القائم على الباب الرئيسي للمدينة، وقائد الطامة أي القائم بإحضار الآنية التي يستعملها الباي.

هذا عن نظام الحكم العثماني في المدينة، لننتقل بعدها إلى نظام الحكم في الريف[2].

1-Esterhazy (W), ***Domination Turque dans l'ancienne régence d'Alger***, Librairie de Charles Gosselin, Paris, 1840, P.163.

2-ينظر: الملحق رقم2

ثانيا: نظام الحكم في الريف

كان المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني هرميا، قاعدته القبائل والأسر الموسعة التي كانت تتوطن الريف، في بلد حدوده مفتوحة ومعينة اجتماعيا، أكثر مما كانت محددة سياسيا. ومهما يكن فقد كانت القبيلة بنوعيها الزراعية والرعوية هي الأساس الثاني بعد الأرض[1] للحياة الاجتماعية في الإيالة. بل إن الأرض والقبيلة والأسرة هي الأيديولوجية السائدة والمحددة لمصير المنطقة وللعلاقات بين السكان أنفسهم، وبينهم وبين الإدارة المركزية.

وعلى هذا الأساس يتبادر إلى أذهاننا هذا التساؤل: **ماهي مؤسسات نظام الحكم في الريف الجزائري؟** أو بمعنى آخر **من كان يحكم الريف الجزائري خلال العهد العثماني، أهو الباي عن طريق مساعديه، أم أن هناك أطراف أخرى هي صاحبة السلطة على الريف الجزائري؟**

قبل الإجابة على هذا التساؤل، ارتأينا أن نعرج على مفهوم السلطة عند دارسي الفكر السياسي. وعليه نقول بأن السلطة هي تعبير عن إرادة الهيئة الحاكمة التي تخضع لها مجموعة من الأفراد، حيث تخوله الحق بممارسة نفوذ ذي حدين يشمل القوة والاختصاص، وبما أن هذه السلطة تلازمها صفة القهر تصبح قانونية، حيث ترضى مجموعة الأفراد بالخضوع لها[2].

ولهذا، فإن معظم دارسي الفكر السياسي متفقون على أن ميزة الدولة الجوهرية إنما هي في السلطة التي تتمتع بها، لأنه لا دولة من دون سلطة، بل إن الدولة تعتبر سلطة إجبارية، وذات سيادة قادرة على حماية وتنظيم نفسها بنفسها من دون أن تخضع ماديا أو معنويا لقوة داخلية أو خارجية.

وعلى ضوء هذا، هل يمكن الحديث عن وجود سلطة واحدة بالريف الجزائري، وتتمثل

1-احتلت الأرض المرتبة الأساسية في المجتمع الجزائري بجانب القبيلة والأسرة، وكانت تعتبر بالنسبة لسكان الريف هوية بقدر ما هي مردود مادي.

2-ملحم حسين، ***النظرية العامة للدولة***، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977، ص.22.

في الحكومة المركزية العثمانية، أم أن هناك أطراف أخرى؟

إجابة على تساؤلنا نقول: بأن السلطة العثمانية لم تكن الطرف الوحيد صاحب النفوذ على الريف الجزائري، **وإنما هناك أطراف أخرى كان لها نفوذا كبيرا، وهذا ما سنحاول تبيينه** من خلال ما سيأتي.

1-هيكل الحكم العثماني:

ذهب الكثير من المؤرخين، إلى أن الريف الجزائري لم يكن خاضعا كليا للسلطة العثمانية المركزية، ولكن هذا لا يعني عدم وجود نظام حكم عثماني على مستوى الريف، هذا النظام المتجسد خاصة في مقاطعة دار السلطان[1]، وهذا بخلاف بايلك الشرق وبايلك الغرب، إذ لم تتأثر مباشرة بالحكم المركزي، وإن كانت تخضع لتنظيم مشابه لدار السلطان، وهذا ما حال دون تبلور الأنظمة الإدارية لها، وأبعد سكان الريف فيها عن المراقبة المباشرة، رغم خضوعها للبايات.

وعلى هذا الأساس، فإن النظام العثماني بالريف، كان قائما على مجموعة من الموظفين يمكن أن نقسمها إلى صنفين:

-الصنف الأول: ويشمل الموظفين السامين -وقد تحدثنا عنهم، أثناء تعرضنا هيكل الحكم في المدينة-، والإشارة إليهم هنا، لكونهم لهم إشراف وإن كان غير مباشر على شؤون الأرياف.

فالداي هو المسؤول عن إقرار أو عزل أو تولية موظفي الأرياف، وآغا العرب، لأن صلاحياته كانت تجمع بين الأمور التي تتصل بالأمن، وبين النظر في شؤون الأرياف، باعتباره المرجع الأول لكل الموظفين المتولين لشؤون أهالي الريف، والمتصرف الفعلي في شؤون السكان، فهو ينظر في كل القضايا المهمة عن طريق القياد والشيوخ، وهدفه من كل ذلك المحافظة على

1-خنوف علي، ***السلطة في الأرياف الشمالية لبايلك الشرق الجزائري***، د.ط، الميزان للنشر والطباعة، مطبعة العناصر، الجزائر، ص ص.59-61.

الأمن بالأرياف، وتسلم الضرائب المفروضة على القبائل[1].

وكذلك خوجة الخيل، وهو المكلف بإدارة أملاك البايلك بالأرياف، وأوكل إليه في بعض الأحيان قيادة فرق المشاة لإخضاع بعض القبائل المتمردة، على أن أهم مهامه ظلت دائما متصلة بالإشراف على مزارع الدولة، إذ يعرفه الزهار بأن «له رعية من عرب الصحراء وهم نجوع[2]، فيدفعون له الخراج والزكاة، إلا أنهم في بعض الأحيان يمنعون هذه الأخيرة، وله قائد يسمونه قائد العرب، وله أعوان وله أشياخ لجمع المطالب المخزنية»[3].

-**أما الصنف الثاني**: ويشمل الموظفين التابعين للجهاز المركزي بالجزائر، والخاضعين للموظفين السامين، ولهم النظر المباشر في أوضاع الريف والتصرف الفعلي في قضايا سكانه، مما جعلهم أساس النظام العثماني وهم: القياد والشيوخ، إذ لا تقل أهمية كل واحد منهما عن باقي موظفي الجهاز، فكما يعين الباشا الباي، يعين الباي القائد ويبعث له البرنوس (وبالضبط الأحمر) كرمز للتعيين، ويعين القائد بدوره الشيخ بأن يبعث له البرنوس الأبيض[4].

-**أما القياد**: فتتصل مهامهم أساسا بالقضايا الاقتصادية والاجتماعية، حيث يتولون إدارة الأوطان، ويمثلون البايلك لدى السكان بالريف، يأتمرون بأوامر آغا العرب، ويعملون بالاعتماد على الشيوخ وزعماء القبائل على إقرار الأمن وجمع الضرائب، كما تتوسع صلاحياتهم لتشمل مراقبة الأسواق.

ونظرا لأهمية هذه المهام وتأثيرها على نفوذ الأوجاق بالأرياف، فإن آغا العرب كان

1-بوعزيز يحي، ***الموجز في تاريخ الجزائر***، ج.2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م، ص125.

2-نجوع: جمع مفرده نجع، والنجعة عند العرب هي المذهب في طلب الكلأ في موضعه، والبادية تحضر محاضرها عند هيج العشب ونقص الخرف وثناء ماء السماء، فلا يزالون حاضرة حتى يقع ربيع أو شتاء أو خريف، فإذا وقع توزعتهم النجع وتتبعوا مساقط الغيث، فإذا أعشبت البلاد، فيرجعون إلى محاضرهم على أعداد المياه، ويستعار اللفظ فيما سوى طلب الكلأ والعشب، ونجوع الصحراء التابعة لخوجة الخيل يقصد بها العشائر الصحراوية المتنقلة التابعة له. ينظر:

ابن منظور، ***لسان العرب***، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، ج.6، د.ط، دار المعارف، بيروت، د.ت، ص.4353.

3-الزهار أحمد الشريف، مصدر سابق، ص.49.

4-Kamel Filali, « Le Don (Epine Dorsale du système Ottoman) », ***Annales***, V.V, Constantine, 2002, P.8.

يحرص على إعطاء تعليماته شخصيا لهؤلاء القياد، ولا يقبل منهم حق التولية إلا بعد التأكد من مهارتهم وقدرتهم، وقد جرت العادة أن يكون هؤلاء القياد الذين يحكمون الأوطان من الطائفة التركية أو من جماعة الكراغلة، أو من العائلات ذات النفوذ والكلمة المسموعة لدى السكان.

ويلحق بالقياد مجموعات أخرى من الموظفين، كانوا يحكمون المناطق المجاورة بالأرياف المركزية، ويبسطون نفوذهم على النواحي القريبة منها، وهذا ما جعلهم على اتصال دائم بسكان الأرياف، دون أن ننسى قياد الخدمات الاجتماعية، الذين يعرفون بالخوجات، فهم المسؤولون على إقرار الأمن بها وتنفيذ أوامر الداي، وكذا آغا العرب، وقياد العشور بالأوطان، ويساعدهم في عملية استخلاص الضرائب فرسان المخزن، وهم بذلك يشكلون حلقة الوصل بين الإدارة الحضرية بالمدينة والتجمعات السكانية الريفية[1].

-**الشيوخ**: فعلى الرغم من كون الشيخ هو حاكم على أصغر وحدة إدارية على مستوى الإيالة، فإنه كان يحظى بصلاحيات في جميع المجالات (الأمن، القضاء، المالية، والجيش)، فهي توازي صلاحيات القايد على مستوى الوطن، والباي على مستوى البايلك[2]. أما عن مهامه فتتمثل في الإشراف على شؤون القبائل، وغالبا ما يتم اختيارهم من أعيان القبائل، وسلطتهم كانت تعتمد على رضا أفراد القبيلة، وتنفيذ ما اتفق عليه أكابرها في الشؤون العامة.

وتتنوع مهامه حسب حاجيات القبيلة التي يشرف على أمورها، فهو مكلف بمراقبة مواسم الحرث والحصاد، وتقسيم الأراضي بين العائلات، إذا كانت الأرض مشاعة، وينظر في قضايا توزيع مياه الري وتخصيص المراعي واختيار مكان استقرار الدوار، إذا كانت القبيلة تمارس حياة التنقل الموسمي، كما يحق له في الجهات البعيدة عن نظر القايد، أن يراقب الأسواق الريفية ويلزم السكان بدفع المطالب المخزنية حسب قدرتهم[3]، مما جعله المرجع الأول لأفراد القبيلة في حال وقوع المخالفات.

1-Boyer, ***L'évolution de l'Algérie médiane***, Paris, 1960, P.34-35.

2-Baudicourt, Op.Cit, P.273

3-Boyer, Idem, P.36.

بهذه المهام، تأكدت مكانة الشيخ، وأصبح نفوذه مرتبطا بمدى قدرته على تلبية مطالب البايلك، ومدى قدرته على حفظ الأمن في مواطن قبيلته وحرصه على توجيه ما يتحصل عليه من مطالب مخزنية وجبايات لمخزن البايلك، كما أنه اكتسب مع الزمن أهمية ومكانة لا تقل عن القياد، وهذا ما مكنهم من بسط نفوذهم على العديد من القبائل، وسمح لهم بالاتصال مباشرة مع آغا العرب دون الرجوع إلى القياد، وهذا ما أكسبهم وضعا خاصا ومكانة مرموقة، زادها قوة ما كانوا يساهمون به من ضرائب وما يقومون به من خدمات لفائدة البايلك، الأمر الذي أهلهم لأن يطلق عليهم اسم شيخ الشيوخ[1].

وفي الختام، نخلص إلى أن نظام الحكم العثماني بالريف الجزائري، تمثل في صنفي الموظفين المشكلين لهيكل الحكم، مستندا على القبائل المخزنية في فرض سيطرته وإخضاع السكان وربطهم بالحكم المركزي بالجزائر، وللحد من تحرك القبائل وتمردها من حين لآخر، لكن يبقى على الرغم من وجود السلطة العثمانية على مستوى الريف، إلا أنها لم تستطع بسط نفوذها كليا عليه، وإلا فبماذا نفسر الثورات المحلية التي قامت ضد البايات.

والآن ننتقل إلى آخر نقطة في هذا الفصل -والتي سنتعرض فيها إلى نظام الحكم غير العثماني بالريف-.

2-نظام الحكم غير العثماني بالريف:

كما سبق وأن أشرنا، فإنه على الرغم من وجود السلطة العثمانية والمدعمة بالقوة المخزنية، إلا أن سلطات متعددة، وبالتالي مجالات نفوذ متداخلة كانت سائدة في الريف الجزائري.

ونقصد بمجال السيادة على مستوى الريف ملكية الأرض، لأن نظام العثماني كان وصيا عليها و لم يكن مالكا لها، وحتى ملكيته لجزء منها كان يمنحها لعشائر المخزن مقابل إعفائها من الضرائب، وبواسطة هذا اللون السياسي كان يفرض سيادته ومن ثم كان مجال سيادته محدودا

1-Baudicourt, Op.cit, P272.

ومتداخلا مع مجالات أخرى[1].

والسؤال المطروح، ما هي هذه السلطات أو مجالات النفوذ التي كانت تنافس السلطة العثمانية في بسط نفوذها على الإيالة؟

إجابة على هذا التساؤل، نقول بأن هناك سلطات عديدة غير سلطة العثمانيين، كانت سائدة في الجزائر، وتتمثل أساسا في السلطة القبلية، أو بمعنى آخر مجال سيادة شيخ القبيلة، وأيضا السلطة الطرقية أو مجال سيادة شيوخ الطريقة، على اعتبار أن الطرق الصوفية كانت كثيرة الانتشار في هذا العهد، ونذكر كذلك سلطة العلماء، غير أن هذه الأخيرة لم تكن سائدة في الريف بل كانت في المدينة.

أما عن السلطة القبلية أو مجال سيادة شيخ القبيلة، فقد كان واسعا في أوساط الريف الجزائري، إذ غيبت سياسة الدولة تماما، بتطبيقها للعدالة، وتعميمها لها بالإشراف على أجهزتها، حيث أصبحت أغلبية الشرائح الاجتماعية -وعلى رأسها شيخ القبيلة- تحكم بقانونها العرفي، من دون التدخل العثماني. مع الإشارة إلى أن العثمانيين، قد أبقوا على التقليد السائد منذ عهد الحفصيين والقائم على حكم الرعية من طرف الشيوخ[2]؛ على الرغم من ربط الريف رسميا بالسلطة المركزية، وإخضاعه لرقابة قادة تابعين للحكم المركزي[3].

وكأنموذج عن هذه السلطة، نأخذ أهم شيوخ القبائل ذات النفوذ على مستوى بايلك الشرق.

1-عميراوي احميدة، ***محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث***، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 1999، ص.50.

2-ونقصد بهم: شيوخ الأسر المحلية الحاكمة المشهورة، حيث استطاعت أن تبسط نفوذها على الدولة الحفصية في أواخر أيامها، وقد ازداد نفوذها قوة واتساعا بازدياد ضعف السلطة المركزية، إلى أن اقتسم رؤساء القبائل والأسر القوية بالبلاد مقاليد الحكم، فمنذ نهاية القرن الخامس عشر، أخذت قسنطينة العاصمة الثانية للدولة الحفصية تخرج تدريجيا عن هذه السلطة، وتخضع مباشرة لسلطة رؤساء الأسر الحاكمة. ينظر:

معاشي جميلة، الأسر المحلية الحاكمة ببايلك الشرق، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1998.

3-المرجع نفسه، ص.137.

-بدء بشيخ الحنانشة[1]: الذي يعتبر حارسا للحدود الشرقية للبايلك، ومشرفا على أمن الطريق الرابط بين قسنطينة وتونس، وبحكم أهمية المنطقة، فقد اكتسب هذا الشيخ، مكانة هامة لدى العثمانيين ونال العديد من الامتيازات التي جعلته قريبا من مرتبة الباي أو مساويا لها، فقد منح حتى حق ارتداء القفطان، تعبيرا عن اعتراف السلطة المركزية بحكمه، كما خول له حق استعمال الطابع الذهبي والتمتع بكل ما كان حكرا على الباي، وذلك مقابل دفع ضريبة سنوية تقدر بـ 10,000بوجو.

وكان شيخ الحنانشة يتحكم في 16قبيلة، وبما أنه كان يتمتع باستقلال داخلي، فقد كان يترأس مجلس جماعة القبيلة، الذي كان يقوم بتعيين أعضاء ديوان القبيلة، ولا يمكن للشيخ التصرف في أي أمر دون الرجوع إليه.

-ثم شيخ العرب: وهو زعيم عرب الصحراء الرحل، كان يحكم جميع قبائل الأوراس من بلزمة حتى منطقة خنقة سيدي ناجي، ويمتد نفوذه إلى بلاد سوف حدود الصحراء الكبرى، وإلى الغرب حتى ورقلة، وقد توارثت هذا المنصب أسرة بوعكاز الدواودة وذلك طول فترة حكم العثمانيين، لتنافسها فيه أسرة بن قانة أواخر الحكم العثماني، وكانت هي الأخرى صاحبة نفوذ في البايلك، يخضع لها الكثير إن لم نقل كل القبائل في حدودها، مقابل تقديم ضريبة سنوية تقدر بعشرين ألف بوجو[2].

ونذكر كذلك شيخ أولاد مقران وشيخ بني جلاب: الذين كان لهما من السيادة ما كان لشيوخ القبائل السالفة الذكر.

كانت هذه أهم الأسر المحلية الحاكمة ببايلك الشرق، والتي كانت تنافس سلطة العثمانيين، وذلك لتمتعها باستقلال شبه تام، لعدم تدخل الأتراك في شؤونها، والاكتفاء فقط

1-وهي من القبائل القوية التي شكلت مركز فعل في الأحداث السياسية، حيث امتد نفوذها على رقعة غير قليلة من الأراضي التي تداخلت بين تونس والجزائر، من تبسة إلى سوق أهراس، ثم إلى عنابة حتى قلة سينان وإلى جبل مسيد، ومنه إلى جنوب واد بجردة وإلى جبل قلالة ودقمة وسلسلة كاف مسخوط، وسلسلة الزعرورية وجبل تليس. ينظر: جميلة معاشي، مرجع سابق.

2-المرجع نفسه، ص.146.

بتزكية حكمها.

هذا عن مجال سيادة القبيلة -في بايلك الشرق كأنموذج-، أما عن الطرقية فنقول بأنها احتلت مكانة هامة في المجتمع الجزائري، إذ كان لها الدور الفاعل في معظم الأحداث السياسية والاقتصادية والثقافية، هذا فضلا عن مكانتها كعقيدة فلسفية، ومهما يكن فالطرقية كانت تنتشر عبر أنحاء الوطن، وقد عددها البعض بست عشرة طريقة، وعلى رأسها الرحمانية، إذ كانت كثيرة الانتشار في الجزائر[1].

وقبل ظهور الطرقية، ظهرت الزوايا التي حلت محل الرباط وعرفت تطورا كبيرا من الخلو والطعام والتعلم إلى ممارسة السياسة، وكان لها بالغ الأثر في أوساط المجتمع الريفي -بخاصة-، إذ كانت عامل توحيد لأكثر من قبيلة، بل لأكثر من موطن، ويكفي أنها وحدت المجتمع روحيا، وهو ما عجزت عنه السلطة العثمانية[2].

ويندرج ضمن مجال سيادة الطرقية ما يعرف بالمرابطين، الذين يدعون الشرف في قمعهم للطرق الصوفية، وكثيرا ما اعتمدهم السلطة العثمانية أواخر وجودها في الجزائر، ولكن بانتشار الطرقية ضعف نشاط المرابطين، بل تم دمجهم في الطريقة نتيجة ميل القبائل لهم، وبهذا أصبح لهؤلاء أيضا سلطة في الريف الجزائري، بل إنه لم يكن لأحد أن يتحرك دون بركة المرابط، وخير ما نستدل به في هذه النقطة المرابط علي بن عيسى[3]، الذي ساعد حمدان بن عثمان

1-عميراوي احميدة، ***من الملتقيات التاريخية الجزائرية***، ط.1، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 2000، ص.32.

2-المرجع نفسه، ص.34.

3-هو الشيخ سيدي علي بن عيسى، من الشخصيات ذات النفوذ الواسع، ينتمي إلى الطريقة الرحمانية، بل هو شيخها على منطقة جرجرة كلها، وقد انتشرت هذه الطريقة بعد عبد الرحمان بوقبرين في قسنطينة على يد الشيخ باشتارزي، وفي جرجرة على يد الشيخ بن عيسى، ويعد من الذين تصدوا للاحتلال الفرنسي في بداية الأمر. وهو من مريدي المرابط الشهير سيدي محمد بن عبد الرحمن، وقد أحرز شهرة كبيرة انتقلت حتى إلى مدينة الجزائر وأوساط القبائل الذين يسكنونها، وقد مات هذا الشخص العجيب في نهاية القرن الثامن عشر ودفن بالحامة، وذات ليلة اختطف القبائل جثته وحملوها إلى جرجرة ثم دفنوها في قرية قرومة (مكان مولده)، غير أن المكان الأول الذي دفن فيه ما زال محترما يزوره الناس في كل حين. ينظر: علي رضا أفندي بن حمدان خوجة، ***وصف رحلة من الجزائر إلى قسنطينة عبر الجبال عام 1832***، تعريب وتقديم: عميراوي احميدة، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، د.ت، ص.21.

-حمدان خوجة، مصدر سابق، ص.58.

خوجة أثناء رحلته من الجزائر إلى قسنطينة للتفاوض مع أحمد بـــاي (1826-1837)، باعتبـــاره واسطة بينه وبين الفرنسيين عام 1832[1].

وعلى هذا الأساس، نقول إنه كان للطرقية سلطة دينية وروحية، وأنه كان لها من الولاء الشعبي، ما يظاهي بل ما يفوق الولاء العام لنظام الحكم القائم، ويكفي أنها مهدت للوحـــدة الوطنية بتوحيدها للقبائل. وبهذا نكون قد تعرضنا لنظام الحكم غير العثماني بالريف الجزائري.

وفي الختام، نخلص إلى القول بأن نظام الحكم في الريف الجزائري، كان متعدد الأطراف، أو بمعنى آخر متعدد السلطات، وعلى رأسها السلطة المركزية التي تمثل الدولة العثمانية، أضـــف إلى ذلك السلطة الشيخية أو القبلية التي تكاد تظاهي أو تساوي السلطة المركزيـــة، بحكـــم أن الشيوخ كانوا يتصرفون في أمور رعيتهم بكل حرية وكأي حاكم عام، إذ لم حكـــم وراثـــي وأتباع من قبائل المنطقة يخضعون لهم ويعتبرونهم حكامهم الشرعيين، ولا يخضعون للبايـــات إلا اتباعا لسياسية شيوخهم، هذا فضلا عن السلطة الطرقية التي وحدت المجتمع وجعلت الريـــف يصمد أمام الاستعمار الفرنسي، في الوقت الذي كانت فيه المدينة فريسة سهلة أمامه.

بعد هذه النظرة حول نظام الحكم، أو بمعنى أصح هيكلته بالمدينة الجزائرية والريف علـى السواء أثناء العهد العثماني، نصل إلى أن النظام الإداري بالجزائر باحترامه للتسلسل التدريجـــي للمناصب الإدارية، لم يكن يقر مبدأ تفضيل عنصر على عنصر، بـــل هـــو يعكـــس مصـــالح الجماعات التي يتألف منها المجتمع، فيحافظ بذلك على نفوذها، هذا فضلا عن كونه مزيجا مـــن الأنظمة العثماني والتقاليد المحلية المتوارثة من العهود السابقة، وهذا التنظيم كثيرا ما أثار انتبـــاه المؤرخين وجدلهم، لا سيما ما تعلق بطابعه العسكري، وحسب رأيي فهذا راجع لطبيعة الأتراك العثمانيين، وميولاتهم العسكرية، أضف إلى ذلك الأخطار والثورات التي كانت تتعـــرض لهـــا الإيالة من حين إلى آخر، مما اضطرها إلى اعتماد القوة العسكرية والتي تمثلت خاصة في القـــوة المخزنية، وهو ما سنفصل القول فيه في الفصول الآتية.

1-وتتمثل مساعدته لحمدان خوجة بأن سلمه رسائل، كانت بمثابة سلاح حماه طول الطريق من بجاية إلى قسنطينة، إذ بمجرد أن يتسلمها من يعترض طريقه حتى يرفع يديه مسالما. لمزيد من المعلومات ينظر:علي رضا أفندي، مرجع سابق.

الفصـــــل الثـــاني:

المخزنية ومجال النفوذ

أولا: مفهوم المخزنية وجذورها التاريخية

ثانيا: مجال نفوذها

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يعتبر التعرف على حياة سكان الريف حجر الأساس لفهم البناء الاجتماعي للإيالة الجزائرية[1]، هذا فضلا عن كون علاقة هؤلاء السكان بالحكام، تمثل القاعدة الأساسية التي يرتكز عليها التطور السياسي، والوضع الاقتصادي للجزائر العثمانية.

ولمعرفة العلاقة بين الطرفين، لا بد من إلقاء الضوء على قبائل المخزن، باعتبارها حلقة الوصل بين الأهالي والحكام، فهي تمثل المحور الأساسي الذي ترتكز عليه سياسة الأتراك مع الأهالي.

وعليه تتبادر إلى أذهاننا التساؤلات الآتية:

ما مفهوم المخزنية؟ وكيف ومتى تشكلت؟ وما سبب اعتماد الأتراك العثمانيين على هذه القوة لمد نفوذهم في الإيالة؟ وإلى أي مدى وصل مجال نفوذها؟

وهذا ما سنحاول الإجابة عليه في هذا الفصل من البحث.

أولا: مفهوم المخزنية وجذورها التاريخية.

1-مفهوم المخزنية:

سنحاول أن نعرف بالمخزنية أو بمعنى أصح بقبائل المخزن في اللغة وفي الاصطلاح، معتمدين في ذلك على تعاريف جملة من المؤرخين الجزائريين والأوروبيين.

أ-لغة: من فعل خزن الشيء، يخزنه خزنا، أي أحرزه وجعله في خزانة، واختزنه لنفسه والخزانة اسم الموضع الذي يخزن فيه الشيء، وفي التنزيل العزيز :« وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ»[2].

1-وذلك لكون الوضعية الديمغرافية الجزائرية، تتميز بأن أغلب السكان يتمركزون في الأرياف، وقد أثبتت الوثائق وجل المصادر، بأن سكان الريف يقدرون بـ 94 % من مجموع سكان الإيالة، في حين يقدر سكان المدن بـ 6 %، ويتوزع هؤلاء إلى مجموعات عشائرية عرفت بالأعراش والقبائل تخضع لشيوخها، وتتوزع كل قبيلة على عدة دواوير وكل دوار يضم مجموعة من العائلات، قد يصل عددها إلى حوالي إثني عشرة خيمة.

2-سورة الحجر، الآية 21.

والخَزَانَة عمل المخازن، والمخزن بفتح الزاي، ما يخزن فيه الشيء، والخزانة واحدة الخزائن، وخزن المال إذا غيبه، وخزانة الإنسان قلبه، واختزنت السر أي كتمته، ونقول اختزنت الطريق أي اختصرته، وأخذ مخازن الطريق ومحاضرها أي أخذنا أقربها[1].

هذا عن معنى المخزن في اللغة، أما إذا حاولنا إسقاط هذا التعريف على مصطلح المخزنية، الذي أطلق على القبائل الموالية للسلطة العثمانية، فيبدوا أن هناك علاقة بين المعنيين، فالمخزنية مأخوذة من كلمة مخزن، والمخزن يدل على تخزين الشيء، وقبائل المخزن تعتبر بمثابة قوة احتياطية، مخزنة إن صح التعبير للسلطة العثمانية، وهو الرأي الذي ذهب إليه (Henri Leon Fey)[2]، إذ لم يشر غيره إلى تسمية مخزن. وهناك تطابق آخر مع التعريف اللغوي، وبالضبط مع كلمة خزينة، وذلك لكون مهمة هذه القبائل الأساسية هي جمع الضرائب من الأهالي، فهي على ارتباط وثيق بخزانة الدولة من خلال مهمتها، والمتمثلة في جباية الضرائب -وهذا حسب رأيي-.

ب-اصطلاحا: وسنقوم بإدراج جملة من التعريفات -لقبائل المخزن- لمؤرخين جزائريين وأوروبيين.

التعريف الأول: وهي جماعة من العبيد الموالية لأهل البلاد، يبعث بهم الأمير إلى مناطق متنوعة، فيسكنهم هناك ويعطيهم البلاد يحرثونها ويكسوهم كل عام، ويعطيهم الخيل والسلاح وهم يعسون (يحرصون) هناك مقابلين للجبال، ولا يدفعون شيئا من اللوازم والمطالب المخزنية[3].

التعريف الثاني: هي عبارة عن تجمعات سكانية اصطناعية متمايزة في أصولها، مختلفة في

1-ابن منظور، ***لسان العرب المحيط***، تقديم العلامة الشيخ عبد الله العلايلي، مج.2، ج.2، د.ط، دار لسان العرب، دار الجيل، بيروت، مادة: خَزَنَ، ص.828.

2-Leon Fey (H), ***Histoire d'Oran pendant et après la domination Espagnole***, Oran, Tupographie Addophe penier, 1858, P.274.

3-الزهار محمد الشريف، مصدر سابق، ص.48.

أعراقها. فمنها من أقره الأتراك بالأراضي التي وجدت عليها، لتكون سندا لهم، ومنها من أعطيت لها الأراضي لتستقر عليها، ومنها من استقدم كأفراد مغامرين أو متطوعين من جهات مختلفة، ليؤلف جماعة شبه عسكرية ترتبط مصالحها بخدمة الحكومة التركية[1].

التعريف الثالث: قبائل المخزن هم الذين تتولى الدولة تجهيزهم بالسلاح والمركوب، وتقوم بإعفائهم من الضرائب بوصفهم عمال مباشرين للبايلك، وهذا ما يمكنهم من تحقيق أرباح ضخمة، بوسائل شرعية يسهلها لهم تمتعهم بحماية البايلك التي لا تمنح لكل أفراد الرعية[2].

ومما يجدر بنا الإشارة إليه –قبل مواصلة التعاريف الباقية– أن صاحب التعريف الثالث أطلق لفظ مخزن على غير القبائل المخزنية، ويقصد به السلك الإداري من الداي ومساعديه والباي ومساعديه، أو كما يشير هو إليهم بقوله: «أهل المخزن هم رجال الإدارة والحكم من عسكريين وموظفين مدنيين وأصحاب الامتيازات وكبار الملاكين، وهم الذين تتشكل منهم الطبقة الحاكمة التي تشتغل وتعيش على حساب الآخرين الذين تتكون منهم الرعية... »[3].

والميلي ليس المؤرخ الوحيد الذي استعمل كلمة مخزن للإشارة إلى البايلك أو الحاكم، وأحد معانيها، إذ للفظة معاني مختلفة في مناطق أخرى، ففي المغرب الأقصى معناها الحاكم، بينما في المشرق فتطلق على القبائل الأجنبية الموالية.

التعريف الرابع: هي القوة التي اعتمد عليها القياد في استخلاص الضرائب وفرض الأمن، مقابل تمتعها بجملة من الامتيازات وعلى رأسها إعفائها من الضرائب[4].

التعريف الخامس: قبائل المخزن هي عبارة عن مجموعات سكانية شكلها الأتراك العثمانيين لتدعيم سلطتهم وهي نوعان، قبائل إدارية ذات صبغة مدنية، وأخرى إدارية ذات

1–سعيدوني ناصر الدين، ورقات، ص.258.

2–الميلي مبارك بن محمد، ***تاريخ الجزائر القديم***، ج.3، د.ط، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964، ص.293.

3–المرجع نفسه، ص.292.

4 -Gaid (M), ***L'Algérie sous les turcs***, Société nationale d'édition et division, Alger, Tunis, 1974, P. 94

صبغة عسكرية[1].

التعريف السادس: إقليم المخزن عبارة عن أراضي منحها الأتراك للمجموعات السكانية مقابل بسط نفوذهم[2].

التعريف السابع: هي عبارة عن شريحة من المجتمع، مستغلة من طرف السلطة العثمانية، مقابل الإعفاء من الضرائب، ما عدا الزكاة والعشر، وحق الشبير[3].

التعريف الثامن: وهي إحدى عناصر القوة في الحكومة الجزائرية وتتشكل من فرسان من قبائل مختلفة لتدعيم سلطة الأتراك[4]، وتعتبر قوة مأخوذة من أهل البلاد لحكم البلاد[5].

بعد التعرض لمفهوم المخزنية في اللغة والاصطلاح، نصل إلى القول بأن كل المؤرخين الذين أدرجنا تعريفاتهم، يصبون في بوتقة واحدة، ولكن بتعابير مختلفة، على أن المخزنية هي بمثابة مؤسسة قبلية حليفة للنظام العثماني، ورابطة شدت المحكوم إلى الحاكم.

2-جذورها التاريخية:

تأسست المخزنية بالجزائر بناء على النظرية العثمانية التي اعتبرت الخدمة العسكرية، من أهم واجبات المسلم، ولذلك فقد قسمت الرعية إلى فئتين: فئة تؤدي ذلك الواجب مقابل تقاضي مرتب وتمثل الأوجاق، وفئة تؤديه مقابل الإعفاء من الضرائب والحصول على بعض الامتيازات مثل عشائر المخزن ورجال التيمار[6] في الدولة العثمانية[7].

أما عن أصوله فتعود إلى العهود السابقة للعهد العثماني، فالقبائل و العائلات البربرية

1-Warnier et Carette, ***Description et division de l'Algérie***, Hachaitte et Cie Librairie de l'université Royale de France, 1847, P.44.

2- Pouyanne (M), ***Propriété Foncière en Algérie***, Alger, Jourdan, 1900 , P.291.

3-Baudicourt, op-Cit, p287.

4-Esterhazy (W), ***domination Turque dans l'ancienne régence d'Alger***, Librairie de Charles Gosselin, Paris, 1840, P.231.

5- Ibid, P.25.

6-كلمة فارسية معناها العناية بالمريض، ويقصد بها نوع من الإقطاع في الدولة العثمانية.

7-حماش خليفة، مرجع سابق، ص.136.

الكبيرة في العصور الوسطى كان لكل منها مخزن خاص، فأصول المخزنية تعود إلى تقاليد إسلامية قديمة، تبلورت خاصة في عهد الحفصيين، حيث كان هؤلاء يعتمدون على الأسر المحلية الحاكمة، لتدعيم نفوذهم، وكمثال على ما نقول نذكر أسرة بوعكاز التي منحت لها كل الأراضي الممتدة من سهل قسنطينة وعنابة شرقا إلى سطيف والمسيلة غربا ومن الأوراس إلى الزاب وورقلة جنوبا، من الحكام الموحدين والحفصيين مقابل ما كانت القبيلة تقدمهم لهم من خدمات عسكرية[1].

أما بالنسبة لأول مخزن أسس في الإيالة، فقد اختلف المؤرخون في ذلك، إذ يرجع (Federmann) أصل المخزنية أو بمعنى أصح أول مؤسسة مخزنية على مستوى الإيالة إلى خير الدين (1544-1552م)، الذي أسس أول مخزن بالتيطري بهدف تكوين دعامة للجيش النظامي من القوات المساعدة[2]، في حين يرجعه (Boyer) إلى شعبان باي (1632- 1652)، ويذهب (Vaysettes) أن أول من أسس الزمالة هو الباي رجب (1666-1674)، وقد استخدمهم في معاقبة أولاد بلعون الذين نزلوا من مناطقهم من جبال بلزمة ليحرقوا قسنطينة[3].

بعد هذه النظرة الخاطفة حول أصول المخزنية، والتي تؤكد أن النظام قديم ومساهمة الأتراك فيه تتمثل في إعادة تنظيمه، وذلك وفق سياسة دأب الأتراك على اتباعها، هذه السياسة التي برزت من خلال نوعية التأثير الذي أحدثته علاقة الأتراك بسكان الريف، وقد مر بمراحل ثلاث:

المرحلة الأولى: وتبدأ هذه المرحلة بحلول الأتراك بالبلاد، وتستمر طيلة القرن السادس عشر، وأثناء هذه المرحلة كان الحكام أمام خيارين، إما الاستعانة بالمتطوعين من فرق الزواوة، وجموع العشائر المحيطة بالمدن، وإما بالاعتماد على قبائل حليفة، تقدم لهم العون، وتوفر لهم فرق الفرسان الضرورية، مقابل ما تناله من منافع ومزايا، لكن الأتراك فضلوا الخيار الثاني، واعتمدوا على فرق الأوجاق وما انظم إليها من المتطوعين، وذلك لانعدام التجربة وقلة الخبرة

1-خير الدين محمد، ***مذكرات الشيخ محمد خير الدين***، ج.1، مطبعة دحلب، الجزائر، 1985م، ص436.

2-Federmann (H), « Notice sur l'Histoire et L'Administration du BeyLik du Titteri » in ***R.A***.1865, P.285.

3-Vayssette, op, Cit, P.131.

بالنسبة إليهم في هذا الميدان، فلم ينتفعوا بخدمات القبائل الحليفة، وبذلك اقتصر تأثيرهم طيلة القرن السادس عشر على تنصيب قواد أتراك على الأراضي الخاضعة لها، و لم يكن لقبائل المخزن دور يذكر في الأمور الإدارية والعسكرية للبلاد[1].

المرحلة الثانية: وتستغرق القرن السابع عشر بأكمله، وترتبط بتصرفات البشوات (1587-1659) التي تسبب في استتراف مواد الريف الاقتصادية لضمان حياة الرفاهية بعد أن حددت مدة حكمهم بثلاث سنوات، إذ لم يجد منفذا لرغباتهم، سوى تجريد الحملات العسكرية عن الأرياف، لفرض الضرائب الثقيلة، أين برهنت القبائل المخزنية أثناء المعارك على كفاءتها وفعاليتها.

المرحلة الثانية: وتبدأ بحلول القرن 18م إلى غاية دخول الفرنسيين الجزائر، وفي هذه المرحلة بدا الاهتمام وكذا الاعتماد على هذه القوة جليا، إذ لم يعد دورها مقتصرا على المشاركة في المحلات وإنما أصبحت الساعد الأيمن للأتراك والوسيلة الفعالة في دعم شوكتهم، بخاصة وأنه زاد اهتمام الحكام بداخل البلاد بسبب الضغوط الخارجية والاحتياجات المادية الملحة، بعد أن تناقصت غنائم القرصنة، و لم يعد الأسطول الجزائري قادرا على المحافظة على تفوقه في مياه المتوسط[2].

بهذه النظرة الخاطفة نصل إلى أن اعتماد الأتراك على هذه القوة تعود جذوره إلى العهود السابقة وإن كانوا قد حاولوا تطويره وفق احتياجاتهم وامكانياتهم.

3-سبب اعتمادها كقوة موالية للسلطة

هناك جملة من الأسباب، جعلت الأتراك العثمانيين، يتخلون نسبيا عن خدمات الجيش النظامي، ليعتمدوا على القبائل المخزنية، وتتمثل في:

1-سعيدوني ناصر الدين، ***ورقات***، مرجع سابق، ص.259-260.

2-المرجع نفسه، ص.261.

أ-الوضع المادي الممتاز الذي كان يعيشه أفراد الطائفة التركية، جعلها تعمل على الحفاظ على امتيازاتها ومصالحها الخاصة، وذلك بالتقليل من عدد الجيش المرتزق، وعدم الإكثار من جلب المجندين من الأناضول، لأن عملا مثل هذا يضطرهم إلى صرف أجور كثيرة ومصاريف إضافية، تنقص من ثرواتهم ومواردهم الخاصة، جعلهم يلجأون إلى قبائل المخزن ليعوضوا بها القوة العسكرية الضرورية لحفظ الأمن، ويوفرون عن طريقها تلك المصاريف والنفقات التي هم في غنى عن إنفاقها[1].

ب-ضآلة العنصر التركي، دفع الحكام إلى استخدام قبائل المخزن لتكون لهم سندا داخليا وقوة حليفة، بعد أن عجزوا عن تجنيد أكثر من 12000 رجل من أتراك وكراغلة في أوقات الحرب، بعد أن وصل عدد المخازنية إلى 30.000، في حين لم تكن قوة الجيش الانكشاري، تتعد 4.000 أواخر وجوده بالجزائر[2].

ج-اعتماد الحكومة العثمانية على قوة القبائل المخزنية القادرة على التحرك والتهيئة للقتال في كل وقت، بعد أن لم تعد تتلقى أي دعم مادي أو بشري من مركز السلطة العثمانية، وقد استطاعت بفضلها، فرض سيطرتها، ومد نفوذها على جهات كثيرة من الإيالة، كما تمكنت من استخلاص الضرائب وإخضاع الثائرين[3].

د-رغبة السلطة العثمانية في التقليل من عداء بعض القبائل لها، فقامت بإدراجهم ضمن المخزنية بإعطائهم الحق في القيام بمراقبة المنطقة التي شهدت ثوراتهم، فبهذا العمل، أمن البايلك ثورات القبائل المشاغبة وتخلص من المشكلات التي كانوا يثيرونها، بل وانتفع رجال البايلك من نشاطها الجديد عندما أمكن لهم مراقبته وتوجيهه لإخضاع بعض المناطق الجبلية أو الصحراوية.

وهناك أمثلة كثيرة عن إدراج بعض القبائل ضمن المخزنية، نذكر منها: عشيرة أولاد عياد وعلى رأسها عائلة فرحات في السرسوا جنوب الونشريس، التي أصبحت تمارس نفس

1-Warnier et Carette, op-Cit, P.46-47.

2-عميراوي حميدة، ***علاقات بايلك الشرق***، مرجع سابق، ص.37.

3-Warnier et Carette, idem, P.49.

مهام قبائل المخزن بمراقبة قطاع أولاد عنتر وأولاد هلال. ونذكر أيضا قبيلة أولاد مختار، رغم منافسة قبائل بوعياش وأولاد شايب[1]، وأيضا أولاد سيدي عبد الله في الجهات الشرقية من بايلك التيطري، إذ أصبحوا ينتمون إلى قبائل المخزن بعد أن أصبغ البايلك على لصوصيتهم صبغة شرعية وأوكل إليهم مراقبة المنطقة الممتدة بين سيدي عيسى وبوسعادة[2].

هذه باختصار جملة من الأسباب التي جعلت الأتراك يعتمدون على القبائل المخزنية لمد نفوذهم.

ثانيا: مجال نفوذها

1-مواقع تمركزها:

يرجع مدى توغل الأتراك العثمانيين داخل الإيالة، وقوة شوكتهم إلى اعتمادهم الكبير على فرسان المخزن، الذين كانوا بمثابة السلاح الذي تجرده ضد المتمردين والمناهضين لحكمها، ولهذا فقد جعلوا هذه القبائل تتمركز في أمكنة استراتيجية ومواقع هامة ونقاط حيوية هي كالأتي:

- حول الأبراج التي كانت تقيم بها الحاميات التركية الصغيرة، أين يكونوا على أهبة الاستعداد لحمل السلاح متى طلب منهم قائد الحامية ذلك[3]. ومن أشهر القبائل التي كانت تقيم حول الأبراج والحصون نذكر هاشم ببرج بوعريريج، عمراوة ببرج سباو، أم نائل ببرج يسر، والخشنة ببرج تنية بني عائشة[4].
- تستقر كذلك على مقربة من الطرق الرئيسية التي كانت تربط بين البايلكات الثلاثة ومركز السلطة العثمانية وفيما يلي نذكر أهمها[5]:

1-Boyer, op-Cit, P.25.

2-Ibid. P.26.

3-Wannier et Carette, op-Cit, P.47.

4-سعيدوني ناصر الدين، *ورقات*، مرجع سابق، ص.268.

5-Warnier et Carette, Idem, P.50.

-على الطريق الرابط بين الجزائر ووهران: نجد القبائل المخزنية الآتية:

- مخزن بوحلوان بالقرب من مليانة.
- أولاد الصحاري في مركز الشلف.
- مخزن بن يحي على واد الروينة.
- زمالة الحاج البغدادي على واد الفضة.
- زمالتان عند ملتقى واد إسلي بالشلف.
- عزارة وزمالة الحاج المدة عند ملتقى واد ريو.
- زمالتان بين الشلف والمينة.
- مكاحلية على المينة.

-على الطريق الرابط بين الجزائر وقسنطينة: نجد القبائل التالية:

- مخزن الزواتنة على ضفاف واد الزيتون.
- مخزن الخرشاوة إلى ابن حرون على واد سفلات.
- مخزن العريب على واد كحال.
- هاشم بالبرج.
- مخزن الغرازلة الغربية بعين الترك.
- العثامنية (حامية كرغلية بسطيف).
- دايرة واد الذهب.
- دايرة السراوية وبوصلاح[1].

-كما أنها كانت تستقر كذلك بالقرب من الطرق الثانوية الرابطة بين مراكز البايلك والمـــدن الأخرى، وفيما يلي نذكر أهمها[2]:

- على الطريق الرابط بين قسنطينة وعنابة: توجد دايرة الزناتية.
- على الطريق الرابط بين قسنطينة وتونس: توجد زمالة بنبي مراد.

1-Warnier et Carette, op-Cit, P.51.

2- Ibid., P.52.

- على الطريق الرابط بين الجزائر وعنابة: وفيه نقل مخزن الخشنة وأم نـــايل إلى أولاد يســر وأولاد العمراوي.
- على الطريق الرابط بين وهران ومعسكر: يوجد فيه الوكلاء في غابة مولاي إسماعيل.
- جنوب المدية يوجد مخزن البرواقية المكونة من العبيد والدوابر.
- بالقرب من الخوانق الجبلية والممرات الصعبة عند الجسور والقناطر الرئيسية، ومـــن أهـــم الممرات والفجاج الجبلية التي استقرت بالقرب منها تلك القبائل: ممر سور الغزلان حيـــث قبيلة العريب، وممر الكنتور بين السطورة وقسنطينة، وتحرصهم قبيلة أولاد إبراهيم المخزنيـة، وممر رأس العقبة بين قالمة وقسنطينة وتحرسه دايرة الزناتية، وكذلـــك مضيـــق واد يســـر، ومضيق واد الجر المراقب من طرف مخزن بوحلوان ومضايق واد مينة وتراقبه مجموعات مخزن المكاحلية[1].

أما القناطر والجسور الهامة التي كانت تستقر حولها مجموعات المخزن فنذكـــر منـــها: قنطرة يسر حيث مخزن الخشنة وقنطرة الشلف الكبرى، حيث مخزن أولاد الصحاري.

- عند محطات القوناك (Konaq)[2] المقامة عادة عند نهاية كل مرحلة من مراحل الطريـــق، وهذه المحطات كانت عبارة عن مجموعة من الخيام تقيمها قبائل المخزن لتكون مأوى ومكانـــا أمينا تحط به القوافل رحالها، وتستريح عنده فرق الأوجاق المتوجهة من أو إلى الجزائـــر مـــن إحدى مراكز البايلك والحاملة للدنوش (الأكبر أو الأصغر)، كما تستخدم هذه المحطات أيضـــا لتوقف حاملي البريد والضرائب وبعض المسافرين[3].

- في النقاط التي تمر بها المحلات الفصلية عند قيامها بمهام جمع الضرائب أو عند خروجـــها لمعاقبة الثائرين وكذلك في الأماكن التي تتكرر فيها الثورات والهجومات على موظفي الحكومة،

1-القشاعي فلة، ***النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني***، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، ص.137.

2-القوناق (KONAQ)، محطة مؤلفة من خيام قبائل المخزن مهيأة لاستقبال القوافل وتقدم المأوى لفرق المحلى الفصلية التي تحمل الضرائب وتجوب البوادي.

3-القشاعي فلة، المرجع السابق، ص.138.

ونذكر منها: قبائل مخزن ميلة وجميلة وساباو وبوغنى ويسر والخشنة وعين يوسف والبرواقية وبوغار. لأن البايلك استطاع بفضلها أن يبقي جرجرة والتيطري في هدوء وسكينة لمدة طويلة، كما استطاع كذلك صالح باي (1771-1792). ومن بعده الحاج أحمد باي (1826-1837) أن يقمع ثورات الأوراس والهضاب العليا الشرقية بإسكان قبائل الزمول بالهضاب العليا وسفوح الأوراس الشمالية[1].

- في المواقع الحساسة والمهددة بهجمات الإسبان وغارات المغاربة باستمرار، كالسهول الوهرانية التي عرفت استقرار قبائل المخزن من زمالة ودواير.

هذا عن مراكز استقرار عشائر المخزن، والتي نلاحظ أنها تنتشر عبر جميع أنحاء الإيالة وبالقرب من كل الطرق والممرات والجسور والأبراج والحصون، ولهذا فقد حاولنا القيام بعملية مسح شاملة لأهم القبائل المخزنية على مستوى البايلكات الثلاثة، وذلك بإحصائها وتعرض لأصولها ومقوماتها العسكرية، مع الإشارة إلى أننا سنلقي نظرة شاملة على كل بايلك، وهو ما سنتعرض له في العنصر الموالي.

2-أهم القبائل المخزنية بالبايلكات الثلاثة

2-1-لمحة عامة عن البايلكات:

2-1-1-بايلك الشرق:

يعتبر بايلك الشرق وعاصمته قسنطينة، من أهم بايلكات الإيالة، وذلك لاتساع رقعته الجغرافية، إذ يمتد من البحر شمالا إلى ما وراء بسكرة وواد سوف وتقرت وورقلة في حوض واد ريغ، وايغرغر جنوبا، ومن الحدود التونسية شرقا إلى ما وراء إقليم ونوغة، وبرج حمزة وأعماق جرجرة غربا[2].

1- Rinn (L), Op.Cit, P.33.

2-بوعزيز يحيى، "الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر"، *مجلة الثقافة*، ع80، رجب 1404هـ/أبريل 1984، ص.60.

هذا فضلا عن كونه أغنى البايلكات، فالضريبة الفصلية أو السنوية –والمتمثلة في الدنوش الكبير أو الصغير– التي تتلقاها دار السلطان يكون النصيب الأكبر منها من هذا البايلك، وقد قدرها د.شو بـ80إلى 100 ألف سكة[1].

أما عن دخول الأتراك العثمانيين إلى قسنطينة[2]، فلم يكن مرتبطا بتاريخ معين، بل كان على مراحل، وبعد عدة محاولات، إذ رغم وصول القوات العثمانية إلى مشارف المدينة واستقرار حاميات عسكرية بالقرب منها، فإنهم لم يتمكنوا من دخولها والاستقرار بها إلا عام 1534[3]، ولعلّ الاستقرار الفعلي لم يكن إلا في عام 1640[4]، ذلك وأن الوجود العثماني بالمدينة لم يكن إلا رمزيا وغير مستقر.

وبالنسبة للتنظيم الداخلي للبايلك، فهو نفسه في جميع البايلكات، وذلك فيما يخص هيكل الحكم، وقد سبق وأن أشرنا إلى ذلك في الفصل الأول، ويتلخص في كون الباي هو القائد الأعلى، ويساعده في أداء مهامه مجلس إداري يدعى ديوان الباي، ويتكون من موظفين إداريين سامين، يتصلون به بصفة مباشرة، ويشتركون معه في اتخاذ القرارات وهم: الخليفة، قائد الدار، المقتصد، قائد الدايرة أو آغا الدايرة، الباش كاتب أو الكاتب العام، الباش سيار، الباش سائس أو قائد الزمالة، الباش شاوش، خوجة الخيل، الباش سراج. ولتسهيل إدارة البايلك الذي كان شبه مستقل عن الإدارة المركزية، قسم بدوره إلى مجموعة من الوحدات الإدارية تمثلت في المدن بالنسبة للحضر، وكان على رأسها قائد يدعى بقائد الدار، ويساعده في أداء مهامه شيخ البلد.

1-D. Shaw, Op.Cit, P.108-109.

2–وقد قامت جماعة من المؤرخين الفرنسيين بدراسة الموضوع للفصل فيه، وتوصلوا إلى أن دخول العثمانيين إلى قسنطينة كان عام 1520 –وهذا حسب فايسات وفيرو–، وأرجعوا ذلك إلى وثيقة تعود إلى نفس التاريخ وتضم أمر من خير الدين باشا إلى قائده يرسله فيها إلى قسنطينة ليعيدها بعد تمردها، ولعلّ هذه الوثيقة هي التي قام برسيني بترجمتها ونشرها في المجلة الإفريقية 1856. ينظر:

Berbruger (A), « Epoque de l'établissement des turcs à Constantine », in ***R.A***, 1856-1857, P400.

3-Mercier, ***Histoire de Constantine***, Op.Cit, P.193.

4–العنتري محمد الصالح، ***فريدة مؤنسة حال دخول الأتراك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها***، مراجعة وتقديم وتعليق: يحيى بوعزيز، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص.74.

أما بالنسبة للريف، فكانت القرية تمثل غالبا الوحدة الإدارية، ويديره قائد الوطن[1]، ويقع تحت سلطته شيخ القبيلة، باستثناء شيوخ الأسر الحاكمة[2]، فهؤلاء كانوا يخضعون مباشرة لسلطة الباي، الذي لم يكن عليهم نفوذ غير تزكية حكمهم —وقد أشرنا إليهم في الفصل الأول عند حديثنا عن نظام الحكم عبر العثماني-، وتتمثل مهامه في إحصاء الأراضي لتحديد قيمة الضريبة ومراقبة القبائل وفض النزاعات، ولكن رغم ربط الريف بالسلطة المركزية، إلا أنه يظل خاضعا بصفة عملية لسلطة شيوخ القبائل السالفة الذكر.

وكان الريف القسنطيني مقسم إلى أربع مناطق كبرى[3]:

أ-من قسنطينة إلى حدود تونس: وتضم القبائل الآتية: الحنانشة، يحيى بن طالب، عمار

1-كلمة تعني موطن القبيلة ثم اتسع مدلولها ليشمل الريف كله، والقياد بهذا البايلك هم: قائد الحراكتة أو القائد العواسي وتحته 32 قبيلة صغيرة، قائد الزمول وتحته حوالي 20 قبيلة، قائد الأوراس وتحته 12 قبيلة، قائد عامر الشراقة وتحته 6قبائل، شيخ الدير أو يحيى بن طالب بتبسة، شيخ بلزمة وتحته 13 قبيلة، قائد أولاد إبراهيم وتحته 11قبيلة، قائد سكيكدة وتحته 9 قبائل، شيخ فرجيوة وتحته 6 قبائل، شيخ الزواغة وتحته 4 قبائل، قائد أولاد عبد النور وتحته 31 قبيلة، قائد أولاد التلاغمة، قائد عامر الغرابة وتحته 5 قبائل.

2-كانت هذه الأسر ببايلك الشرق وهي:

أ-أسر بوعكاز الدواودة: شيوخ العرب وحكام الصحراء، وهي تنتمي إلى قبيلة الدواودة الهلالية من فرع رياح واستقرارها الأول كان على يد الجد الأول مسعود بن سلطان الملقب بالبط.

ب-أسرة أحرار لحنانشة: حكام الحدود الشرقية للبايلك، وهي نسبة إلى الجد حناش المنحدر من قبيلة هوارة البربرية.

جـ-أسرة المقراني: حكام بجانة، وتعود أصولها إلى الأدارسة أشراف المغرب الأقصى، وقد نزح الكثير منهم للاستقرار بالمغرب الأوسط.

د-أسرة بني جلاب: حكام تقرت بجنوب البايلك، وتعود أصولها إلى بني مرين بالمغرب الأقصى، إذ أن حاجا مغربيا من بني مرين يدعى سليمان استقر بتقرت، ولما أعجب حاكمها وهو المرابط محمد بن يحيى، قربه إليه وجعله خليفة له في الحكم، وبذلك استولى الحاج سليمان على حكم تقرت بعد وفاة حاكمها.

هـ-أسرة ابن قانة: شيوخ العرب وحكام بسكرة، والنسب الشريف هو ما تمسك به أفراد هذه الأسرة، وأكده شيخهم بوعزيز بن قانة في كتابه بأن أسرته تنتسب إلى الرسولﷺ.

ينظر: -ابن خلدون، ***العبر وديوان المبتدأ والخبر***، ج.6، ط.3، دار الكتاب اللبناني، بيروت. 1983 .

-معاشي جميلة، مرجع سابق.

3-Temimi (A), ***Le Beulik de Constantine et Hadj Ahmed Bey (1830-1837)***, Publication de la revue d'histoire Maghrébine, VI, PP.49-50.

الشراقة، أولاد زناتي، النمامشة، وكانت هذه القبائل تمتنع عن دفع الضرائب بخاصة يحي بن طالب، مما يضطر الباي إلى إرسال قبائل المخزن إليها.

ب–من قسنطينة إلى سلسلة البيبان: وتضم أولاد عبد النور، التلاغمة، المجانة، عمار لغرابة، وكانت تدفع الضرائب بشكل منتظم.

جـ–من عنابة إلى بجاية: وتشمل الجبال الممتدة على طول الساحل بين المدينتين بعمق 60 إلى 72 كلم، وتضم: الزواغة، فرجيوة، ساحل البابور، وكان سكان المناطق الجبلية يمتنعون عن دفع الضرائب، في حين يدفع سكان باقي المناطق بالقوة خوفا من المحلات التأديبية كمثال على ذلك رجال بن عيسى الذين كانوا يقومون بالمهمة أيام أحمد باي.

د–جنوب مدينة قسنطينة: وتضم الحراكتة، السقنية، الزمول، أولاد سلطان، أولاد سحنون، وكانت جباية الضرائب في هذه المناطق لا تكون إلا بالقوة العسكرية.

2–1–2–بايلك الغرب:

إنّ ما يسمى بايلك الغرب يمتد ما بين المملكة المغربية غربا وبايلك التيطري ودار السلطان شرقا والبحر الأبيض المتوسط شمالا والصحراء جنوبا.

ويعود تاريخ ظهوره كتقسيم إداري إلى النصف الأول من القرن السادس عشر، حيث تم تقسيم البلاد إلى ثلاثة بايلكات، تسهيلا للحكم، وقد حدث ذلك خلال حكم حسن باشا بن خير الدين (1540–1552) سنة 1563، أصبحت عاصمة البايلك مازونة وابن خديجة باي، وذلك لتوسطها القبائل بين مستغانم وتنس[1]، ثم تغير الوضع السياسي في القرن الثامن عشر، وأصبحت معسكر العاصمة عام 1701، ثم وهران في الفتح الأول سنة 1708، ثم مستغانم سنة 1732، وبعد ذلك عاد المقر إلى معسكر عام 1737، لينتقل في الأخير إلى وهران بعد الفتح الثاني سنة 1792[2].

1-Esterhazy, ***Domination Turque***, Op.Cit, P.165.
2-Dr. Show, Op Cit, P.103.

إن عاصمة البايلك لم تكن مستقرة، فقد انتقلت من مكان إلى آخر، ففي البداية كانت مازونة مقرا، وخلال تولي هذه الإيالة مصطفى بوشلاغم (1700-1732) لجأ إلى الجمع بين مازونة في شرق المقاطعة وتلمسان بغربها، وأصبحت معسكر عاصمة البايلك عام 1701، لينتقل لمحاصرة وهران، وقد تمكن من تحريرها في عهد الداي محمد بكطاش (1707-1710)، لكن حكمه لها لم يستمر طويلا حيث استعادها الإسبان، وهو ما جعله ينتقل إلى مستغانم متخذا منها عاصمة البايلك حتى وفاته. ثم انتقل مقر الباي إلى مدينة معسكر وذلك لموقعها الاستراتيجي، إذ تتحكم في المسالك التجارية، وتحيط بها قبائل بني راشد المخزنية، ولقربها من وهران مما يسمح للبايات بمحاصرتها ومراقبة تحرك الإسبان، وأخيرا انتقل المقر إلى وهران بعد الفتح عام 1792 في عهد محمد الكبير[1].

كان الطابع المميز لتنظيم وهران هو الطابع العسكري، نظرا للمنافسات والحروب التي نشبت بين الأتراك وسلاطين المغرب الأقصى من جهة، ونظرا لمتطلبات الدفاع العسكري ضد القاعدة الحربية الإسبانية في وهران والمرسى الكبير، ومن هنا كانت فرق وهران دائما على أهبة الاستعداد للحرب، وهذا الوضع جعل تنظيم البايلك أكثر سهولة من جهة، وأشد قوة من جهة أخرى، باستثناء أولاد عامر ومجاهر الذين كانوا تابعين مباشرة لإدارة باي الغرب[2].

كان بايلك وهران مقسما بين ثلاث مسؤولين كبار، يتسلمون الضرائب ويعينون القياد وهم: أغا الدوائر، أغا الزمالة، والخليفة، والواقع أنه كان يوجد أربعة أغاوات، اثنان من الزمالة واثنان من الدوائر، يتقاسمون العمل، بحيث لا يباشره إلا اثنان فقط في الوقت الذي يستريح فيه الآخران[3]، وكانا مجبرين على تنسيق العمل بينهما، لأن السكان الواقعين تحت نظر هذا متداخلون مع السكان الواقعين تحت نظر ذينك. وقد كان تحت قيادة آغا الدوائر: الزمالة، الغرابة، مجاهر، فليتة، اليعقوبية، دايرة كبيرة، الدوائر، بني عامر، جميع قبائل الجهة الغربية إلى

1-الوليش فتيحة، ***الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر***، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1993، ص.17.

2-الميلي مبارك، مرجع سابق، ص.297.

3-Esterhazy, ***Domination Turque***, Op.Cit, P.267.

وجدة ما عدا تلمسان، بني وعزان أولاد الميمون، أولاد بالغ، بني مطهر، الجعافرة، الغرابة، وسائر الحشم والبرجية وغيرهم. أما آغا الزمالة ويعرف بالقائد الكبير، فكانت تخضع له الغرابة اليعقوبية، مجاهر، حميان، دايرة[1]. وقد تعمد الأتراك إيجاد هذا التدخل، حتى إذا فكر أحدهما في التمرد، أمكن إحباط مشروعه بواسطة الآخر، في كل نقطة من نقاط سلطته. وجريا على التنظيم الإداري المركزي، فقد كان للباي –الذي هو أعلى منصب في الهيكل كما سبق وأن ذكرنا– مساعدين من العرب والأتراك، إذ اعتمد على الأتراك في الشؤون العسكرية، وهو ما كان موجود في بايلك الشرق وبايلك التيطري، هذا فضلا عن وجود قوات عسكرية نظامية تساعد الباي –وترتكز بخاصة على الجيش الإنكشاري–، على الرغم من اتساع المخزن الحكومي ببايلك الغرب وعدد القبائل الكبير الداخلة في نطاقه[2].

2–1–3–بايلك التيطري:

يعد بايلك التيطري أصغر البايلكات، إذ تبلغ مساحته ربع مساحة قسنطينة[3]، ونصف مساحة تلمسان[4]، تبدو حدوده في مليانة شرقا، ويمتد إلى وجدة[5] غربا، يحده شمالا الأطلس البليدي، جنوبا الأطلس الصحراوي وغربا الشلف، وشرقا جبال ونوغة[6].

ويعود تأسيس هذا البايلك إلى بابا أوروج، والذي يعرف عادة باسم عروج، الذي أخذ مدينة المدية –وهي عاصمة البايلك– عام 1517، وجعل بها حامية تركية، ولكن يبقى أن

1–بن عودة المزاري، ***طلوع سعد السعود في أخبار وهران وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر***،تحقيق: يحي بوعزيز،ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص.271–272.

2–الزياني محمد بن يوسف، ***دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران***، تقديم وتحقيق: المهدي بوعبدلي، د.ط، الشركة الوطنية للطباعة والتوزيع، 1978، ص.228.

3–حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص.100.

4–إسكندر محمد المختار، ***المدية بين القديم والحديث***، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، مديرية الدراسات التاريخية وإحياء التراث، ص.37.

5–وجدة: مدينة مغربية قريبة من الحدود الجزائرية، مشهورة بزراعة الحبوب والزيتون.

6-Kaddache (M), Op.Cit, P.127.

تأسيس هذا البايلك كان على يد حسن باشا بن خير الدين (1546-1567)[1]، ويعتبر رجب باي (1548-1633) أول باي على بايلك التيطري، وخلفه 17 بايا[2] حتى عام 1775، وهي المرحلة التي كان فيها البايلك مستقلا عن دار السلطان، فمنذ ذلك العام انفصلت عن باي التيطري بلاد القبائل، وقبائل سباو، ويسر وما بقي من القبائل لم يكن تابعا له بشكل مباشر، فبعضهم أصبح تابعا لآغا العرب بدار السلطان والبعض الآخر تابع لخوجة الخيل، في حين كان الباي تابعا مباشرة للداي[3]، وبهذا يكون البايلك قد عرف تقسيما جديدا هو كالآتي:

- في الشمال التل الظهراوي: ويتشكل من سبعة أوطان تضم سبع قبائل، وهي: بني حسن، حسن بن علي، بويعقوب، عوامري، ريغة، هوارة، وزرة[4].
- في الجنوب التل القبلي: وبه يوجد التل المهجور الذي يمتد إلى غاية حدود الهضاب العليا ويضم قبائل العبيد والدوائر المخزنية.
- في شرق هذه القبائل: توجد قيادة الديرة وكانت تمنح لأقرب واحد من الباي.
- أما جنوب البايلك: فتسكنه قبائل الرحل[5] كأولاد نايل، وتوجد به قيادة أولاد مختار مع حامية تركية صغيرة[6].

1-يشير (Federmann) إلى أنه اعتمد -في تحديد تاريخ تأسيس البايلك- على وثيقتين أصليتين تعود الأولى إلى عام 1548، وورد فيها قرار من رجب باي التيطري يعفي فيه الشرفة (الأشراف) من دفع الضرائب. وأما الثانية فتعود إلى عام 1551، وقد ورد فيها تكليف للقائد يحيى بن حمزة من طرف أمير الأمراء حسن باشا بن خير الدين بتنظيم مداخيل بيت المال، إذ قام بعقد مصالحة مع أعيان المدينة، بأن يدفعوا ألف دينار إلى دار السلطان، مقابل إعفائهم من دفع المستحقات السابقة.

ينظر: Federmann(H), « Notices sur l'histoire et l'administration de Titteri », ***RA***, 1865, P282.

2-هؤلاء البايات هم: شعبان باي (1633-1692)، محمد باي (1692-1706)، سليمان باي (1728-1734)، عثمان باي (1734-1744)، علي باي (1744-1746)، محمد باي (1746-1759)، إبراهيم باي (1759-1760)، الحاج علي باي (1760-1762)، يحيى باي (1762-1763)، عثمان باي (1763-1766)، علي جنويز باي (1766-1767)، إسماعيل باي (17-1767)، سولفاز باي إلى غاية 1775. ينظر: Federmann, Op.cit, P.284.

3-Boyer, Op. Cit, P.20.

4-Rinn, Op. Cit, P.16.

5-Boyer, Idem, P.21.

6-Kaddache (M), op. Cit, P.127.

أما عن التنظيم الإداري لبايلك التيطري، فقد تميز -عن البايلكين الآخرين- بوجود حاكم للإشراف على المدينة بجانب الباي[1] المكلف بشؤون المقاطعة، وقد أدى ذلك إلى الإنقاص من سلطته والحدّ من نفوذه[2]، حتى أن حمدان بن عثمان خوجة وصفه نظرا لهذا الوضع بأنه أضعف وأفقر من أمين جماعة ميزاب[3]. وقد يرجع هذا لقرب المدية من العاصمة، وخوف الداي وديوانه من أن يشكل ذلك خطرا على سلطته، نظرا للوضع الجغرافي للمدية بالنسبة لباقي مراكز البايلك، ولكن هذا لا ينفي أن مقاطعة التيطري كغيرها من المقاطعات، كانت تقدم الدنوش الصغير والكبير، إذ بلغ هذا الأخير 7600 سكة، هذا فضلا عن زكاة الغنم لبيت المال، وعشور البلدة، والذي كان عبارة عن عولة (كسكسي) محمصة، والتي كان لها وكيل يعرف بوكيل العولة، يقدمها إلى دار الإمارة في كل شهر[4]، ليحصل الباي في بعض الأحيان أثناء عودته من تقديم الدنوش بقفطان مقابل دفع 23000 بوجو للخزينة و24000 أخرى كهدايا، هذا فضلا عن الحبوب والأحصنة ...[5].

أما عن القوة العسكرية التي كان يملكها باي التيطري، فكانت تتمثل في:

-50 صبايحي و15 مكاحلي: ويتركب منهم حرسه الخاص.

-نوبة المدية والتي تتركب من 5 صفارة (أي ما يقارب 120 جندي)

-قوة احتياطية من 200 زبنطوط.

-حامية سور الغزلان، والتي تتركب من 30 جندي و60 احتياطي[6].

1-رغم كونه يتمتع بكل ما كان لكل من باي بايلك الشرق وبايلك الغرب من حرس خاص وموسيقى خاصة وألوية...إلخ. ينظر: Rinn, Op. Cit, P.15.

2-سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية، مرجع سابق، ص.242.

3-بنو ميزاب، كانوا يأتون إلى مدينة الجزائر كعمال يشتغلون بأحقر المهن. ينظر: حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص.98.

4-إسكندر محمد المختار، مرجع سابق، ص.40.

5-Kaddache, Op. Cit, P.132.

6-Rinn, Op. Cit, P.16.

وهذه القوات كانت مقسمة إلى 4 قيادات[1]:

-قيادة التل الظهراوي

-قيادة التل القبلية

-قيادة سور الغزلان أو الديرة

-قيادة الجنوب وأتباع أولاد مختار

كانت هذه نظرة عامة حول البايلكات الثلاثة، وسنتعرض في النقطة الموالية إلى أهم القبائل المخزنية بها.

2-2-قبائل المخزن بها:

2-2-1-بايلك الشرق:

نظرا لما تميز به بايلك الشرق، من مناعة جباله واتساع صحاريه، فقد عجز الأتراك -في وقت من الأوقات- عن السيطرة عليه بالقوة العسكرية، ولذلك فقد لجئوا إلى وسائل عديدة، تمثلت أهمها، في أنهم يدفعون بالجماعات التي يتمكنون من هزمها في السهول، بعيدا عن أراضيهم، ليقوموا بإقطاع الأراضي لبعض القبائل التي دخلت تحت لوائهم، لتقوم بالمقابل بخدمتهم ومساعدتهم في بسط نفوذهم على كل ربوع البايلك، وتلك القبائل هي قبائل المخزن[2].

وأصل هذا النظام -كما سبق وأشرنا- ليس وليد العهد العثماني، بل هو قديم يعود إلى العهود الإسلامية السابقة، ومساهمة الأتراك فيه تتمثل في إعادة تنظيمه، ويرجع (Federmann) أصل هذا النظام إلى خير الدين باشا، في حين يرجعه (Boyer) إلى شعبان باي، ويذهب (Vaysette) إلى أن أول من نظم الزمالة هو الباي رجب[3].

ومما يجدر بنا ذكره، أن شبه التجانس الذي يلاحظ ضمن مجتمع قبائل المخزن، لم يبرز

1-الميلي مبارك بن محمد، مرجع سابق، ص.296.

2-المرجع نفسه، ص.298.

3-Vayssette, Op. Cit, P.131.

بمحض الصدفة، بل جاء كنتيجة فعلية لسياسة مخططة ومرسومة، سلكها الأتراك، بأن ربطوا هذه الأشتات البشرية التي كانوا يجمعونها من مناطق مختلفة[1]، بالمصلحة المشتركة والامتيازات المختلفة، وقد كانت السلطة العثمانية تستغل انفصال بعض القبائل لتجعل منها قبائل موالية لها، هذا فضلا عن كون البعض منهم كراغلة أو من أصول تركية أو حتى من المغرب الأقصى.

أما بالنسبة لأهم القبائل المخزنية لبايلك الشرق، فسنقوم بإحصاء أهمها بتقسيمها إلى مجموعتين -حسب ما أورد ذلك "رين"-: المجموعة الأولى، وتضم المخازنية المكلفين بالعمليات العسكرية، والمجموعة الثانية، تضم المخازنية المزارعين،أي أصحاب الإقطاعات[2]. وهذه القبائل هي:

- **مخزن قسنطينة:** وهو عبارة عن منازل حربية تابعة للباي تضم 30 مكاحلية و50 مزارقية.
- **مخزن الحراكتة**[3]: وكانوا على استعداد دائم بتزويد قائدهم الذي يعرف بقائد العواسي حتى بـ4000 فارس من القوم[4]، وهذا المخزن مشكل من 26 فرع هي: عين الديس، سيدي رغيس، توزلين، عين ببوش، الواسعة، الحاسي، مدفول، عين الزيتون، فكرينة، ولمان، عين البيضاء، مسلولة، الرحية، قرن حمار، المشتة (ويعرف اليوم باسم مشتة عرقوب الضبوعة أو مشطاب)، راس الزبار، الضلعة، واد نيني، متوسة، بغاي، عين طويلة، عين الظب، بئر

1-فمنها من أقره الأتراك بالأراضي التي وجدت عليها، ومنها من منحت لها الأرض لتستقر عليها، ومنها من استخدم كأفراد مغامرين أو متطوعين من مختلف الجهات، ليكتسبوا كيانا مستقلا، ولم تعد تعرف من أنسابها القديمة ومواطنها الأصلية إلا ما علق بتسمياتها كالصحاري والغرازلة وهاشم والعبيد والعثامنة...إلخ، في حين اتخذ بعضها تسميات محلية استمدتها من مواطنها الجديدة أو من وظائفها أو من نوع السلاح الذي كانت تحمله كالزواتنة لتوطنهم واد الزيتون، والمكاحلية لاشتهارهم بالسلاح، والدوابر والزمول نظرا للمهام التي كانوا يمارسونها والتنظيم العسكري الذي استقروا ضمنه. ينظر: Pouyanne, Op. Cit.

2-Rinn, Op. Cit, P.21-22.

3-وينقسم الحراكتة إلى: أولاد سيوان، أولاد خنفر، أولاد سعيد، أولاد عمارة، وتضم هذه المجموعات 32 قبيلة. ينظر:

Féraud (Ch), « Ain Baïda, Province de Constantine », ***R.A***, 1872 .

4 -جماعة من القبائل تقوم بالحراسة.

بوحوش، ترقالت، الزرق، سدراتة.

- **دواير الآغا:** وهي دائرة الواد، (أولاد فلاح، وأولاد زرارة)، واد بوصلاح، فـــج مزالة، دائرة السراوية، دائرة الزناتية، (واد زناتي، عين عبيد)، وتضم هـــذه الدوايـــر 1000فارس.
- **الزمول:** مشكلة من 500 فارس، وهي تحت قيادة قائد تركي وتضـــم الكواشـــي، أولاد زواي، مروانة، عين مليلة[1].
- **أولاد عبد النور:** وتضم أولاد الحايف، براسة، أولاد زرقة، أولاد العـــربي، أولاد بلخير، أولاد زايم، أولاد بلهوشات، أولاد بوعفان، أولاد مخنشة، العلمة.
- **تلاغمة:** وهي قبيلة صبايحية تضم راس سقين، مغلسة.
- **دمبور وعرب الشتاية:** وتضم البدو، واد العثانية ودمبور.
- **العلمة (مسلة):** وتضم 50 من المخازنية، حول واد سبيخة.
- **ساحل سطورة أو بني مهنا:** ويضم هذا المخزن 50 فارس وهم بني بشير، بني بشـــلر بواد القصب، عين غراب وعرب الحدارة.
- **ساحل سكيكدة:** ويضم 200 فارس وهو مشكل من أولاد عطية، أولاد معاويـــة، القرازلة، أولاد مسعود.
- **مخزن القرفة:** ويضم 200 فارس.
- **دايرة واد الذهب:** وتضم 25 فارس، وهي مشكلة من بني فودة، عين الكبيرة.
- **زمالة العثامنية:** الكراغلة بنواحي سطيف حاليا.
- **أولاد علي بونوبة:** سدراتة
- **مخزن أولاد فاضل:** ويسمى أيضا مخزن قائد الأوراس (200 فارس) ويضـــم أولاد

1-Rinn, Op. Cit, P.83-84.

فاضل وأولاد سي منسار، أولاد عمر بن فاضل، ومركزه عين القصر.

- **صحاري شيخ العرب:** حوالي 800 فارس، ويضم المراريج، أولاد منصـــور، أولاد عمر، أولاد داود، ويوجد في باريكة وعين توتة، الكنتارة، وكانت هذه القبيلة تحـرس الجهات الشمالية والشرقية لبسكرة.
- **مخزن أولاد بليل:** ويضم أولاد بليل[1].
- **مخزن عشيرة الأعشاش:** بزعامة عائلة بن سديرة التي كان فرسانها يجوبون السـفوح الشمالية للأوراس، ابتداء من رأس أسردون[2] (بمحاذاة خنشـــلة حاليـــا) إلى نواحـــي بوعريف موطن هذه العشيرة المخزنية التي طالما وجدت المساندة من فرسان الحراكتـــة وأولاد فاضل[3].
- **مخزن ابن دايخة:** الذي كلف بحراسة السفوح الجنوبية الغربية، حيث توجد قبـــائل أولاد سلطان القوية، ويعاضدهم في ذلك رجال قبيلة بني يفرن الذين منحوا الأراضـــي الواسعة لهذا الغرض من طرف البايلك[4].

هذه مجموع قبائل مخزن المجموعة الأولى، أما مخزن المجموعة الثانية فيشمل القبائل التالية:

- **عزل عمر الشراقة:** في عين الحجار، بلاد ستيتيرة، عين المورس، أولاد قوام، عمـور السراوية، أولاد نصور، احساسنة، المرادشة، أولاد رحمون، عين مليلة، القرة، الخروب، قسنطينة ونواحيها.
- **عزل واد الكباب:** ويضم أولاد تبيب، أولاد غومريان، بني قشة، فج مزالـــة، أولاد سولاد.
- **عزل ميلة:** أولاد قايم، ميلة، غريبة.

1-Rinn, Op. Cit, PP.85-87.

2-وهي كلمة أمازيغية وبالضبط في اللهجة الشاوية، وتعني البغلة.

3-Masquaray (E), « Djebel Chechar », ***in R.A***, 1878, P.132.

4-سعيدوني، ***ورقات***، مرجع سابق، ص.479.

- **عزل موية:** (سيدي عبد المالك) بالقرارم، والميلية، وسطارة.
- **عزل قرمودة أو كرمودة:** ويضم زواغا القبلية، قرمودة زرارية، أولاد يحي، سيدي مروان.
- **واد الكوتون:** ويضم بوقصيبة، عين الكرمة (وتسمى اليوم مسعود بوجريو)، باب لقروش.
- **عزل بني هارون:** ويضم القرارم، وسيدي مروان.
- **عزل سمندو:** ويضم مسونة، مشماش، سوحالية، أولاد عطية، صوادق، الكنتور.
- **عزل القرفة:** ويضم بني أوجانة، العلمة، اولاد أحمد، أولاد ساسي، خزارة.
- **عزل أولاد جبارة:** ويضم أولاد حمزة، أولاد حبيلة، أولاد حبيبة،أولاد العالية.
- **عمور لغرابة:** ويضم أولاد دراج، تاملوكة، حارملية، قلال[1].

وفيما يأتي سنتعرض إلى قبيلتي الزمول والدوايرة بشكل مفصل، على اعتبار أنهما من أقوى قبائل المخزن بالبايلك.

- **قبيلة الزمول وتطورها:** ترجع أصولها الأولى إلى أولاد سليمان، ويعود الفضل في تنظيمها إلى رجب باي (1666-1674)، ليستخدمهم في معاقبة أولاد بلعون الذين نزلوا من مناطقهم من جبال بلزمة ليحرقوا قسنطينة، وكانوا قد أبلوا بلاء حسنا[2]. ولكن الباي شعبان (1688-1692) هو من قام بتنظيمها وذلك في 17 أوت -وهو اليوم الذي توفي فيه باي قسنطينة أبي حفص عمر المعروف بالباش آغا باي-، وذلك بأن تجمعت عناصر مختلفة بمنطقة الرمل بين قسنطينة وعين السمارة من مزارعين وفلاحين استخدمهم كفرسان مساعدين وبذلك تشكلت الزمول التي استطاعت أن تمد البايلك بـ500فارس في العام[3]. إلا أن التنظيم النهائي لها كهيئة مقاتلة لم يتم إلا في عهد الباي

1-Rinn, Op.cit, PP88-90.
2-Vayssette, Op.cit, P
3- Mercier, Op.cit, P.238.

حسن بن حسين المعروف ببوحنك (1736-1754)، الذي قام بترحيلهم إلى تمكـــارت وجمعهم ضمن قبيلة واحدة على أرض واحدة ليحكموا أقاليم مختلفـــة ومجموعـــات سكانية متنوعة[1]. ثم قام بعد ذلك الباي أحمد بن علي الملقب بـــالقلي (1756-1771) بنقلهم إلى السهول الواقعة بين واد السو وواد بومرزوق[2]. وأما استقرارهم النهائي فلـم يتم إلا على يد صالح باي (1771-1792)، حيث تمركزوا في السهول الغنية لعين مليلة، عن طريق باتنة حتى تظل طريق بسكرة مفتوحة أمام تحركات الحاميات التركية، فضـلا على أن هذا المخزن كان يشرف على مراقبة كتلة بلزمة الجبلية الحصينة، وقد أقطعـــها هذا الباي – ونقصد به صالح باي- مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية قـــدرت بحوالي 4000 هكتار[3].

وقد اكتسبت هذه القبائل مكانة خاصة، نظرا للمهام الموكلة إليها والخدمـــات الـــتي كانت تقوم بها، وقد أمكن لها أن تجند للبايلك 3000 فارس للمشاركة في محلة الباي أو الآغـــا، ويقودهم من 10 إلى 15 شاوشا، وقد كان على رأسها في عهد أحمد باي أحد المقربين إليه وهو مصطفى بن محمد الذي يقوم بالإشراف على فرق عسكرية خاصة من فرسان المخزن، تعـــرف برجال القُوم، يساعدونه في مراقبة ما لا يقل عن 39 قبيلة، كما كان لابن الحملاوي مســـاعد الباي الإشراف على جماعات أخرى من فرسان المخزن، كما نصب عليـــها كذلـــك بعـــض الأغوات، و اشتهر بعض قادتها بأسلوبهم الحربي، وكفاءتهم القتالية مثل القائد كرميش الـــذي أوقع العقاب بجهات بلزمة وألحق بأولاد سلطان خاصة خسائر جسيمة، كما حد من تطلعـــات قبائل البرانية التي حولت بعد إخضاعها إلى جماعات الرعية[4]، وبذلك أصبح قائدهم شـــخصية معتبرة بمخزن قسنطينة يشغل وظيفتين الجباية والجندية[5].

1-Mercier, Op.cit, P.261-2.62.

2-سيساوي أحمد، النظام الإداري بايلك الشرق (1791-1830)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، 1980، ص.40.

3-Mercier, Idem, P.270.

4-القشاعي فلة، مرجع سابق، ص135.

5-Féraud, Op.cit, P.41.

وقد شارك الزمول في حملات كثيرة هي[1]:

- حملة في عهد إبراهيم باي (1703-1707)، ضد قبيلة ريغة بسطيف وأولاد سلام وأولاد سلطان.
- حملة في عهد حسين بوحنك (1736-1794) ضد أولاد سولة.
- حملة حمودة باي ( ) ضد أولاد صولة.
- حملة إنجليز باي (1798-1803)، حيث قام فيها قائد الزمول سي عمار بن الشويف بالزحف على الحنانشة، على رأس وحداته، وخلال هذه الحملة لقي القائد و15 من فرسانه مصرعهم[2].

- **قبيلة الدوايرة:** وهي قبائل اصطنعت من طرف الإدارة التركية، ونواة تشكلها تعود إلى عام 1567، حيث قام الأتراك بإنشاء خط بريدي يربط بين قسنطينة والعاصمة، عبر بعض القبائل الموالية لهم (الزواتنة، بن هارون، حمزة بيبان الحديد، مجانة...)، وكانت هذه الأبواج تحتوي على فرق ميليشيا ضعيفة بمساعدة زمالة المخزن وذلك لاتساع رقعة البايلك، ولذلك فقد اضطروا إلى خلق ما يسمى بالدوايرة، وذلك من أجل مراقبة السكان والحيلولة دون اندلاع الثورات[3]، ولذلك وزعت في الأطراف وحول الأسواق -كدائرة الصراوية ومخزن بوصلاح التي كانت بالقرب من سوق العثمانية[4]- وفي الطرق كقبيلة أولاد إبراهيم وبوكدرة، إذ كانت على الطريق الرابط بين قسنطينة وسكيكدة والقل. وكان أغلب فرسان هذه القبائل من حلفاء الأتراك، ويسمون المزارقية، وامتيازاتهم ليست كامتيازات باقي أفراد المخزن، إذ لم يكونوا يعفون من الضرائب وإنما يدفعون 2/5 منها، وقائدهم العسكري هو قائد الدائرة، وكان يقيم بقسنطينة ولكن يبقى أن الشيوخ هم الإداريين

1-سيساوي أحمد، مرجع سابق، ص.40.

2-ينظر: تفصيل هذه الحملات في الفصل الأخير من هذا البحث.

3-سيساوي أحمد، المرجع السابق، ص.43.

4-سعيدوني (ناصر الدين)، وضعية عشائر المخزن الاجتماعية والآثار التي ترتبت عليها، ***المجلة التاريخية المغربية***، ع.7، 1969، ص.110.

الحقيقيين[1]. وكانت دوائر المزارقية التابعة لشيخ أولاد مقران تستطيع تجنيد ألف (1.000) فارس وقبائل دواير ميلة تكفل تجنيد ألف (1000) [2] فارس كذلك، وأقطعت هذه الدوائر أراضي زراعية شاسعة بمواطن الحراكتة، وأصبح لها نفوذ على تلك الجهات بعد أن أمكن لها تجنيد ما لا يقل عن ألف (1.000) فارس وأحيانا يصل عددهم إلى 20.000 فارس، يشرف عليها ما بين 20 إلى 30 شاوس، وكثيرا ما كان يترل عندها خليفة الباي[3].

2-2-2-بايلك الغرب

إن تكوين النظام المخزني ببايلك الغرب، يختلف تماما عن نظيره ببايلك الشرق، ذلك أن بايات هذا الأخير، لم يروا ضرورة في تنظيم القبائل كقوات عسكرية، في حين استخدم بايات الغرب القبائل القوية كقوات مساعدة للدفاع عن البايلك ضد القاعدة الحربية الإسبانية بوهران، وذلك نظير امتيازات تتلقاها من الحكومة العثمانية، وهي التي عرفت -إضافة على تسميتها بقبائل المخزن بالأجواد[4]-، وكانت تقوم بقيادة أهم القبائل المخزنية، وبذلك فقد لعبت دورا هاما واحتلت مكانة متميزة في هذا البايلك.

أما عن أصولها، فيشير (Esterhazy)، أن آراء معظم المؤرخين أو بمعنى أصح الرأي الأكثر تداولا يرجع العائلات الأولى المشكلة للمخزن ببايلك الغرب، إلى أصول مغربية بخاصة بعد انهزام السلطان مولاي إسماعيل الذي يعدُّ عدوا للأتراك، إذ قدمت هذه القبائل ولاءها للباي بوشلاغم (1700-1732)، وقد قام هذا الأخير بقبولهم وجعلهم كقوة مساعدة له لمجابهة الإسبان[5].

كانت أهم أعراش القبائل المخزنية في هذا البايلك تتشكل من: الدواير، الزمالة، الغرابة،

1-

2-Urbain, « Histoire de notice sur l'ancienne province de Titteri », ***R.A***, 1843, PP.400-403.

3-Vayssette, « Histoire des dernier Bey de Constantine », In ***R.A***, 1853, P.59, 123.

4-وكانت تسمى في بايلك الشرق بنبلاء السيف.

5-Esterhazzy (W), ***Notice Historique su le Maghzen d'Oran***, Oran, 1849, P.11.

البرجية، المكاحلية[1]، وكانت مستقرة على خطين متوازيين: الأول بمحاذاة الجبال التلية من سبغة وهران إلى الهضاب الوسطى بالشلف، والثاني من سعيدة إلى غايـــة الحـــدود الصحراويـــة[2]. ولأهميتها فقد منحتها الحكومة التركية أحسن الأراضي ما بين واد مينة والشلف، والســـــهول الموجودة بين البحر شمالا وجبال الأطلسي وما بين واد المالح غربا إلى مينة والشـــلف شـــرقا، إضافة إلى هذه الأراضي التي كانت تابعة لها إما بصفة جماعية أو فردية، فقـــد كـــان لقادتهـــا ممتلكات بالمدن تتمثل في المنازل والدكاكين وغير ذلك.

أما بالنسبة لأهم القبائل المخزنية ببايلك الغرب، فسنقوم بإحصائها مع مكان تمركزهـــا، وسنفصل نوعا ما في قبيلتي الدوائر والزمالة على اعتبار أنهما من أهم القبائل بالبايلك.

مخزن المجموعة الأولى[3]:

- **مخزن وهران:**
- **مخزن آغا الدوائر:** ويضم دوائر أولاد الشريف (470 فارس)، **أولاد شـــباح**، دوار عين تموشنت، قمرة (50فارس)، سيدي بختي، دواوير ومزارع ســـيدي بخـــتي، أولاد بوعمور، بوحجاز.
- **مخزن آغا الزمالة:** ويضم أونازرة، خضارة، المخاليف، **واردية، تنازات**، طفـــراوي، حميان الملاح (31 فارس)، مفتاح.
- **مخزن الغرابة:** 313 فارس، ويقال لهم كذلك عبيد الغرابة ويضـــم دوار تليـــلات، سيدي شامي.
- **مخزن مستغانم.**

1-الزياني، مصدر سابق، ص.228.

2-فركوس صالح، ***بايلك الغرب الجزائري في عهد الباي محمد الكبير (1779-1796)***، ديبلوم دراسات معمقة، معـــهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، 1979، ص.29.

3-Rinn, Op.Cit, PP.50-54.

- **مخزن هاشم ذاروغ**: (50 فارس)، وهو تحت قيادة آغا الدوائر.
- **مخزن برجية السيرات**: (500 فارس)، وهو تحت قيادة آغا الدوائر، ويضم برجية مستغانم وهي أربعة أقسام: بني ياهي، ساحورجة، أهل الحساين.
- **مخزن برجية الجبايلية**: (100 فارس و800 جندي) وهي تحت قيادة آغا الدوائر وتضم برجية الجبل، برجية برج معسكر.
- **مخزن سجرارة**: (500 فارس) وهو تحت قيادة آغا الزمالة.
- **مخزن عبيد الشراقة**: (500 فارس) وهي تحت قيادة آغا الزمالة وتضم قسمين: القدادرة، وأولاد السنونسي.
- **مخزن عكرمة الغرابة**: (100 فارس) وهو تحت قيادة آغا الدوائر، ويضم مجموعتين عكرمة الغرابة والقردوسة.
- **مخزن المكاحلية**: (200 فارس) وهو تحت قيادة آغا الزمالة، ويضم أولاد سيدي بوزيد وأهل العمور وعين القطار.
- **مخزن أولاد أحمد**: (50 فارس) وهو تحت قيادة آغا الدوائر، ويضم عكرمة الشراقة.
- **مخزن الصحاري**: (50 فارس) وهو تحت قيادة آغا الدوائر.
- **مخزن أولاد سلامة**: (100 فارس) وهو تحت قيادة آغا الزمالة، ويضم أولاد الزمالة.
- **مخزن مازونة وزمورة ودوائر فليتة**.

وهناك مجموعة مخزنية أخرى ترجع إلى خليفة الباي:

- **مخزن بني قاتم**: ويضم أولاد عفيف أولاد سعيدة.
- **مخزن أولاد خلوف**: ويضم قسم بني مايدة.
- **مخزن بين يحي**: ويضم أولاد روينة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- **مخزن عين الدفلة:** ويضم مكاحلية عبيد السدرة، عين الدفلة.
- **دايرة صحاري الشلف.**
- **زمالة واد فضة.**
- **حشم الشلف.**
- **حشم أولاد دردور.**

كانت هذه قبائل المجموعة الأولى، وفيما يأتي سنذكر قبائل المجموعة الثانية والتي تضم أصحاب الإقطاعات والمزارعين والمستخدمين.

- **مخزن أولاد خلفة:** ويضم سيدي بو عدة، دوار عين تيموشنت، شعبة اللحام، سيدي علي بوعمود.
- **مخزن أولاد زاير:** ويضم شعبة اللحام، أرحلال، عين تيموشنت، أولاد صابر.
- **مخزن الفراقة:** وهم مرافقوا أمتعة سفر الباي وخليفته وحتى الأغوات.
- **مخزن الزهالدية:** ويضم خماسة ومزارعي آغا الزمالة.
- **مخزن بني شقران:** وهم عبارة عن مساعدين في صفوف الأتراك، إذ يقومون بحمل الأمتعة والرسائل وتوزيع المؤن والأسلحة، ويضم أولاد سعيد، بني خميس، بني مروان، فراقيع، بني مسور، مليلة[1].

كانت هذه أهم القبائل المخزنية على مستوى البايلك، وفيما يأتي أنموذج يبين لنا مدى أهمية هذه المؤسسة في بايلك الغرب، هذا فضلا عن كونها من أبرز مخازن الإيالة من حيث القوة العسكرية، ويمثل إحصاء لعدد فرسان كل قبيلة منها في عهد الباي حسن ( )[2].

1-Rinn, Op.Cit, PP.56-59.

2-الميلي، مرجع سابق، ص.282.

- -الدوائر 1500 فارس
- -الزمالة 90 فارس
- -الغرابة 200 فارس
- -الشراقة 2000 فارس
- -الحشم 500 فارس
- -البرجية 200 فارس

ويسمون أيضا الزمالة

- -سجرارة
- -بني شقران
- -شوبريج 100 فارس
- -بني غدو
- -مكاحلية 200 فارس

ويسمون عوارة

- -أولاد بوقرارة 50 فارس
- -أولاد زرفة 100 فارس
- -أولاد العباس 200 فارس
- -أولاد خويدم 100 فارس
- -أولاد قويدر 50 فارس
- -عبيد الشراقة 50 فارس

ويسمون بني سلامة

- **قبيلتي الدوائر والزمالة**

أصل هاتين القبيلتين من العرب والبربر، وبالتالي فهم أقرب إلى حزب سياسي منهما إلى خلية القبيلة، التي تقوم على أساس من العرق والدم. وكانوا يلودون بالباي محمد الكبير (1778-1796م) حاكم معسكر وفاتح وهران، من يد دولة إسبانية، ولما حدث الطاعون

الجارف في المغرب الأوسط في أوائل القرن الثالث عشر هجري، خيم الباي في ظاهر البلد[1]، وخرج الناس لخروجه فعين من هؤلاء الخدم جماعة للنزول في دائرة خيامه فسموا الدوائر، وعين آخرين لحمل أثقاله وأثقال عسكره فسموا الزمالة، ونظرا لما تميزت به هاتين القبيلتين من احترام وتمييز بين جميع الرعية بإحراز مقاصدهم واستثنائهم من المطالب، فقد صار الناس من جميع الجهات يهرعون إلى الدخول في خدمتهما. ولما كثر نسلهم وزاد الاختلاط بالتزاوج بينهم صارتا قبيلتين عظيمتين، ولما انتقل الباي محمد إلى وهران بعد أن فتحها انتقلتا معه[2].

وقد مر استقرار هاتين القبيلتين في السهول الوهرانية المهددة بهجمات الإسبان بمراحل ثلاث وعلى فترات متعاقبة هي:

الفترة الأولى: وتعود إلى الثلث الأول من القرن السادس عشر، وقد تمكن أثناءها الأتراك من مصادرة أراضي قبيلة الأمحال بالسهول الخصبة الممتدة من البحر إلى سفوح الأطلس التلي، ومن واد صالادو إلى نهري الشلف ومينا، بما في ذلك مدينتي أرزيو ومستغانم. وقد استقرت مجموعات المخزن في الأراضي المصادرة، وبذلك أمكن التقليل من الخطر الإسباني، ووضع حد نهائي لمقاومة قبيلة الأمحال، وأجبرت الفلول المتبقية منها على الإنعزال في أراضي مجيرد الواقعة إلى الغرب من نهري الشلف ومينا.

الفترة الثانية: وهي التي استقرت فيها قبائل المخزن بالسهول الوهرانية، وتمت في نهاية القرن الثامن عشر، وأعقبت طرد الإسبان من وهران للمرة الأولى، ومصادرة أراضي القبائل المساندة لهم من عشائر بني عامر وفليتة، عقابا لها على مساندتها للأعداء الإسبان، وبذلك استطاع الباي مصطفى بوشلاغم توطين الزمول والدوائر من جديد بالسهول القريبة من وهران.

1-وبالضبط ببلاد أولاد سليمان أحد بطون بني عامر، وسكن بخيمة حمراء من الوبر، وسمي ذلك العام بعام الخيمة الحمراء. ينظر: المزاري، مصدر سابق، ص.297.

2-محمد بن عبد القادر الجزائري، ***تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر***، شرح وتعليق: ممدوح حقي، ط.2، دار اليقظة العربية للتأليف، 1964، ص.217.

الفترة الثالثة: وارتبطت بطرد الإسبان من وهران للمرة الثانية والأخيرة، وقد بادر الباي محمد الكبير أثناءها إلى إقرار مجموعات الدوائر والزمالة بالجهات المحيطة بوهران مباشرة، بعد أن أحس بالحاجة إلى خلق قوة محلية تساعده في صد الهجمات الداخلية ودسائس المغاربة. وهكذا تم توطن الدوائر والزمالة بالجهات الوهرانية[1].

ومنذ ذلك الحين علا شأنهما وأصبحتا تشغلان الوظائف العمومية، إذ كانتا تشكلان العمود الفقري للإدارة العثمانية[2]، بخاصة وأنه قد اختير أغا الدوائر وآغا الزمالة لإدارة شؤون البايلك، ولأهمية هذا المنصب فقد كانت القبائل تدفع مبالغ قيمة للحصول عليه، ويذكر إستر هازي أن آغاوات الدوائر كانوا يدفعون للباي أربعين ألف ريال بوجو للحصول على القندورة التي تمثل رمز التعيين، ضف إلى أنهم كانوا يدفعون مبالغ معتبرة للباي كل ستة أشهر لضمان بقائهم في منصبهم.

أما عن قبائل المخزن المندرجة تحت سلطة آغا الدوائر، فهي: الدوائر، البرجية، الحشم (حشم غريس، حشم شراقة، حشم الغرابة، أولاد عيسى بوالعباس).

والقبائل المخزنية المندرجة تحت سلط آغا الزمالة فهي: بني شقران، سجرارة، الغرابة والشراقة[3].

كانت هذه نظرة مختصرة عن هاتين القبيلتين، اللتين كانتا من أهم قبائل الغرب الجزائري، نظرا لما قامت به من مساعدات للحكومة التركية، خاصة وأن بايلك الغرب كان من أكبر البايلكات تعرضا للحروب بسبب وجود الإسبان[4].

1-سعيدوني ناصر الدين، "دور قبائل المخزن في تدعيم الحكم التركي في الجزائر"، ***مجلة الأصالة***، ع32، 1976، ص.61-62

2-العربي إسماعيل، ***العلاقات الدبلوماسية الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر***، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص.21.

3-Esterhazy, ***Domination Turque***, Op.Cit, P.268-269.

4-فضلا عن المكانة التي احتلتها هاتين القبيلتين ببايلك الغرب خلال العهد العثماني، فقد كان لها موقف بارز -مع بدايات الاحتلال الفرنسي لمنطقة الغرب الجزائري- من بيعة الأمير عبد القادر، التي كانت في الثالث من شهر رجب عام 1248هـ/السابع والعشرين من شهر نوفمبر 1832، تمثل في معارضة زعمائها لهذه البيعة، إذ بعد أن تمت البيعة خاطب=

2-2-3-بايلك التيطري:

يعود تأسيس المخزن -والذي كان كما سبق وأشرنا مؤسسة بالغة الأهمية في الإيالة في العهد العثماني- ببايلك التيطري إلى الباي الوزناجي (1775-1794) بتأسيسه مخزن الزمول والدوائر إذ قام بتنظيمه وفق أنماط جديدة، بأن جعله قوة عسكرية مستعدة لخوض الحروب، وذلك بأن أقطع قبائل حسن بن علي آلاف الهكتارات من أجل خدمتها، مقابل أداء مهام عسكرية، وبذلك أصبحت البرواقية مركز انطلاق كل الحملات العسكرية بالمقاطعة[1]. ومنذ ذلك الحين بدأت القبائل تنضم إلى هذه المؤسسة تدريجيا حتى أصبحت منتشرة عبر أنحاء البايلك، وفيما يأتي أهم هذه القبائل وذلك ضمن مجموعتين كما سبق وأشرنا.

=الأمير شيخ قبائل الدوائر مصطفى بن إسماعيل من أجل مبايعته، فرفض ذلك هو وابن أخيه الحاج بن عودة المزاري وأخيه الحاج بالحضري، لكنهم سرعان ما تراجعوا عن موقفهم وأعلنوا طاعتهم ودخلوا تحت حكم الأمير عبد القادر، ولكن اعتبارات عديدة وظروف أخرى غيرت مجرى الأحداث، وجعلت هاتين القبلتين تتخذ موقفا صارما ضد الأمير، بأن حاولت الاستلام للجنرال ديميشال، لكنه رفض طلبها، كما لجأت إلى سلطان المغرب الأقصى عبد الرحمن بن هشام، إلا أنه أبدى لها رغبته في إحداث الصلح بين زعمائها وبين الأمير، وهو ما اضطرهم لمواصلة الحرب ضده، إذ اصطدموا معه عند ملتقى واد التافنة، وواد الزيتون، وحاول الأمير مرة أخرى مصالحتهم، ولكن محاولته باءت بالفشل تحت تأثير فتن الحشم وبني عامر دائما، وكانت هذه هي البداية لخروج رجال المخزن عن طاعة الأمير، فبعد أن عزل ديمشال وحل محله تريزيل، فاستغل مشاكل الدوائر والزمالة للوصول إلى غرضه، ورحب بميلها إلى السلطة الفرنسية أثناء عودتهم من تلمسان إلى موطنهم الأصلي، وقد منعهم الأمير بالقوة، الأمر الذي دفعهم إلى طلب الحماية من السلطة الفرنسية، وبالفعل تدخلت هذه الأخيرة، وانتهى هذا التدخل بتوقيع معاهدة ذات اثني عشرة مادة يوم 16 جوان 1835، وبهذا يكون موقف الدوائر والزمالة لصالح الفرنسيين وضربة قوية ضد المبايعة، فبماذا نفسر موقفهم، أم أنه الاستعداد الطبيعي لخدمة الأجنبي لدى هذه القبائل هو السبب الرئيسي في تخليهم عن الأمير.

ينظر: -***مبايعة الأمير عبد القادر***، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر.

-محمد بن عبد القادر الجزائري، مرجع سابق.

-الحاج مصطفى بن التهامي، ***سيرة الأمير عبد القادر وجهاده***، تحقيق: بوعزيز، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

-عميراوي احميدة، ***دراسات في تاريخ الجزائر الحديث***، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 1999.

1-Federmann, Op.cit, P.286-287.

مخزن المجموعة الأولى[1]:

- **مخزن المدية**: نوبة مشكلة من خمسة صفارات، بيوت عسكرية تابعة للباي.
- **مخزن البرواقية.**
- **مخزن الدوايرر**: ويضم أولاد رحاب، أهل الواد، أهل رقاب، أهل العلمة، أولاد عريفة.
- **مخزن زمول العبيد**: (300 فارس)، ويضم زمالة الشرقية وزمالة الغربية.
- **مخزن سبايهية التيطري**: ويضم أولاد دباب، أولاد أوتسمام، قبائل نبيلة.
- **مخزن معاكيف وأولاد سيدي عمر.**
- **مخزن أولاد بوعايش**: ويضم أولاد سيدي داود، أولاد ثابت.
- **مخزن أولاد شايب**: ويضم ثلاث مجموعات: أولاد شايب (جواد)، أولاد الشيخ (مرابطين وشرفة)، مجان.
- **مخزن سور الغزلان**: ويضم صفارتان وستين رحلا من المدفعية.

مخزن المجموعة الثانية[2]:

- **مخزن عريب وبني راشد.**
- **مخزن بلاد معمورة**: تابع لخوجة الخيل، ويضم العريب.
- **مخزن الزناكرة**: وهو تابع كذلك لخوجة الخيل، ويضم زناكرة معوشة، بوغزول، زناكرة القرت، أولاد أحمد بن ساعد، أم جليل.

كانت هذه أهم قبائل المخزن بايلك التيطري، ولكن تبقى قبيلتي العبيد وزمول من أهم القبائل التي اعتمد عليها التنظيم الإداري والعسكري للبايلك، إذ كانت قاعدته العسكرية تضم من 15 إلى 20 مكاحلية من مخزن العبيد[3]، وهذا الأخير الذي تشكل عام 1775[4] سمي كذلك

1-Rinn, Op.Cit, P.40-41.
2-Ibid, P.42.
3-Kaddache (M), Op.Cit, P.130
4-Boyer, Op.Cit, P.23.

لأنه يضم مجموعة من العبيد المقطوعين، أما مخزن الدوائر فقد تشكل على يد جماعة من الفرسان القبائل، ذلك بأن رفضوا بقاءهم كعبيد وحاولوا التجمع حول نواة تركية[1].

استقرت هذه القبائل على أراضي تقدر بآلاف الهكتارات وأصبحت قبائل مقاومة مشكلة بذلك مزرعة عسكرية -إن صح التعبير- لتؤدي مهامها مقابل جملة من الامتيازات، كما هو الشأن بالنسبة لكل القبائل المخزنية، وذلك تحت قيادة اثنين من الأغوات، يتبادلون المهام وذلك للحد من أطماعهما.

وبهذا نكون قد تعرضنا لإحصاء أهم القبائل المخزنية بالبايلكات الثلاثة، ونصل إلى أن الكثير من القبائل حاولت الدخول في هذا النظام، لما كان يقدمه الأتراك من مغريات لجلبها وجعلها تستقر في مراكز مختلفة، ليتوسع بذلك مجال نفوذها، ويشمل كل المساحات الواسعة في الإيالة، إذ نجد الكثير، إن لم نقل أغلب القبائل القوية -كالحراكتة وأولاد سليمان في الشرق والغرابة والبرجية، والزمالة والدوائر في الغرب والعبيد والدوائر في التيطري- صبغت بصفة المخزنية، وهذا إنما يدل على أهمية هذه المؤسسة داخل النظام العثماني.

3-امتيازاتها:

سبق وأن ذكرنا أسباب اعتماد الأتراك العثمانيين على القوة المخزنية وارتباط مصالحها بها، ولذلك كان لزاما عليها إقرار جملة من الامتيازات والحقوق تتمتع بها هذه القبائل دون غيرها من قبائل الرعية، وهي الامتيازات التي تمنح لعشائر المخزن مقابل استخلاص الضرائب والمشاركة في الحملات العسكرية سواء لإخضاع القبائل أو لجباية الضرائب، والسهر على الأمن وإخماد تحركات جماعات الرعية، وهناك امتيازات مادية وأخرى معنوية.

3-1-الامتيازات المادية:

- **الإعفاء من الضرائب:** وهو أهم امتياز حصلت عليه هذه القبائل، ونقصد بالضرائب هنا

1-Kaddache (M), Op.Cit, P.131.

الإضافية المفروضة على قبائل الرْعية[1]، واكتفائها بتقديم العشر والزكـــاة –وهمـــا ضريبتـــان إسلاميتان شرعيتان– مع دفع مساهمة محدودة تعرف بحق الشبير[2]، وهي ليست ضريبة بمعناهـــا الصحيح وإنما تدخل في إطار العوائد والهدايا والترضيات، وإنما هي قيمة تساهم بهـــا قبـــائل المخزن على رؤوس المواشي مقابل قطعان الحيوانات التي كانت تمتلكها، إذ تدفع علـــى كـــل رأس من الجمال أو الأبقار وحتى الماعز والغنم، رسم اعتيادي بسيط، لا يتجاوز 10 سنتيم على كل رأس[3].

وحسب بعض التقديرات فقد كانت بعض القبائل المخزنية التي تفرض عليها في بعـــض الجهات الضرائب الإضافية لم تتعد حصان واحد، وبعض الخرفان[4]، أي ما لا يتجاوز سدســـي المحصول[5] في حين كانت الأسرة الواحدة من القبائل غير المخزنية ملزمة بدفع الضريبة الإضافيـــة والمقدرة بـــ 115 فرنكا، أي ما يساوي 28 خروف سنويا[6].

هذا فضلا عن كون قبائل المخزن تدفع الضرائب عينا، في حين تدفعها القبائل الأخـــرى نقدا، مما يضطرها لبيع محصولها بثمن زهيد.

- **الوضعية المعاشية لهذه القبائل**[7]: وكانت على مستوى رفيع وذلك لكون العـــائلات الـــتي كانت تنتمي إلى المخزن تنعم بحياة كريمة ومستوى معيشي جيد، لما تدره أراضيها الخصبة مـــن إنتاج وفير ومما تتسلمه من مبالغ نقدية هامة من قبائل الرعية المجاورة، لا سيما في أواخر العـــهد العثماني، عندما صار لهذه المجموعات نفوذ خاص وتأثير ملموس على مناطق شاسعة من الإيالة ونذكر كمثال على ذلك قبائل الدوائر والزمالة المستقرة في الجهات الشمالية والتي تمارس سلطة

1-وهي الضرائب غير الشرعية أو المستحدثة لظروف طارئة إقتصادية وسياسية يتطلب الحصول عليها تجريد الحمـــلات. ينظر الفصل الأخير من البحث

2-Esterhazy (W), ***Domination turque***, Op.Cit, P.267.

3-قشاعي فلة، مرجع سابق، ص.74.

4-Rinn (L), Op.Cit, P.

5-Pouyanne (M), Op.Cit, P.293.

6-عميراوي احميدة، ***علاقات بايلك الشرق***، مرجع سابق، ص.40.

7-سعيدوني ناصر الدين، ***ورقات***، مرجع سابق، ص.266.

خاصة على القبائل الرعوية المقيمة في الأراضي المعروفة باليعقوبية الواقعة جنـــوب معســكر والممتدة حتى الشط الشرقي[1]، ونذكر أيضا قبيلة أولاد خليف المخزنية إذ كانت تفرض علـــى قبائل الشعابنة وسعيد وعطية والأرباع وأولاد يعقوب والزرارة، قيمة مالية تعرف بحق العسـة، وذلك للسماح لها بالتردد عن الأسواق والمراعي المتصرفة فيها[2].

- **المنح المقدمة من طرف الحكومة العثمانية:**

فضلا عن المورد المالي المضمون —من قبائل الرعية- والذي ساعد قبائل المخزن علـــى تحسين وضعيتها، فقد كانت الدولة تزودها بمجموعة من المنح، تتمثـــل أساســا في الأرض[3]، والحبوب اللازمة لزراعتها وكذا أدوات العمل الفلاحية، هذا فضلا عن كونها تمنح كل عشـيرة الأسلحة والخيول حسب عدد الفرسان الذين يمكن لها أن تجندهم[4]. وكمثال على ذلك زمالـة الغربية القاطنة في البليدة التي كانت تملك عام 1824 ، 40 جوادا ومثلها بندقية ومثلها ســيوف 39 سرج، هذا فضلا عن الأجور المؤقتة الممنوحة للمحاربين منهم.

- **حصولها على الغنائم من الحملات العسكرية:**

فضلا على المبالغ المالية التي كانت تأخذها من أفراد الرعية فقد كانت تنتفع بالغنـــائم التي تتحصل عليها أثناء مشاركتها في المحلات العســكرية[5]، وكمثـــال علـــى ذلـــك نذكـــر التشجيعات التي قدمها الحاج أحمد باي (1826-1837)لفرسان المخزن عندما أراد الانتقام مـــن قبيلة عبد النور، والتي تتلخص في إعطاء ثلاثين ريال لكل فارس يستظهر بـــرأس مـــن رؤوس الأعداء، ومنح عشرة ريالات لكل من يغنم بندقية للعدو، مع الاحتفاظ بكل ما يتم الاســتيلاء عليه من الأمتعة والملابس[6].

1-Boyer, Op.Cit, P.31.

2-Wrnier et Carette, op.Cit, P.151.

3-للتفصيل فيما يخص حصول المخزن على الأراضي وكذا علاقة المخزن بها، ينظر الفصل الأخير.

4-Kaddeche (M), Op. Cit, P.132.

5-Ibid, P.129.

6-Féraud (L), « Notice Historique sur les Ouled Abdennour », *R.A* 1864, P.151.

3-2-الامتيازات المعنوية: وتتلخص في نقطتين أساسيتين هما:

- وضعيتها كحليف لسلطة الأتراك العثمانيين ومهمتها في جمع الضرائب منحاها نوعا من السلطة والجاه، وعلى هذا فقد احتلت مكانة لم تبلغها أي قوة غيرها، إذ تكاد تضاهي مكانة أحد الموظفين السامين بالنسبة للباي.

- أما الامتياز الثاني فيتمثل في حالتها النفسية، إذ كثيرا ما كانت تتمتع بالأمن والحماية، فهي تعيش في مأمن عن الغارات والتعديات التي تكاثرت في أواخر الفترة العثمانية.

هذه جملة الإمتيازات المادية والمعنوية والتي كانت تتمتع بها قبائل المخزن، وهي ليست كثيرة -حسب رأيي- مقابل ما كانت تؤديه من خدمات لصالح السلطة، ولو لا هذه القبائل لكانت العلاقة بين العثمانيين وسكان الريف تكاد تكون منعدمة.

في ختام هذا الفصل والذي تعرضنا فيه إلى المخزنية من حيث المفهوم والجذور التاريخية ومجال النفوذ، نصل إلى أنها كانت بمثابة مؤسسة قبلية حليفة للنظام العثماني، تعود جذورها إلى العهود السابقة، إذ أن التقليد القائم على كسب طائفة معينة من أهل البلاد وجعلها كوسيلة لبسط النفوذ يعود إلى عهد الزيانيين والحفصيين، وإن كان الأتراك قد حاولوا تطويره، مما جعله سائدا في الدولة باستنبول ، وبجميع الولايات التابعة لها، وإن كانت هذه القوة في الجزائر محلية فهي في باقي الولايات قبائل أجنبية موالية. وعلى هذا الأساس ندرك مدى الأهمية التي كانت تمثلها هذه المؤسسة في تثبيت النظام العثماني -خاصة وأن كيانه الأول قام بالنشاط العسكري- الذي طُعّم باصطناع كيانات بشرية تقطعها جملة من الأراضي حتى تكون لهم أداة استغلال وذرعا واقيا من الثورات.

الفصل الثالث:

قبائل المخزن وعلاقتها بالواقع الاجتماعي للريف الجزائري

أولا: المخزني والأرض

ثانيا: دور المخزني في جباية الضرائب.

ثالثا: دورها (المخزنية) في إقرار الأمن بالإيالة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تعد قبائل المخزن –باعتبارها الوسيلة الفعالة واليد القوية للحكام الأتـــراك– المحـــور الأساسي الذي ترتكز عليه سياسة الأتراك مع سكان الريف بالإيالة الجزائرية، تلك السياسة التي كانت تهدف أساسا إلى فرض النفوذ التركي وبسط سيادته، بخاصة على المناطق الحيويـــة ذات الإنتاج الزراعي الوفير، والموقع الاستراتيجي الهام[1]. ولهذا فقد كانت تمنح هذه القبائل مجموعـــة من الأراضي مقابل قيامها بفلاحة الأرض وجباية الضرائب وفرض الأمن.

ومن هنا نطرح التساؤلات الآتية: ما مدى صحة من قال بأن المخزن فلاح وجنـــــدي وجابي؟ وإذا كان كذلك فما علاقة ذلك بالواقع الاجتماعي للريف الجزائري وما أثر ذلك على الرعية؟.

سنحاول الإجابة على هذه التساؤلات في هذا الفصل من البحث.

أولا: المخزني والأرض

1–أنواع الأرض

قام العثمانيون بوضع الأراضي تحت تصرف العناصر المحلية إما لاستغلالها لحسابها الخاص مقابل ضرائب معينة أو لحساب البايلك مقابل اعتبارات خاصة ونصيب من الأرباح. واعتمـــادا على ما تشير إليه بعض ا لمصادر والمراجع فإن خمسة أصناف من الأراضي سادت الجزائر خلال العهد العثماني[2]، وهي: أرض ملك، أرض عرش، أرض مخزن، أرض صحراوية وأرض البـليلك. والبعض الآخر يجعلها أربعة فقط وهي: البايلك، العرش، الحبس وأرض الخواص.

أ–أرض ملك: وتتميز بضيق مساحتها وحرية صاحبها في البيع والهبة، لأنه يكون قـــد تحصل عليها إما بالوراثة أو عن طريق الشراء، وإن كان الفلاح الجزائري لا يبيع أرضه مـــهما

1–سعيدوني ناصر الدين، "وضعية عشائر المخزن الاجتماعية والآثار التي ترتبت عليها"، ***المجلة التاريخيـــة المغربيـــة***، ع.7، 1977، ص.71.

2-Pouyanne, Op Cit, P.211.

كانت الظروف، ومهما يكن فأرض الملك تعد ملكية خاصة وعادية وحقا جماعيا لما ينتفع بها[1]. وهذا النوع من الأراضي، كان يتواجد بالأوراس والقبائل الصغرى وواحات الصحراء وقرب المدن، مثلا: بمسرغين والدار البيضاء الواقعة بالقرب من مدينة وهران وبضواحي قسنطينة وبالضبط ملكية صالح باي بالقرب من عين سيدي غراب، ولعل أهم هذه الملكيات بجوار المدن تلك التي تقع بفحص مدينة الجزائر، والتي تمتلكها برجوازية محلية تتألف من الموسيرين الأتراك والحضر، والكراغلة واليهود، ولا يمثل الملكيات الخاصة بهذا الفحص من حيث الاتساع والأهمية سوى الملكيات الخاصة الواقعة بجوار مدينة قسنطينة، والتي كانت تمتد على مساحة خمس مراحل من أسوار المدينة، وتشتمل على 11250هكتار، يستغل منها 9000 هكتار في زراعة الحبوب، بالإضافة إلى 2250 هكتار لإنتاج الفواكه والخضر، وكانت تأخذ منها الدولة 20762 كيلة حبوب في شكل ضريبتي الزكاة والعشور[2].

ويرجع سبب تواجد أكثرها في المناطق البعيدة عن المدن بعدم تمكن الأتراك العثمانيين من السيطرة عليها، وبشراء القبائل لها من الباي بعقد[3]، وقدرت بأربعة ملايين ونصف المليون هكتار[4]. ومما يميز هذا النوع عن أراضي العرش وجود أسوار تفصل بينها وبين الملكيات الأخرى، وأحيانا يملك أصحابها حجبا مكتوبة تثبت ملكيتهم[5].

هذا بالإضافة إلى الملكيات الخاصة بالأقاليم الريفية ولا سيما الجبلية منها، مثل: جهات التيطري التي كانت تمتد بها على مساحات شاسعة، وجهات الطرارة شمال تلمسان، ونواحي جرجرة شرق الجزائر[6].

1-معاشي جميلة، مرجع سابق، ص.157.

2 -سعيدوني ناصر الدين، ***دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية***، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001، ص81.

3-pouyanne, Op.Cit ,P.226-227.

4-Warnier et Carette, Op.Cit, P.43

5-Nouschi (A), ***Enquête sur le niveau de vis des population rurales constantinoises de la conquêtee jusqu'à 1919***, Paris, 1961, P.60.

6-سعيدوني ناصر الدين، ***دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية***، المرجع السابق، ص82.

وهذا النوع من الأراضي لم يخضع للسلطة العثمانية، الأمر الـــذي أدى إلى اســـتغلال فلاحي لأغلبها بعيدا عن رقابتها، وإلى الإفلات من الالتزامات الضرائبية خلال فترات الضعـــف التي كان يمر بها النظام، وقد كانت بيد الأسر الموسعة ذات القوة والمنعة[1]، حصلت عليها مقابل أعمال عسكرية قدمتها للسلطة الحاكمة. وخصصت معظم مساحات هذه الأراضي للرعـــي، على اعتبار أن جل هذه القبائل كان من الرحل وتعتمد على الحياة الرعوية أكثر من الزراعيـــة، فمثلا أسرة أحرار الحنانشة كانت تملك أخصب الأراضي، إلا أنها لم تكـــن تهتـــم بالزراعـــة اهتمامها بالمواشي، إذ نجد أن مساحة أراضيها المزروعة لم تكن تتجاوز 1116جابدّة[2]، أي ما لا يزيد عن 11160 هكتار، في حين قدرت ثروتها الحيوانية بـــ38304 رأس غنم و1641 معز و2520 خيل و1588 بقرة، 220 جمل، مع الإشارة إلى أنها كانت تستغل أراضيها عن طريق الخماســـة، ولا تدفع عنها سوى ضريبة العشور، وذلك كامتياز للأسر الحاكمة مقابل مساعدة شـــيوخها لمساعدي البايات على تقييم إنتاج الأراضي الزراعية التابعة لإدارتهم[3].

ب–أرض عرش: وتتمثل أساسا في أرض القبيلة التي تتواجد غالبا في المناطق الســـهلية بالتل، وهي مرسومة بحدود عرفية هي موضع رضاء وقبول من لدن معظم القبـــائل المجـــاورة، والمعروف عند هذه القبائل أن هذه الملكية مشاعة غير قابلة للبيع أو الهبة أو التجزئة أو المبادلـــة أو المصادرة، وهي ليست ملكية خاصة، أي أن للفرد الحق في الانتفاع بها دون أن يملكـــها، وفي حالة الوفاة ودون ترك وارث، تعود إلى الجماعة للتصرف فيها[4]. وتنقسم أراضي العـــرش إلى أجزاء؛ كل جزء يستغل من طرف أفراد العائلة، وينتقل هذا التمتع واستغلال الأراضي بطريقـــة الإرث العائلي، الأمر الذي أدى إلى تحول أراضي العرش إلى أراضي ملك بعد الارتباط بها مـــدة طويلة[5].

1–عميراوي احميدة، ***من الملتقيات***، مرجع سابق، ص.44–45.

2–الجابدة تساوي 8 إلى 10 هكتار، وهو ما يحرثه ثوران في اليوم الواحد.

3–معاشي جميلة، مرجع سابق، ص.159–160.

4–عميراوي احميدة، ***من الملتقيات***، المرجع السابق، ص.48.

5–سيساوي أحمد، مرجع سابق، ص.144.

أما ناحية الحدود فكل دوار له قطعته الأرضية المعينة والحدود المعترف بها من طـــرف الجميع، هي قمم الجبال والأودية والطرقات، أما حدود الأراضي المشاعة فهي غير معينة وتحمل هذه الملكية المشاعة اسم القبائل التي توجد بها، ولما تكون مساحة الأرض غير واســعة يطلــق عليها اسم بلد ويكون متبوعا باسم القبيلة، وعندما تكون أكثر اتساعا يطلق عليها اسم وطن[1]. وتختلف ممارسة الملكية حسب البيئة الجغرافية، فعلى الهضاب المرتفعة تنحصر المقدرة على تحديد الأرض في زعماء القبائل، إذ يتولى هؤلاء توزيع الأرض حسب ما يتناسب مع المقدرة علـــى الزراعة، وتكون هذه الأخيرة هي المقياس في إعادة التوزيع. أما في منطقة القبائل فقد كـــانت العائلة هي أساس الإنتاج بطريقة جماعية، والعائلة الموحدة عند القبائل، تمثل اتحـــادا شـــخصيا واتحاد ثروة.

وفي هذا الصنف من الأراضي، البايلك هو المالك، وهذا ما جعله يحصل على غرامـــة ســـنوية وتؤخذ منها في بعض الأحيان اللزمة أو المعونة أو الخطية، إذ كان يحدد الضريبة حسب اتســـاع المساحة، لا حسب الإنتاج الفلاحي، فمثلا قبيلة عامر الشراقة، كانت تدفع مبلغ 1000 صـــاع من القمح و1000 صاع من الشعير، سواء حصلت على محصول إيجابي أو سلبي[2]. هذا بالإضافة إلى مطالبة الحكام من مستغلي الأراضي المشاعة ببعض الضرائب الفصلية، كضيفة الباي وضيفة الدنوش وخيل الرعية وحق البرنوس ومهر باشا.

ج–أرض البايلك: وتدخل ضمن الإقطاعات الحكومية، إذ تضم هذه الأخيرة الأراضي الموات والمصادرة من القبائل المتمردة والتي توفى أصحابها دون ترك وريث وتســـمى بـــأرض البايلك أوأراضي العزل ببايلك الشرق. وهي الأراضي التي تقوم السلطة العثمانية بتوزيعها علـــى الموظفين العثمانيين من عسكريين وإداريين، وذلك مقابل ضريبة ســـنوية يدفعـــها للبـــايلك وخدمات عسكرية وإدارية يلتزم بتنفيذها[3].

1-Nouschi (A), Op Cit, PP. 87-89.

2-Ibid, P.90.

3–معاشي جميلة، مرجع سابق، ص.165.

• **الصنف الأول:** ويتمثل في أرض الباي وأسرته ويضم أخصب الأراضي، وتتم خدمتها بالاعتماد على القبائل المجاورة بواسطة السخرة[1]، أو من قبل الخماسين، الذين يتلقون جميع الوسائل من محراث وحيوانات، وذلك مقابل الخمس (5/1) الإنتاج على الجابدة كأجر لهم[2]. ولهذا فقد كانوا يدفعون للقائد الذي يعينهم مبلغا من نصيبهم في الإنتاج، وقد عزز البايات هذا النوع من الملكيات باستيلائهم على أخصب أراضي أعيان المدينة عن طريق الشراء، ونذكر صالح باي الذي كان يملك أخصب الأراضي منها: سيدي غراب، علجات القاضي، ساقية الدوم...الخ[3].

• **الصنف الثاني:** ويسمى أراضي العزل، وهي أملاك اشتراها البايلك من ملاكها الأصليين، أو أملاك يحصل عليها الباي بواسطة المصادرة[4].

وكانت هذه الأراضي موجودة بصورة خاصة على امتداد واد الرمال وبومرزوق ووادزناتي والواد الكبير وبعض المناطق المنعزلة بضواحي عنابة وعلى سفوح الجبال، ويرجع الفضل في إنشاء هذا الصنف من الأراضي إلى صالح باي، وقد كان البايات يتنازلون عنها لصالح الموظفين السامين في الدولة، كمنح أو كأجر لهم، أما القسم الكبير فكان يؤجر للقبائل مقابل دفعها للعشور والحكور[5]. وينقسم عزل البالك إلى أربعة أصناف هي:

-عزل الخماسة: وهي أراضي مستغلة من طرف الخماسين، حيث يحصل هؤلاء على خمس الإنتاج، بينما تحصل الدولة على 5/4 المحاصيل.

-عزل الجبري: وهي الأراضي التي كانت تؤجر لكبار موظفي البايلك، ولبعض القبائل وأعيان البلاد الذين يلتزمون بدفع ضريبة تعرف بالجبري تقدر بـ 12 صاع من القمح و 12 صاع من الشعير على الجابدّة، بالإضافة إلى ضريبة من التبن[6].

1-وهي إجبار القبائل المجاورة لأرض الباي على خدمتها مجانا.

2-Nouschi (A), ***Enquête sur***…, P.80.

3-Mercier (E),***Histoire De Constantine***, Op CitP.298.

4-سيساوي أحمد، مرجع سابق، ص.111.

5-Nouschi (A), Idem , P.80.

6-Ibid, P.80-81.

-عزل العزيب[1]: وهي الأراضي التي كانت تمنح للقبائل الرحل التي تكلف برعاية قطعان البايلك، مقابل الإعفاء من الضرائب أو تخفيفها أو الاستفادة من حليبها، وقد يمنح العزل لأفراد آخرين، إذا أهملت القبيلة عملها، ولا تدفع قبائل العزيب من الضرائب سوى العشر (10/1)[2].

-عزل الجبل: ويمنح للقبائل الجبلية والأسر ذات النفوذ السياسي أو الديني مقابل التزامها بحفظ الأمن بالمناطق الجبلية المستعصية، ونذكر كمثال: قبيلتي أولاد عبد النور والتلاغمة، كقبائل مستفيدة من هذا العزل[3].

د-أرض المخزن[4]: وتعد من الحيازات التي يملكها البايلك، ويمنحها لشخص أو لمجموعة مقابل القيام بفلاحتها وحفظ الأمن، دون دفع الضرائب ما عدا الزكاة والعشور. وملكية هذا النوع تختلف من الشرق إلى الغرب، حيث كانت في هذا الأخير تشبه ملكية العرش، إذ كان مستثمروها لا يبيعونها ولا يهبونها ولا يسمحون لغيرهم باستغلالها شأن الملكية الخاصة، وكان الكثير من هذه الملكية خاضعا للمصادرة، وكانت تنتقل بالوراثة أبا عن جد، بل كان لبعض مالكيها عقد عقاري يلتزم أصحابها بأداء الخدمة لصالح السلطة العثمانية، وعلى هذا الأساس يمكن تسميتها بالمستوطنات العسكرية القبلية[5].

هـ-أرض صحراوية: وتسمى أيضا أرض موات، وهي عبارة عن مساحات شاسعة قدرت بحوالي 26 مليون هكتار، كان يفلح منها حوالي 3 ملايين هكتار فقط، وكان قسم منها يتصرف به الأفراد كأنها ملكية خاصة، بالاعتماد على مياه الآبار والأنهار -بخلاف قطاع

1-العزيب كلمة محلية تعني قطيع الغنم، وأصبحت تطلق على عملية الترحال من مكان لآخر لرعي الغنم.

2-سعيدوني ناصر الدين، ***النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1800-1830)***، ط.1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص.94.

3-Nouschi (A), Op Cit, P.81.

4-وسنفصل في هذا النوع من الأراضي في العنصر الموالي، عند حديثنا عن دور المخزني في خدمة الأرض.

5-عميراوي احميدة، ***من الملتقيات***، مرجع سابق، ص .49.

الشمال الذي يعتمد على مياه الأمطار-[1]، وهي ثلاثة أصناف:

- **الصنف الأول**:أرض الواحات، وهي ملكية خاصة.
- **الصنف الثاني**: أرض الجلف وتتواجد على ضفاف الأنهار.
- **الصنف الثالث**:أرض الخلا أو البارود ذات المساحات الشاسعة[2].

2.دور المخزني في خدمة الأرض:

تعتبر الفلاحة والنشاط الزراعي من المجالات التي تتمحور حولها مهام القبيلة المخزنية، إذ كان رجال المخزن في الأرياف يقومون بخدمة الأرض، خاصة وأنهم كانوا معفون من دفع الرسوم والغرامات، ولهذا فقد خصص لكل عائلة منها مساحة معينة وليستفيد النظام أكثر، فقد أقطعهم أربع عشرة ملكية زراعية من أراضي الدولة، لا يدفعون عليها سوى العشور[3].هذا فضلا عن مراقبة النشاط الزراعي في الأرياف بحساب محاصيل الأهالي وتعيين أنواعها ومعاينة أعمال الحرث والبذر والجني والحصاد. ولهذا سنحاول التفصيل نوعا ما فيما يخص الأراضي الممنوحة لهذه القبائل وذلك للإجابة على التساؤلات الآتية: كيف كان نظام الملكية لعشائر المخزن؟ وهل كانت تمنح لها مؤقتا مقابل تأدية مهامها، أم أنها تسجل في عقود تتوارثها الأجيال في كل عشيرة؟ وهل يمكننا أن نطلق صفة الإقطاع عليها، وما مدى صحة ذلك؟

سبق وأن عرفنا أرض المخزن بأنها ملك للبايلك الذي يقوم بمنحها لشخص أو لمجموعة من الأشخاص مقابل القيام بمجموعة من المهام. أما عن طريقة منحها لأفراد قبيلة فضلت الدخول في هذا النظام، فذلك يكون باتفاق بين الباي وشيخ الدوار الذي تندرج تحت زعامته جملة من القبائل، وعليه مباشرة العمل على الفور، وكذا تلبية أوامر الباي في حال حدوث طارئ يستدعي القوة العسكرية[4].

1-Pouyanne (L), OP Cit, PP. 297-299.

2-Rinn (L),Op Cit, P.131.

3-سيساوي أحمد، مرجع سابق، ص.41.

4-Pouyanne (L),Idem, P.293.

أما بالنسبة لنظام الملكية لهذه الأراضي، فإنها لا تباع ولا تشترى، وذلك لكونها تابعة للملكية البايلك، وقد سمح هذا الوضع القانوني للبايلك أن يطرد هذه العشائر منها أو يحولها عنها إلى مكان آخر إذا اقتضى الأمر، وللإبقاء على الوضع فقد كان يتعامل معها عن طريق شيوخها –كما سبق وأن أشرنا– بمنحهم مجموعة من الأراضي، يوزعونها هم بعد ذلك على كل فرد من أفراد العشيرة، مع ترك مساحات بين الجميع للرعي والزراعة الفردية، وبذلك أصبحت هذه الأراضي لا تخضع لمعاملات الملكية الفردية، بحيث لا يسمح بكرائها لأي فرد ينتسب إلى القبيلة المخزنية، كما لا يجوز توارثها بين الأبناء في حال وفاة الشخص، وذلك لكون ملكيتها تعود للدولة[1].

وعلى هذا الأساس نصل إلى أن أراضي المخزن كانت تدخل ضمن إقطاع غير قابل للقسمة يتم استغلاله من طرف الفرسان مقابل شروط ، تتمثل في ضرورة تأدية الفارس لواجبه متى طلب منه ذلك، مقابل حق انتقال الأرض إلى ابنه الأكبر، أو لمن يكون على رأس الأسرة في حال وفاته، وخير مثال نستدل به على أن هذه الأراضي لم تكن تمنح نهائيا إلى أفراد العشيرة وأنها كانت تمنح مقابل تأدية خدمات معينة، الحاج أحمد باي (1826–1837) الذي حدد رسوم كراء الأرض بعشرة قطع نقدية من فئة 2,5 فرنك على كل جابذة، وقد وفر 220 جابذة أخذ عن كل واحدة 12 قيسة من القمح ومثلها من الشعير، ويكفي القول بأن مردود أرض المخزن، هو المورد الرئيسي لخزينة الباي[2].

وبهذا الشكل أصبح التقليد المتبع بشأن أراضي المخزن –والمتمثل في حق انتقال الانتفاع من الأب إلى الابن– قانونا، إذ يسجل اسم المنتفع بالأرض في دفتر المشيخ من طرف أحد الكتاب الأربعة التابعين لخزناجي البايلك، وذلك بعد ترشيح المنتفع بالأرض من طرف شيخ الدوار، وذلك من أجل تأكيد ارتباط الفارس بالأرض وحثه على تقديم خدماته للبايلك. ولكن الأحوال السياسية والظروف العسكرية التي عرفتها الدولة في أواخر عهدها، والتي تمثلت خاصة

1–سعيدوني، ***وضعية عشائر المخزن***، مرجع سابق، ص69.

2–عميراوي احميدة، ***من الملتقيات***، مرجع سابق، ص.53.

في كثرة الثورات واستبدال الحكم، زيادة على سوء الحالة الإقتصادية وتردي القدرة المالية للإيالة، كل هذا أدى إلى اختراق القانون الخاص باستغلال أراضي المخزن، إذ قام الفرسان بتغييره مستغلين الظروف التي كانت تعيشها الإيالة، وبذلك أصبح البايات يسلمون -تحت الضغط واحتياجا لهذه القبائل- بحق ملكية عشائر المخزن التامة للأراضي المقيمة عليها، وذلك بإصدار عقود تثبت ملكية الأشخاص لهذه الأرض[1]. وبهذا الشكل فقد تحولت مساحات شاسعة من أراضي البايلك إلى ملكيات خاصة، تستطيع الأسرة من خلالها ممارسة حق الملكية من ميراث وبيع وشراء.

لكن مما تجدر الإشارة إليه أن ملكية هذه الأراضي تختلف من الشرق إلى الغرب، ففي هذا الأخير فهي تشبه ملكية العرش، إذ ليس لمستثمريها الحق في بيعها أو كرائها أو ما شابه ذلك، وهناك أمثلة كثيرة من قبائل مخزنية متبع عليها هذا التقليد مثل:قبيلة العريب، قبيلة الصحاري، وقبيلة أولاد صابر، حيث كان البايات يشيرون في الاتفاق المسجل عند كاتب الخزناجي، إلى أنها ملكية تشبه العرش وليس الملك[2].

هذا بصفة مختصرة عن الملكية العقارية لعشائر المخزن، والتي نرى من خلالها أن المخازنية استطاعوا أن يحولوا تقليدا إن لم نقل قانونا كان قائما على حق الانتفاع دون الملكية، إلى ملكية كاملة مستغلين الظروف التي عرفتها البلاد، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على قوتها، وكذا على مدى اعتماد الدولة وبالضبط السلطة المركزية والمتمثلة في الأتراك العثمانيين عليها، سواء لفرض الأمن أو للمشاركة في الحروب.

وهكذا نكون قد ألقينا نظرة على ملكية الأرض بالنسبة إلى عشائر المخزن لننتقل بعدها لصفة الإقطاع[3]، وهل نستطيع أن نطلقها عليها أم لا؟

وعليه نقول بأن وضعية أراضي المخزن والمتمثلة في منحها لها مقابل تأدية خدمات

1-سعيدوني، ***وضعية عشائر المخزن***، مرجع سابق، ص71.

2-Pouyanne (L), Op Cit, P.294-295.

3-Ibid, P.295.

معينة، أصبغت عليها صفة الإقطاع[1]، إذ يرتبط هذا الأخير، بكيفية استغلال الأرض وطريقة حيازتها، ونوع الخدمات المترتبة عنها، لأن مبلغ حيازة الأرض انعدمت فيه الملكية الخاصة، وهذا يعود إلى النظرية العثمانية التي مفادها أن كل رعايا الإمبراطورية عبيد للسلطان،أضف إلى ذلك أن المهام التي أنيطت بالمخزن، جعلت العلاقة بين الحكام وسكان الريف تقوم على الخوف، وهذا ما يؤكد لنا الصفة الإقطاعية. هذا فضلا عن كون المخزني الذي ليس له الحق في ملكية الأرض، فهو يعتبر بحكم العرف الإقطاعي صاحبها، فكل هذه القرائن تجعلنا نطلق هذه الصفة على عشائر المخزن، وإن كان بعض الباحثين يفضل صفة شبه الإقطاع، وذلك لاختلاف بعض المقاييس الإقطاعية السائدة في أوروبا عن تلك التي تتميز بها هذه العشائر، إذ نجد طبقة سادة الإقطاع تنحدر عندهم من أحفاد الأمراء، بينما مجموعات فرسان المخزن لم تنل امتيازاتها الإقطاعية عن طريق نسبها النبيل وإنما عن طريق عملها وخدماتها.

ولهذا فالنظام الإقطاعي للمخزن نابع من علاقة الفارس بالأرض، لأنه دون هذه العلاقة تنتفي صفة الإقطاع عن قبائل المخزن. ونظرا للامتيازات التي كان يتمتع بها المخزني —ونخص بالذكر ما يجنيه من رواء خدمة الأرض- فقد صار الانضمام إلى هذه المؤسسة مطمع الجميع، وعلى حد تعبير فيرو (Féraud): "...فقد ترك العالم علمه والصانع صنعته في سبيل الفوز بمنصب فارس المخزن أي العامل بأرض البايلك"[2].

1-الإقطاع مصطلح عام تستخدم لوصف النظام السياسي والعسكري الذي كان سائدا في غربي أوروبا خلال القرون الوسطى، وهو نظام لتنظيم العمالة الزراعية، ويشير إلى العلاقة الاقتصادية بين السيد الذي يملك الأرض الزراعية، والفلاحين الذين يستأجرون منه الأرض. أما الإقطاع الذي هو في جوهره نظاما سياسيا، فقد بدأ في الظهور في القرن الثامن وغضون القرن الثاني عشر. ومن أهم مبادئه أن المقطع كان يتسلم حق استغلال أو حيازة الإقطاعة وليس ملكيتها، وكان يحتفظ بها مقابل الخدمات التي تعهد بها، وكان يأخذ ما تنتجه ويجمع الضرائب ويدير شؤون أعمال الفلاحين، وعندما يموت المقطع كان يتولى ابنه الأمر، وبحلول القرن الثاني عشر أصبح العرف أن يرث الإقطاعة الابن الأكبر للرجل وفي حال وفاة المقطع الذي ليس له ورثة تعود الإقطاعة إلى السيد، وبذلك يتسنى للسيد منحها لشخص آخر، أما في حالة أن يكون وريث المقطع المتوفى طفلا صغيرا، فكان للسيد حق الوقاية. ينظر: ***الموسوعة العالمية العربية***، ج.2، ط.2، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، 1999، ص ص.431-433.

2-Féraud (CH), «les Hrar, Seigneur des Hanencha», in ***R.A*** , 1874, P.19-20.

وقد كان هؤلاء يستعملون في سبيل ذلك مختلف الطرق الدنيئة[1]، فضلا عن دفع العامل للقائد الذي يعينه بالمنصب مبلغ قدر من خمس عشرة إلى عشرين سكة سنويا، وذلك حتى يسمح له بالبقاء داخل القبيلة المخزنية[2]. وذلك أدى إلى هجرة القبائل لمواطنها الأصلية، للاستفادة من العمل في أراضي العزل –ففي عهد صالح باي مثلا، هاجرت قبيلة السقنية من أراضيها في شمال الأوراس لتستقر قرب قسنطينة[3]، ونفس الهجرة شهدها عدد من قبائل الأوراس في القرن السابع عشر إلى سهول قسنطينة وقالمة[4]، أما أولاد حسن بفرجيوة فقد لجأوا إلى زمالة الباي بباردو على أبواب قسنطينة إثر الصراع الذي نشب بينهم وبين أسرة بوعكاز بن عاشور حكام فرجيوة- وقد تسببت هذه الهجرة من طرف المخازنية للحصول على الأراضي والعمل بها، في إحداث ضغط على بقية السكان، مما اضطر الكثير منهم إلى الالتجاء إلى المناطق الجبلية أو السهول المقفرة والواحات النائية، وبهذا فقد كانوا يعمرون أراضي العزل على حساب الأراضي القبلية، إذ نجد أن عدد القبائل التي كانت تعيش على هذه الأراضي قدر بحوالي 12 إلى 15 ألف أسرة، أي أكثر من 90 ألف نسمة[5]، وتضم: السراوية، الزناتية، أولاد رابح، أولاد بن خلوف، بني مروان[6] بباياك الشرق، وقد يكون ذلك سببا أيضا في تشتت بعض القبائل الأصلية ذات الروابط الدموية من أجل تكوين قبائل اصطناعية تجمعها المصالح الاقتصادية، ولكن هذا لا ينفي أن الفضل في إصلاح بعض الأراضي البور، يعود إلى استقرار عشائر المخزن عليها، ونذكر على سبيل المثال الزمول التي أقطعها صالح باي مساحات شاسعة من الأراضي، قدرت بحوالي 4000هكتار، وإليها يعود الفضل في إصلاح أراضي جنوب وغرب قسنطينة[7].

وهكذا نكون قد تعرضنا إلى المخزني وعلاقته بالأرض، والتي نصل من خلالها إلى أن تواجد عشائر المخزن على أراضي البايلك، كان بمثابة عائق أمام التطور الزراعي والفلاحي،

1-من كذب ونميمة ورشوة وتذلل، أي كل فساد وانحلال في الأخلاق. ينظر: fréraud,*Les Hrar...*, P.22

2-Venture De Paradies, Op Cit, P.56.

3-القشاعي فلة، مرجع سابق، ص.90.

4-معاشي جميلة، ص.170.

5-Warnier et Carette,Op Cit, P. 49 .

6-Nouschi (A), Op Cit ,P.81.

7-Vaysette, Op Cit , P.184-185.

ويبرز هذا التأثير السلبي على الزراعة بخاصة في السهول الوهرانية، إذ كانت 78 % من مساحاتها مخصصة للمخزن، هذا فضلا عن كونه عائقا للفلاح نفسه، مما جعله يهجر أرضه إن لم نقل عرضه –فالأرض بالنسبة للجزائري هي العرض– وينعزل في المناطق الجبلية الفقيرة، ودون أن ننسى أنها تسببت في تشتيت قبائل كثيرة فضلت الانضمام إلى هذه المؤسسة.

ثانيا: دور المخزني في جباية الضرائب

1–نظرة عامة حول الضرائب في الجزائر خلال العهد العثماني

كانت تنظيمات الجهاز الضريبي في الريف الجزائري خلال العهد العثماني تقوم على سلك من الموظفين المكلفين بجمع الضرائب، وقد شملت التنظيمات الضريبية المطبقة بالأرياف عدة أصناف من الضرائب والرسوم، منها ما يتماشى والأحكام الإسلامية مثل الزكاة والعشور، ومنها ما استحدث بفضل الحاجة مثل اللزمة والخطية والغرامة، ومنها ما آثار لتجاوبه مع التنظيمات الإدارية المعمول بها والخدمات الاقتصادية التي ترتبت عنها مثل: حقوق التولية والعوائد والهدايا والترضيات ورسوم الأسواق وحقوق المبادلات ورسوم الحكور[1].

ومما يجدر ذكره، أن العثمانيين لم يرفعوا من قيمة الضرائب الشرعية بالجزائر، إذ بقيت على ما كانت عليه في العهدين الحفصي والزياني[2]، بل إنهم خلصوا العديد من القبائل من العوائد التي كانت تدفعها للعربان[3]، مقابل اختراع أنواع أخرى سنفصلها فيما يأتي.

أ–الضرائب الشرعية أو الاعتيادية: وهي ضرائب سنتها الشريعة الإسلامية وتتمثل أساسا في ضريبتي الزكاة والعشور، اللتين خضعتا في الفترة الإسلامية المتأخرة منذ عهد الموحدين ولا سيما أثناء العهد العثماني إلى إجراءات محددة، فرضتها الشروط الطبيعية ونوعية الحياة الاقتصادية، مما أثر بنوعيتها وفي كيفية تحديدها وطريقة استغلالها وهي:

1–القشاعي فلة، مرجع سابق، ص.5.

2-Venture de paradis, Op.Cit, P.83.

3–هي ضريبة تدفعها القبائلة المستقرة إلى العربان حتى تمنعهم من نهب مزارعها.

-الزكاة: وهي الضريبة الشرعية التي تؤخذ على رؤوس المواشي كل سنة لفائدة البايلك باعتبارها صاحبة بيت مال المسلمين، وهي تحدد برأس عن كل مائة من الغنم والماعز أو ثلاثين من البقر وجملا واحدا إذا واصل عددها الأربعين، ثم أصبحت زكاة الأنعام تخضع لقدرة وإمكانيات أصحاب القطيع، فلا يلتزم فيها بالنسبة ولا يؤخذ بالنصاب المحدد لها، فتوسع فيها متولوا الجباية بحيث أصبحت تؤخذ على ما يوفره القطيع من صوف وزبدة وجلود[1].

أما عن الإجراءات المتعلقة بجمع الزكاة والانتفاع بها، فقد جرت العادة أن توجه قطعان الأغنام والماعز إلى مزارع الدولة وتوضع الأبقار والجمال تحت إشراف الفلاحين المستأجرين لأراضي الدولة، بعد أن توضع علامة مميزة على جلودها بطريقة الكي حتى تضمن المحافظة عليها، بينما يحول ما ليس صالحا منها لخدمة الأرض، ولسد حاجة موظفي البايلك من اللحم[2].

-العشور: وهي ضريبة العشر الشرعية التي تؤخذ على المحصول الزراعي، والتي لم يعد يلتزم فيها بالنسبة المحددة شرعا وهي عشر الإنتاج، وإنما أخضعت لمساحة الأرض المزروعة بغض النظر عن كمية الإنتاج المحصل عليها، فاعتمد فيها عادة على عدد المحاريث التي تعرف بالزوبجات أو الجابدات، على اعتبار أن الزوبجة أو الجابدة تشكل وحدة قياس للمساحة التي يمكن حرثها بواسطة ثورين أو بقرتين في يوم واحد، وحدد مقدار هذه الضريبة بصاع من القمح ومثله من الشعير وحمولة من التبن مع مساهمة نقدية بسيطة حسب اختلاف أوضاع الفلاحين وعلاقتهم بالسلطة، وهذا ما جعل العشور مع كونه ضريبة شرعية محددة يخضع للتغييرات حسب الظروف والجهات[3].

ب-الضرائب غير الاعتيادية أو المستحدثة: وهي الضرائب الطارئة لظروف اقتصادية وسياسية خاصة، ويتطلب الحصول عليها عند الضرورة تجريد المحلات واستعمال القوة، وهي:

1-سعيدوني (ناصر الدين)، ***دراسات تاريخية***، مرجع سابق، ص.322.

2-المرآة، مصدر سابق، ص.128.

3-Venture De Paradis, Op.Cit, P.53.

ينظر كذلك:

-Robe (M), ***L'impot en Algérie***, Typographie bastide, Alger, 1871.
-Bochard (A), ***Impôts arabe en Algérie***, Paris, 1892.

اللزمة والمعونة والغرامة ببايلك الغرب، والتيطري والحكر والجبري ببايلك الشرق.

-**اللزمة والمعونة:** وهي ضريبة عينية أو نقدية، تفرض بغرض تموين الحامية وتزويد النوبة والمساهمة في الدنوش، وقد تفرض عادة على قبائل الرعية الخاضعة، والتي غالبا ما تعيش على أراضي العرش وحتى بعض القبائل بالمناطق الصحراوية، وذلك لرفضها دفع الضرائب المفروضة عليها وخضوعها لسلطة البايات[1]، أو تكون مقابل حق الاختلاف إلى الأسواق والتعامل مع البايلك، وفي هذه الحالة تعوض ضريبتي العشر والزكاة، التي يتعذر دفعها في المناطق البعيدة. وتدفع هذه الضريبة مرتين في السنة، إحداهما في الصيف والأخرى في الربيع، وتحدد غالبا نقدا وتختلف من قبيلة إلى أخرى[2]. وكانت هذه الضريبة تستخلص بصفة منتظمة ومستمرة من قبائل الرعية في السهول، وبتجريد الحملات –وهو ما سنفصل القول فيه في العنصر الموالي– وشن الغارات في المناطق الجبلية أو الصحراوية، وغالبا ما تفرض جزافا، بحيث يطلب مبلغ معين من المال يغطي مستلزمات عدة سنوات، وقد يصل إلى 300.000 ريال مع العديد من الخيل والعبيد[3].

ومما يلاحظ أن اللزمة والمعونة كثيرا ما يرد لفظهما مترادفا، وأن اللزمة غالبا ما تمس قبائل الرعية الخاضعة، بينما المعونة تطلب من كل القبائل الداخلة تحت نفوذ القياد أو المتعاملة معهم، وهذا هو السبب في تعدد تسمياتها بتعدد المناسبات التي تؤخذ فيها، وتباين كيفيات استخلاصها.

وفيما يلي نذكر بعض القبائل التي فرضت عليها هذه الضريبة ببايلك الشرق، مع تحديد قيمتها عند كل واحدة:

-قبائل بجاية: 213.160 بوجو

-ساحل البابور: 7566 بوجو.

-القبائل الواقعة تحت إدارة ميلة: 25.635 بوجو.

1-Mercier, Op.cit, P.215.

2-القشاعي فلة، مرجع سابق، ص.65.

3-Gaid (M), ***Chronique***, Op.cit, PP.14-19.

قبائل الصحراوي: 300.000 فرنك[1].

-الغرامة: وهي ضريبة تفرض على القبائل الممتنعة أو البعيدة عن نفوذ البايلك بالصحراء والهضاب العليا والمناطق الجبلية مثل بلاد القبائل الكبرى والشمال القسنطيني، وتؤخذ في أغلب الأحيان من المنتوجات المحلية حسب تنوعها مثل: الحيوانات، كالمعز والأغنام والابقار والجمال والخيل. المواد الأولية، كالعسل والسمن والملح والشمع والجلود والقطن ...الخ[2]. وتعد ضريبة فردية مفروضة على كل خيمة، تدفع نقدا عن القمح بعد بيعه، وذلك حسب المساحات المزروعة، أو بمعنى أصح حسب عدد الجابدات المزروعة في السنة. ومما يجدر بنا ذكره أنها استبدلت فيما بعد بالحكور[3].

فالقبائل التي تمارس نوعا بسيطا من الزراعة في الهضاب العليا والواحات تفرض عليها حسب عدد الزويجات التي تقوم بزراعتها، أما العشائر التي تعتمد في حياتها على الرعي والإنتاج مثل: الحنانشة وأولاد سيدي يحي بن طالب والنمامشة ببايلك الشرق، وأولاد مختار ببايلك التيطري، فتفرض عليها الغرامة مرة واحدة، اعتمادا على معلومات بسيطة لا تستند إلى أي إحصاء[4]. ولأن هذه الضريبة تكون حسب عدد الخيم، فإن القائد بمساعدة شيخ الدوار يقوم بالكشف عن الثروات ويوزع حصص الغرامة حسب عدد الخيم، وقد قدرها نوشي في بايلك الشرق بـ600 ألف فرنك[5].

-الحكر: وهذه الضريبة خاصة ببايلك الشرق، استحدثها صالح باي بدلا من الغرامة، وكانت تفرض على أراضي البايلك وأراضي العرش، وبمعنى آخر هي ما تتقاضاه الإدارة عن إجارة أرضها للفلاحين[6].

1-Nouschi (A), Op.Cit, PP.100-101.

2-القشاعي فلة، مرجع سابق، ص.67.

3-Temimi (A), Op.Cit, P.65.

4-سعيدون (ناصر الدين)، ***دراسات تاريخية***، مرجع سابق، ص304.

5-Nouschi (A), Op.Cit, P108-109.

6-المدني أحمد توفيق، ***محمد عثمان باشا***، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص.15.

-**الجبري:** وكانت أول ضريبة على المحاصيل الزراعية تشمل بصورة رئيسية هذه الضريبة التي وضعت من طرف صالح باي و لم تتغير إلا سنة 1830، والجبري يعتمد في تقديره مبدأ الجابذة أو الزويجة، وذلك على جميع الممتلكات (العرش، البايلك، الخواص)، ولا تتغير وتبقى على المقدار[1]. وتساوي 12 صاع ونصف من القمح، ونفسه من الشعير، وعشر شبكات تبن، وعلى هذا الأساس قام صالح باي بتقسيم البايلك إلى منطقتين: منطقة شرقية تبتدئ من قسنطينة إلى واد الحمام، ومنطقة غربية من قسنطينة إلى حدود تونس، وعلى رأس كل منطقة قائد جبري مكلف بجمع الضرائب[2].

كانت هذه أهم الضرائب المفروضة على المحاصيل الزراعية، أما الضرائب الإضافية الأخرى المرتبطة بمراسيم التعيينات، والمتمثلة أساسا في حقوق تنصيب كبار الموظفين والشيوخ والقياد، هذا فضلا عن عوائد سكان المدن ورسوم النقابات المهنية والدكاكين، وهي:

-ضريبة الدنوش: وتتمثل في زيارة الباي أو خليفته إلى مدينة الجزائر كل ثلاث سنوات، لتقديم حساباته المالية وتقاريره عن المقاطعة للباشا، هذا فضلا عن الهدايا للداي، ومن خلال تقديم الدنوش يتحدد مصير الباي إما بتجديد تعيينه وإلباسه القفطان، أو بسحبها منه وتعيين من يخلفه. ويتكلف الخليفة بدفعه مرتين في السنة في الربيع والخريف[3]. وكانت هذه الضريبة تزيد وتنقص تبعا للحالة الاقتصادية للبايلك، إذ بلغت في أواخر القرن الثامن عشر 228.000 فرنك، أما تكاليف سفره فتصل إلى المليون على الأقل[4]. وقد كان لهذه الضريبة أهمية كبرى مقارنة بالضرائب الأخرى، حيث تشكل هدايا الداي ومساعديه القسم الأكبر منها، أما الخزينة فلا تتلقى حتى نصفها[5].

-ضريبة البشارة: وكانت تقدم كل ستة أشهر من طرف شيوخ القبائل للباي في حالة

1- Nouschi, Op.Cit, P.18.

2-سعيدوني، ***النظام المالي***، مرجع سابق، ص.89.

3-الزهار، مصدر سابق، ص.35-36.

4-Venture de Paradis, Op.Cit, P.146.

5-Ibid, P.152.

تعيينه أو تجديدها، وقيمتها 20.000بوجو، وقد عرفت ارتفاع محسوسا في نهاية العهد العثماني[1].

-ضريبة مهر الباشا: وتفرض على القبائل على ما يملكونه من خيل، وتعد بمثابة إعانة يساهم بها الأهالي في نقل الدنوش، وتتراوح ما بين 600 إلى 700 حصان[2].

-ضريبة حق البرنوس: ويدفعها شيوخ القبائل عند تلقيهم قفطان التعيين[3].

-ضريبة المشيخة أو المشايخ: وهي ضريبة تؤخذ بمناسبة تعيين كبار شيوخ القبائل.

-ضريبة المقاد: وهي مكونة من الخيول، تقدم للباي والموظفين الكبار من طرف القبائل التي لا تمارس الزراعة.

-ضريبة الحق: هي مجموع الهدايا التقليدية التي يدفعها الفلاحون الصغار أو متوسطيهم[4].

-حق العسة: وهي ضريبة ألزمت بها بعض القبائل الصحراوية، مقابل إقامتها مؤقتا ببعض المراعي وترددها على أسواق الجهات الشمالية.

-التويزة: وهي بمثابة أعمال سخرية مجانية تفرض على القبائل الخاضعة التي تكلف بخدمة أراضي البايلك في شكل القيام بأعمال الحرث والبذر والحصاد إلى جانب الخماسين.

من خلال ما سبق، نصل إلى القول بأن العثمانيين عملوا على تخصيص كل منطقة بضريبة تتلاءم وطبيعة تضاريسها وأحوالها المناخية، فالصحراء تؤخذ منها المعونة والعسة، والهضاب العليا تفرض عليها الغرامة والمعونة والتل تسود فيه ضريبة العشر.

1-Temimi (A), Op.Cit, P.66.

2-معاشي جميلة، مرجع سابق، ص.76.

3- Temimi (A), Idem, P.67.

4-سيساوي أحمد، مرجع سابق، ص.125.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الأحيان مئتين وسبعين جنديا، بأعداد وفيرة من الفرسان، وقد أدى ذلك إلى تكوين قوة ضاربة يتراوح عدد رجالها بين 500 و1.000 رجل على رأسهم الباي وآغا المحلة، ومقسمة حسب تنظيماتها الداخلية إلى مجموعة خيام، كل خيمة منها تضم فصيلة يشرف عليها شاوش[1].

ورغبة منا في إبراز دور المخزني –والمتمثل خاصة في الخروج مع جنود البايلك لتأديب القبائل الثائرة أو التي ترفض عصا الطاعة بامتناعها عن دفع الضرائب– سنحاول التطرق إلى أشهر الحملات التي شاركت فيها قبائل المخزن بمختلف أنحاء الإيالة (أي البايلكات الثلاثة).

2–1–بايلك الشرق: أهم الحملات بهذا البايلك نذكر:

- حملة حسين الكيلياني المعروف ببوكمية (1713–1736) والتي كانت عام 1724 ضد الحنانشة الذين كانوا تحت زعامة بوعزيز بن ناصر وغنم منها ثمانية آلاف جمل وعدد من الثيران والخيم[2].

- حملات صالح باي (1771–1791) لإخضاع القبائل الصحراوية بنواحي واد ريغ خاصة سنة 1788 إذ تمكن بفضل قوة مؤلفة من حوالي ثلاثة آلاف من المشاة وألف من الفرسان من مهاجمة بني جلاب بتوقرت[3] كما حاول استدراج شيخ الدواودة محمد الدباح للدخول تحت طاعته، وبعد محاولات سلمية فاشلة قاد صالح باي حملته ضد تقرت أيضا كان السلطان فرحات بن جلاب يرفض الخضوع إلى السلطة العثمانية، وقد انطلقت هذه الحملة في نهاية أكتوبر 1788، وكانت انطلاقته من واد جدي وصولا إلى سيدي خليف أين منعته الثلوج من الوصول إلى توقرت إلا بعد 18 يوما حيث وصل وحاربهم[4]، وقد تمكنت أثناءها المحلة بفضل قوة مؤلفة من حوالي 3000 من المشاة و1000 من الفرسان من الاستحواذ على غنائم معتبرة (الحصول على300000 ريال بسيطة وعدد من العبيد والخيل)، وقبل أن يعود صالح باي إلى

1–الرسالة رقم 38، المجموعة 3206، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية، الجزائر، ينظر: الملحق رقم (10).

2-Gaid (M), ***Chronique***, op.Cit , P.49.

3–وتعود أسباب هذه الحملة إلى تحريض الشيخ أحمد الناقم على ابن عمه الشيخ عمر حاكم توقرت، وعدم رضا صالح باي على مقدار الغرامة المترتبة على الشيخ فرحات الذي خلف أباه في حكم منطقة واد ريغ.

4-Gaid (M), ***chonique***, Idem, P.43.

مقره، كلف الباش سيار الحاج مسعود بن زكري بالاتصال بسكان الصحراء لإعطائهم الأمـان وإقرار السلم بالمنطقة.

كما بعث محلة إلى الغرب لمهاجمة البيبان أو بني عباس عام 1772،، وتنفيذا لأوامر الداي واصل تقدمه ضد الفليسة ثم إلى الحضنة (أولاد نايل)، وبعد قتل باي التيطري الصوفتا دخل الجلفـة والأغواط، ثم حصل على بوسعادة والمسيلة، منتصرا عاد لمواجهة أولاد عمر حيـث أدهـم، وبعدها اتجه نحو خناق تاشودا حيث قام بتنظيم مجازر ضد قبيلة السقنية، إذ تم إتلاف محـاصيل هذه المناطق وقتل سكانها من طرف فرق المحلة وقبائل المخزن وعلى رأسها قبيلة الزمول، وقـد جردت قبائل السقنية من ممتلكاتها وقتل نتيجة لهذه المحلات المجردة ضدها خمسة وثلاثون رجـلا ومجموعة كبيرة من النساء والأطفال، وهذا ما اضطرها إلى مغادرة أراضيها بأن لجأت مجموعـة من سكانها والذين يقدرون بمائتين وعشرة خيمة أي حوالي 1260 نسمة، إلى قسنطينة، وتفـرق الآخرون بين القبائل[1]. هذا دون أن ننسى حملته على أولاد عمور الذيـن أعلنـوا العصيـان وجاهروا بالعداء.

- حملات الباي مصطفى بن سليمان الوزناجي (1795-1798) وأضرت هذه الحملة بقبائل منطقة القالة وزر دازة سنة 1794، الذين فقدوا قطعانهم وقبائل زمورة والحراكتة الذين تمكنت المحلة من الاستيلاء على مواشيهم سنة 1797[2]. وأضرت غاراته المفاجئة بـأولاد سـعيد في الأوراس أين قضى على كبار أولاد زرارة وأولاد موسى من قبيلة الأعشاش بالقرب من باتنة، إلا أن قبائل أولاد بوعون تمكنت من إلحاق الهزيمة بهذا الباي، بعد أن تحصنت بجبل مسـتاوة بمنطقة بلزمة وتصدت لهجماته المتكررة[3].

- حملة انجلز باي (1798-1803)ضد أولاد علي بن يحي والحنانشة بقيادة قائد الزمول سي

1-Féraud (Ch), ***Le shara de Constantine***, Alger, jourdan, 1887, PP.65.

2-Mercier, Op. Cit, P.303.

3-Gaid (M), ***chronique***, op. Cit, P49.

لمزيد من المعلومات حول حملات الوزناجي ينظر:

-Vayssette, Op. Cit , PP58...

-Féraud, ***Histoire de Constantine***, Op. Cit, PP55....

عمر بن الشريف سنة 1798 وقتل أثنائها قائد الحنانشة.

- حملة عثمان باي (1803-1804) ضد النمامشة، وكان هو بنفسه على رأسها و لم يغنم العثمانيون مثلما غنموا في هذه الحملة حيث حصلوا على مجموعة كبيرة من الجمال والأحصنة والخرفان والقمح والشعير ...الخ، حيث أغنت فرسان المخزن وخزينة البايلك[1]. ثم قاد حملة أخرى ضد سكان الشمال القسنطيني الذين تزعمهم ضد البايلك الشريف بن الأحرش، الذي هجم على قسنطينة وتمكن من القضاء على الباي ومحلته[2].

- حملة أحمد الطوبال باي (1808-1811) ضد السقنية سنة 1808 ليفرض عليها دفع الضرائب التي امتنعت عن تسديدها.

- حملات نعمان باي (1811-1814) ضد سكان المسيلة وقبائل الخضنة سنة 1811.

- حملات إبراهيم القريتلي ضد النمامشة الذين غنم منهم 60000 رأس غنم، والعمامرة وبني وجانة بالأوراس الذين كبدو الحملة خسائر جسيمة مما اضطرها إلى الانسحاب[3].

- حملات محمد تشاكر باي (1814-1818) حيث تعرض السكان للمصادرة ونزع الأراضي التي يعيشون عليها، وامتدت إلى مواطن بورنان والقندوز المنتسبين إلى أولاد مقران بنواحي سطيف، وإلى جهات أولاد عبد النور وأولاد سعيد بن سلامة عام 1816، عام 1816 وأولاد دراج وأولاد سيدي عبد بالنمامشة سنة 1817[4]، هذا دون أن ننسى حملته ضد مستاوة عام 1818، التي هزم أثناءها فرسان المخزن ورجال المحلة على يد أولاد سيدي عبيد وأولاد دراج، إذ أسر وقتل وأسر العديد من فرسان المخزن نذكر منهم مصطفى بن الأحرش، البلش سراج ومحمد الزموري وحمادي بن عون وشقيقه الحفصي[5].

- حملات أحمد باي المملوك (جانفي 1818، جويلية 1818) ضد بني جلاب بتقرت، حيث

1-Gaid (M), Op.Cit, P52.

2-وسنتعرض إلى هذه الثورة بالتفصيل في نهاية هذا الفصل. ينظر ص.

3-Vayssette, Op. Cit, P115.

4-Mercier, Op. Cit, P346

5-Gaid (M), Op Cit, P74.

أتلفوا لسكانها 200 نخلة، مما جعل محمد بن جلاب يسارع لإرضائه بدفع 100000 ريال بسيطة واستولوا على قطعان الماشية. كما استهدفت حملاته كذلك واد سوف وذلك عام 1822، حيث حصل الباي على غرامة قدرت بأربعين ألفا إلى خمسين ألف بوجو. وفي هذا الوقت تعرضت المناطق الجبلية كساحل البابور وبوسلام ومواطن أولاد سيدي أحمد والسقنية وريغة والنمامشة والحنانشة والعمامرة بالأوراس، إلى هجوم محلته التي هزمت على يد قبيلة العمامرة عام1822[1].

- حملات محمد باي الميلي (أوت 1818، ماي 1819) وإبراهيم باي الغربي (جوان 1819 ، جويلية 1820) وشملت جهات عديدة من بايلك الشرق، أهمها منطقة الزيبان حيث يقيم أولاد أورلال الذين ألحقوا الهزيمة بمحلة الباي الميلي عام 1819، مما اضطره إلى تجديد الهجوم عليهم وإيقاع العقاب بهم[2]، ومنطقة النمامشة التي غنم منها إبراهيم باي ما لا يقل عن 4000 رأس غنم عام 1822.

- حملة منامني بن خان باي (جويلية 1824، ديسمبر 1826) ضد سدراتة الشراقة بين قالمة وسوق أهراس، ثم توجه بعدها مع رجال مخزنه لإخضاع أولاد دراج وأولاد نايل[3].

- حملات الحاج أحمد باي (1826-1837) واستهدفت في أغلبها استرجاع النظام وإعادة الهدوء إلى ربوع بايلك الشرق، أهمها تلك التي شارك فيها يحي آغا من الجزائر[4] والقائد بن عيسى وبلبجاوي خليفتي الباي وشيخ العرب بن قانة وشيخ أولاد مقران بمجانة وأهمها تلك التي هوجمت فيها قبائل زين بن يوسف بمنطقة دير بنواحي تبسة عام 1827 وكذلك الحنانشة والعمامرة وأولاد مسعود وأولاد يحي بن طالب عام 1827. هذا دون أن ننسى نواحي سطيف والمسيلة وأولاد عبد النور وأولاد سعيد والسقنية عام 1834، وكان الحاج أحمد باي قد غنم

1-Féraud, ***Le sahara***, Op. Cit, p65.

2-Vaycatte, Op. Cit, P86.

3-Gaid (M), ***Chronique..***, Op. Cit, P88.

4- وكان قد أرسله حسين داي لتنصيب الباي الجديد، وانطلق يحي آغا على رأس محلته مرورا بحمزة فمجانة ثم زمورة وسطيف وأولاد عبد النور وأولاد سلطان مرورا بعنابة وصولا إلى قسنطينة.

غنائم كثيرة من هذه الحملات ونذكر على سبيل المثال أنه حصل في إحدى حملاته على قبائل الحنانشة وأولاد سيد الشيخ وأولاد مسعود على 1260 بقرة و1810 خروف وعدد كبير من الخيول[1].

2-2-بايلك الغرب:

نظرا لما تميز به هذا البايلك عن غيره من البايلكات، هو وقوعه في قبضة الإسبان لسنين طويلة، فإن باياته ما كانوا يستعملون القوة العسكرية إلا لمجابهة عدوهم، ولهذا فالحملات التأديبية والتي كانت بغرض إخضاع القبائل المتمردة أو الرافضة للخضوع لسلطة البايلك، لم تكن كثيرة مقارنة بالبايلكين الآخرين. ولهذا سنحاول التركيز على حملات الباي محمد الكبير، إذ كان إخضاع الجنوب الصحراوي على يديه من خلال فتحه للأغواط والشلالة وعين ماضي وميزاب، كما يشير إلى ذلك صاحب دليل الحيران بقوله: «...وبلغ مبلغا لم يبلغه أحد من ملوك الأتراك....»[2].

- حملة يوسف بن محمد المسراتي (1733-1734) على أهل تلمسان، وذلك بعد أن نقموا عليه، فسار إلى باشا الجزائر ودعم قوته، ثم عاد بعد ذلك وهاجمهم ويذكر ذلك صاحب دليل الحيران بقوله: «...فأوقع بأهل تلمسان إيقاعا كثيرا وصال على المحال إلى أن أفناهم وأخلاهم لوهران...»[3] ،وقتل في هذه الحملة 40 رجلا في يوم واحد.

- حملات الباي محمد الكبير (1778-1796) إلى الجنوب الصحراوي.

كانت بداية حملاته يوم الخميس التاسع من ربيع الأول عام 1200هـ/التاسع عشر من جانفي 1785 من معسكر، وذلك بعد أن اتصل بالأحرار الغرابة من أجل الخروج معه. فانطلق حتى وصل واد الزلامطة ونزل بها، ثم واصل سيره إلى واد العبد ليصل بعد يومين إلى دير الكاف

1-Temimi, Op.Cit, P.52-53.

2-الزياني، مصدر سابق، ص.207.

3-المصدر نفسه، ص.195.

أين توافد عليه شيوخ قبائل أولاد خليف والأحرار الشراقة، وبعدها سار بن عمور ومر بسيدي علي وسيدي سليمان وخنيق المنح، حيث دخل كل هذه المناطق وغنم منها ما شاء، كما يذكر ذلك صاحب الرحلة: «... لم يبق واد إلا فيه طليعة ولا جبل إلا وعليه كتيبة...»[1]، وكان قد غنم 1000 جمل و4000 رأس غنم، هذا فضلا عن الخيام والفرش والأمتعة.

وبعد ذلك عبر الخضراء وتاويلة –أين غنم مغانم كثيرة– وبعدها سار إلى الخيرٌ ليصل مليانة أين واجهته وابنه عثمان مصاعب كثيرة في الطريق تمثلت في الأمطار والثلوج حيث عسرت عليه وصوله إلى قصر أوفل[2]، لكنه استطاع الوصول إليها حيث جاءته قبائل أولاد صالح وأولاد يعقوب القبالة (القبلية) وأولاد يعقوب الغرابة، خاضعة وملتزمة بدفع الضرائب، ومنها إلى أن وصل رنينة التي غنم منها مغانم كثيرة أيضا[3]، وبينما هو راجع إلى محلته ورد عليه أهل تاجموت وعين ماضي طالبين منه الأمان، فكان لهم ذلك، مقابل دفع 5000 سلطاني و100 ثوب و أربعة خيول، لكن ما كان منهم أنهم نكثوا عهدهم وطردوا فرسان المخزن الذين جاءوا عندهم من أجل أخذ الضريبة المتفق عليها بينهم. وهذا ما شجع الباي على إعلان الحرب ضدهم بأن عين لكل قبيلة موضعها، فكانت الزمالة أسفل الجبل والدوائر في الجهة الغربية والحامية التركية على يسار دوائر الزمالة، وبعدها بدأ بضرب المدينة[4] ليدخلها فيما بعد، بعد أن أبلت الدوائر بلاء حسنا وقتل من بني الأغواط وأحلافهم ما يزيد عن 60 رجلا.

كما تجدر الإشارة إلى أن الباي كاتب العلماء يدعوهم للخروج من المدينة حتى لا يصيبهم ما أصاب أهلها فلبوا أمره مع دفع خمسة آلاف ريال بوجو ومائتين وخمسين بعيرا، وأربعة أفراس ومائة خادم ومائتي ثوب[5].

1–التلمساني أحمد بن هطال، ***رحلة محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي الجزائري***، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، ط1، عالم الكتب، القاهرة، ص.40.

2–لعله قصر آفلوا، كما يشير ذلك محقق الرحلة، محمد بن عبد الكريم.

3–للتفصيل في المواقع التي مر بها الباي وصولا إلى الأغواط، ينظر: –ابن هطال، مصدر سابق، ص ص.37–54.
-Gorguos (M), « **Expédition de Mohammed el Kebir** », ***R.A***, 1858- 1859, 1859-1860.

4–ابن هطال، المصدر السابق، ص ص.55–59.

5-Gorguos (M) , Op. Cit, P.290.

وبعد أن كان له فتح الأغواط ، اتجه إلى عين ماضي أين جاءه أهل تـــاجموت طـــالبين الأمان فحققه لهم، بل وعاملهم بالحسنى[1]، فدلوه على مكان قريب من عين ماضي يحـــط بـــه رحاله، ولما وصل عين ماضي، فزع أهلها وبعدها أتوه طائعين جاعلين النساء في الأمام، علـــى أن يخضع لسلطته بدفع الضرائب، والتي قدرها ابن هطال 5.000 ريال بوجو و40خادما[2].

وبعد أن تعرضنا لإخضاع الأغواط وعين ماضي، سنتحدث عن بني مـــيزاب الذيـــن طمعوا أن ينقض الباي عهده على الأغواط ويطردهم من قريتهم ليسلمها لهم، ولما يئسوا مـــن ذلك طلبوا منه أن يصالحهم مع بني الأغواط ففعل[3]. وبعد ذلك قفل راجعا إلى عاصمة بايلكه، بعد أن أخضع بني الأغواط وعين ماضي وميزاب[4].

• حملاته على القبائل المجاورة: وبالضبط على منطقة تبعد 200 فرسخ عن معسكر من الجنوب في بلد لم يعترف بأي حاكم[5]. وجهز لهذه الحملة جيشا مكونا من حوالي 15000 رجل أغلبيتهم من فرسان المخزن (13000 فارس و2000 انكشاري) استطاع بفضله أن ينـــهب 14 أو 15 دوار، وقد تمكن من الانتصار رغم مقاومة أهلها، وخسر حوالي 30 من رجاله من بينـــهم 5 أو 6 من البارزين. أما الغنائم التي استحوذ عليها فقد قدرها تيدنة بـــ6700 خـــروف وعـــترة و5000 جمل و653 بغل و720 بقرة وثور، وأما حاجيات الخيام فهي أبيحت ملكا للفرقة بـــأن سمح لمن يريد أو من يتمكن منها بأخذها، هذا فضلا عن 60 شخصا أغلبهم من النساء[6].

• حملة مصطفى بن عبد الله العجمي (1800-1805) على أهل أنقاد، وانهزم أمامـــهم

1-بأن أعطاهم الإبل التي يحملون عليها أثقالهم.

2-على أن يكملوا ما بقي من قيمة الضريبة وهي 4 أفراس و250 جمل بالذهاب إلى محلته إذا لحقوها وإلا فإلى معسكر حين عودته.

3-ابن هطال، مصدر سابق، ص.75.

4-وبعدها قفل راجعا إلى عاصمة بايلكه (معسكر) عبر الطريق الذي جاء منه، ووصل إليها يوم الأربعاء 28 ربيع الثـــاني قبل وقت العصر. ولمزيد من التفاصيل حول القبائل التي أتته مستسلمة مقدمة الهدايا في طريق عودته، ينظر ابـــن هطـــال المصدر نفسه، ص ص.82-100.

5-عميراوي احميدة، ***الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر***، مرجع سابق، ص .84.

6-Emerit (M), « Les aventures de Thedenat », ***R. A***, 1948, P.182.

هزيمة عظيمة، مات فيها رؤساء مخزنه وسلبوا[1]، ومنهم آغته ابن عودة، وكـــانت أول واقعـــة وقعت بالمخزن، حتى دخله الوهن وطمعت به الرعية[2].

• حملة الباي محمد بن عثمان المعروف بـــأبي كـــابوس (1808-1813) على النوايـــل والبواعيس وقد دله عليهم شوافه[3] الذي صحبه في الحملة مع رجال المخزن، وقد غنموا منـــها غنيمة معتبرة بأن نهبوا كل مواشيهم وبهائمهم[4]. كما قاد حملة على العريب المتمركزيـــن في واد الجنان معتمدا فيها على رجال المخزن الذين وصل عددهم إلى 4000 فارس، تجمعوا في مليانـــة واجتازوا أرض أولاد علان، وقد غنموا كثيرا، هذا فضلا عن جلبهم 200 امرأة[5].

2-3-بايلك التيطري:

• حملة الصوفتا باي في نهاية عام 1772 وبدايات 1773، ضد أولاد نايل، هـــؤلاء الذين تجهزوا للأمر بعد أن وصلهم خبر الحملة، إذ أرسلوا إلى جميع القبائل المجاورة، واستطاعوا أن يترصدوا للباي ورحاله، وهو ما أدى إلى قتله مع مجموعة كبيرة من رجال المخزن[6].

• حملة حسن باي على أولاد نايل من أجل إخضاعهم، كما قاد حملة أخرى على قبيلة مزاية البربرية التي فضلا عن امتناعها عن دفع الضرائب، قامت بقطع الطريق الرابط بـــين الجزائر والمدية. ولذلك فقد جعل حاميتين اثنتين في الشمال والجنوب، جعل الأولى تحت قيـــادة محمد آغا والثانية تحت قيادته، وقد حاولت القبيلة مقاومته ولكنها فشلت[7].

1-الزياني، مصدر سابق، ص.207.

2-مسلم بن عبد القادر، مصدر سابق، ص.70.

3-وكان البايات يستخدمونهم لمعرفة مناطق تمركز القبائل المتمردة أو العاصية، ونذكر منهم: محمد بن غمـــاري شـــواف الباي حسن ومحمد بن دحمان شيخ أولاد عياض. ينظر:

-Esterhazy, ***Domination***, Op. Cit, P.251.

4-Ibld, P.251.

5- Fédermann, Op. Cit, P.291.

6-Ibld, P.285.

7-وكانت هذه الحملة سببا في نشوب الصراع بين باي وهران بوكابوس وباي التيطري، حيث اعتبر الأول أن هذا الأخير قد تعد على قبيلة تابعة لسلطته.

• حملة إسماعيل باي وكانت وجهتها الأولى أولاد نايل لرفضهم دفع الضرائب، ولكنها تغيرت إلى بني لانت الذين كانوا في الثورة على باي وهران، وقد غنم إسماعيل باي ورجال المخزن غنائم كثيرة من هذه الحملة.

• حملة جعفر باي إلى أولاد مهدي عام 1813، وقد ضمت 50 جنديا و آلاف من فرسان المخزن وقد قتل فيها ستة منهم (أي فرسان المخزن)، و22 زبنطوط و واحد من سباهية الباي وهو محمد بن قارة قنداز. كما قاد حملة ضد قبيلة الزناكرة، انطلقت من عين موشارف مواطن أولاد علان وقتل فيها الكثير وفرض على أهلها ضريبة ضخمة.

• حملة الباي إبراهيم بلحاج خليل ضد قبائل أولاد نايل المتمردة، التي استقرت في المجدل (على طريق العدوات إلى بوسعادة)، وقد جهز لها جيشا مكونا من 30 من السباهية و100 زبنطوط يركبون البغال و500 فارس مخزني من العبيد والدوايرة وأولاد مختار وقد امضوا ليلتهم في عين وسارة ليتوجهوا بعدها إلى المجدل أين ألحقوا بأولاد نايل هزيمة كبرى[1].

• حملات إبراهيم القسنطيني (1817-1819) إلى الجنوب، وأشهرها تلك التي شنها ضد أولاد ضياء وشيخها بلقاسم برعاش المستقرةفي المعمورة، وخسر الباي في هذه الحملة الكثير من رجاله لكنه غنم 2000 جمل و10000 خروف.

• حملة مصطفى بومرزاق (1819-1830) على قبيلة أولاد فرج –وقد دلهم على مكانها بعين الريش بالجنوب الغربي لبوسعادة شيخ الأجواد- وقد جهز لهذه الحملة 50 فارسا من قبائل المخزن، انظموإليه في مكان يسمى أم العظام، لينطلقوا بعدها باتجاه القبيلة وأقاموا في اليوم الموالي بمكان يعرف بالقلتة البيضاء، وبعد مسيرة ليلة كاملة وصلوا إلى عين الريش أين فاجأوا القبيلة، وقد غنم الباي غنائم معتبرة[2].

كما قاد حملة أخرى عام 1823 ضد أولاد شايب على رأس 50 زبنطوط و500 فارس

1-Fédermann (H), Op.Cit, P296.
2-Ibid, P.299.

مخزني، هجموا عليهم في أم الزنوج (السرسو) ودامت المعركة سبع ساعات قتل فيها 17 فارسا. وبعد سنتين قام بحملة أخرى انتقاما لما فعلوه به عام 1823. كما قام الباي بومرزاق عام 1825 –بالخروج لترويض أولاد ضياء لرفضهم دفع حق العسة وكذا فرارهم من سروال إلى عين وسارة بعد مزاحمتهم للأرباع (وقائدهم سليمان بن أحمد ودليلهم بوميدونة من أولاد مختار الشراقة) الذين جاءوا لشراء الحبوب، وقد قام هؤلاء بمساعدتهم للفرار مما جعل الباي يقتلهم وينتقل بعد ذلك للهجوم على قبائل الأرباع والحرازلية- وذلك بأمر من الباشا، وذلك لمساعدتهم للتجاني[1] ضد باي وهران.

وعلى هذا فقد هجم عليهم الباي على رأس 4500 فارس، أين حجز 120 من أعيان قبيلة الأربعاء منهم سليمان بن صفة طايرة، بودومة، باهيز من أولاد صالح، وقادهم إلى الجزائر ونفذ في حقهم الديوان عقوبة الأشغال الشاقة، وغنم الباي من هذه الحملة 10700 جمل بيعت في وقتها وقبض ثمنها[2]. وآخر حملة قادها هذا الباي كانت عام 1826 على أولاد مختار الشراقة، وكان معه بن دهيليس وبن عودة (فارسا المخزن) وذلك بقصر عزوز، وقد غنموا 500 جمل و4000 رأس خروف[3].

وهكذا نكون قد تطرقنا إلى أشهر الحملات التأديبية بالبايلكات الثلاثة، والتي نصل من خلالها إلى أنها كانت بمثابة أداة فعالة لتنفيذ عمليات المصادرة واكتساب الغنائم، هذا فضلا عن إخضاع المتمردة منها والعاصية، مبرزين في ذلك مدى فعالية قبائل المخزن بمساعدتها للسلطة في تجريد هذه الحملات.

3-أثر جباية الضرائب على الرعية وردود فعلهم:

إن سياسة الأتراك الجبائية، تأثرت إلى حد كبير بنظام المحلة الفصلية، وبأسلوب الغلوات المفاجئة والهجمات المباغتة التي ما فتئ البايات يشنونها على مختلف القبائل خاصة على التي

1-سنفصل فيها في العنصر الموالي. ينظر: ص. 113

2-Fédermann, Op.Cit, PP.299-301.

3-Ibid, P.301.

جاهرت بالعصيان أو أعلنت التمرد –وقد سبق أن أشرنا إلى أهمها عند تعرضنا لمشاركة المخزنية في المحلات العسكرية التأديبية- وعلى هذا الأساس يتضح لنا أن السياسة الجبائية بالإيالة، بعيدة عن تحقيق العدالة الاجتماعية ومساواة السكان فيما يطلب منهم من ضرائب ومساهمات، وهذا ما كان أثره بارزا على سكان الأرياف بالإيالة وقد تمثل في:

- التأثير السلبي على الزراعة بالأرياف وقد تسبب فيه النشاط الحربي للحملات العسكرية حيث كانت تشكل عائقا أمام تطور الإنتاج وتحسين طرق استغلال الأرض، وتطور معارف الفلاح وتفتح مواهبه وخبراته[1].

- الخسائر الفادحة التي تتكبدها المناطق التي تتوجه إليها الحملات، وذلك الركود الاقتصادي الخانق الذي تتركه وراءها[2].

- التأثير على توزيع الكثافة السكانية بالأرياف، إذ نجد الكثير من القبائل التي هاجرت مواطنها لتسكن المناطق الجبلية البعيدة خوفا من أن تنالها عصا الأتراك لاستخلاص الضرائب، وهذا ما أدى إلى توزيع متسم بالتخلخل أثر على مستقبل الجزائر، لأنه ساعد على إيجاد فراغ نسبي أمام التوسع الاستيطاني الأوروبي الذي بادر بالاستيلاء على المناطق المحيطة بقسنطينة ووهران ومعسكر[3].

- التأثير على نظرة سكان الأرياف للحكم التركي، حيث أن تجريد هذه الحملات ضد المناهضين والمتمردين، ترك أثرا سلبيا على نفسية السكان ونظرتهم إلى الوجود التركي بالبلاد، مما أضعف فيهم روح المقاومة ودفعهم إلى حياة الشقاء، بحيث قنع جلهم بخدمة الأرض، وبذلك أصبح موقفهم سلبيا، لا يستجيب بسهولة لأي عمل جماعي، همه الوحيد انتظار وتوقع الحملات الانتقامية، وهذا ما يكون له انعكاس سلبي على المقاومة الوطنية للاحتلال.

1-سعيدوني ناصر الدين، "وضعية عشائر المخزن الاجتماعية والآثار التي ترتبت عنها"، ***المجلة التاريخية المغربية***، ع.7، تونس 1977، ص.74.

2-سعيدوني، ***النظام المالي***، مرجع سابق، ص.124.

3-سعيدوني، ***وضعية عشائر المخزن***، المرجع السابق، ص.75.

• فضلا عن تأثيرها المباشر على الأوضاع الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية وتحكمها في مستوى المعيشة والقدرة الإنتاجية للسكان بالأرياف، فقد أدت إلى تقسيم السكان إلى صنفين: أحدهما منتفع من هذه السياسة الجبائية والآخر متضرر، والأول يتألف من القوة المتعاملة مع البايلك والتي تقوم بجمع الضرائب وتشكل الواسطة بين غالبية السكان والجهاز الإداري للبايلك، وهي تتألف من فرسان المخزن والعائلات الإقطاعية (الجواد) وأسر المرابطين وشيوخ الزوايا التي اكتسبت مع مرور الزمن صبغة روحية ومكانة اجتماعية وحقوقا وراثية وامتيازات معترف بها، تتمثل بخاصة في التخفيف أو الإعفاء من الضرائب[1]، وإسناد المناصب والمهام ونيل الأراضي وحيازة المراعي، وذلك مقابل الحد من عداء السكان وضمان الأمن والإبقاء على المواصلات والتبادل التجاري وتأمين مرور فرق الحاميات وهذا بالنسبة للمناطق الصعبة والجهات النائية[2].

والصنف الثاني الذي أفرزته السياسة الجبائية بالأرياف يتشكل من المجموعات الخاضعة أو المتعاملة مع البايلك مباشرة عن طريق شيوخها، وهذا الصنف الذي تؤلف جماعات الرعية غالبيته، وهو الذي تقوم عليه الحياة الاقتصادية ويستند عليه النظام الجبائي بمطالبه المختلفة وضرائبه المتنوعة، وهذا ما جعل السياسة الجبائية في أساسها تؤثر سلبا على مستوى المعيشة وقدرة الإنتاج، لأنها لم تهدف إلى تحقيق المساواة بين السكان حسب مقدرتهم على أداء الضريبة، ولم ترم إلى التشجيع على الإنتاج الرفيع، مقدار ما تتحصل عليه الدولة من الضرائب، بل إنها كانت تتعامل من خلال الواقع الاجتماعي والاقتصادي الذي أفرز جماعات قابضة للضرائب وجماعات دافعة لها. وهذا ما أدى إلى معاناة فئة كبيرة من الفقر والحرمان، لأن ما ينتجه يذهب أغلبه في شكل مطالب مالية وعينية إلى خزينة البايلك ولفائدة القائمين بجمعها، والفئة الأخرى تعيش على شقاء الآخرين، بجمعها للثروات وحصولها على المداخيل العديدة، إما مقابل تأدية خدماتها الإدارية أو من خلال علاقتها الاجتماعية أو نفوذها الديني، وتمثل

1-ينظر: رسالة رقم 52، المجموعة 3206، الملف 2، قسم مخطوطات المكتبة الوطنية، الجزائر، ينظر الملحق رقم 18

2-بلحميسي مولاي، *الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني*، د.ط. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص.28.

—هذه الفئة- شريحة صغيرة من مجموع الأرياف، لا تؤثر في أوضاعه الاقتصادية وفي علاقته الاجتماعية، لأنها بمثابة مجموعة من الموظفين وأقليات متميزة، يربط مستوى معيشتها المرتفع بمعاناة غالبية سكان الأرياف[1].

كانت هذه من الآثار التي ترتبت عن السياسة الجبائية للأتراك على سكان الريف —من خلال تجريد الحملات الاعتيادية أو المفاجئة- ويبقى أن انعكاس هذه السياسة يظهر لنا جليا في ردود أفعال الرعية من سكان الريف على سياسة بعض البايات الجائرة، والتي تمثلت أساسا في حركات التمرد والعصيان ضد مظالم السلطة ورفضا في أغلب الأحيان للمطالب المالية والضرائب الثقيلة، إذ أن الالتزام بدفعها يعد نوعا من الخضوع والتسليم للسلطة.

وفيما يأتي سنتعرض لأهم هذه الثورات والتمردات ببايلك الشرق —كأنموذجا- لأنه من أكثر البايلكات تعرضا لمثل هذه الردود من قبل الرعية.

- **ثورة الشريف بن الأحرش** بالشمال القسنطيني في مطلع القرن التاسع عشر ودعوته للثورة على البايلك، وذلك ما أدى إلى حدوثها فعلا، إذ شاركت فيها —حسب بعض الروايات- حوالي 100000 رجل ضد حكم البايات وسياستهم الجائرة وذلك عام 1803[2]. ويبقى أن هذه الثورة التي انتشرت بين أغلب السكان تعكس بصدق طابع العداء والتخوف الذي أصبح يميز العلاقة بين أهالي الريف في هذه الجهات والجهاز المركزي بقسنطينة، نتيجة السياسة المالية وطريقة رجال البايلك في استخلاص الضرائب.
- **تمرد أولاد عبد النور** (1811-1812) الذي أخمده الباي تشاكر سنة 1813، إضافة إلى تمردات أولاد عبد النور والتلاغمة ورفضهم المطالب المالية الثقيلة في عهد الحاج أحمد باي وقد استمرت حالة التمرد مدة طويلة، ولم يوضع حد لها إلا بتدخل شيخ العرب بالزيبان الحاج محمد بن قانة، الذي أقنع شيوخ أولاد عبد النور وحلفائهم من التلاغمة بمهادنة الباي

1-القشاعي فلة، مرجع سابق، ص.171.

2-سنتعرض إلى هذه الثورة بالتفصيل في العنصر الموالي عند حديثنا عن مشاركة المخزنية في إخماد الثورات المحلية، ينظر: ص ص. 105 - 106

وإبرام عهد أمان يضمن لهم السلام ويحفظ حقوق البايلك، لكنه ما لبث شيخ العرب بمساعدة الحاج أحمد باي أن غدر بهم قرب عين السلطان وأوقع العقاب بالتلاغمة وأولاد عبد النور وقتل العديد من رجالهم، وقد استطاع شيخ أولاد عبد النور العلمي أن يواصل الثورة وأن يتصدى من جديد لقوة أحمد باي وحليفه الحاج محمد بن قانة، وبقيت هذه التمردات ضد السلطة بمناطق أولاد عبد النور والتلاغمة وانتشرت نحو جهات ريغة وعامر والعلمة[1].

- **تمرد مجانة** عام 1813: وذلك بسبب الحملات التأديبية ومحلات استخلاص الضرائب التي أدت إلى هلاك العديد من السكان من جراء أساليبها العنيفة[2].

وقد تجددت هذه الثورات في عهد الحاج أحمد باي، عندما قامت جهات قبائل مجانة وريغة وعامر ضد البايلك، انتقاما لاغتيال المقراني شيخ مجانة، إذ لم يستطع أحمد باي إخمادها إلا بمساعدة بن قانة وقبائل الصحاري والسلمية وبوعزيز والرحمن المناصرة للبايلك في جهوده لإخماد تمردات الهضاب العليا[3].

- **تمردات أوراس النمامشة** وسببها الحملات الكثيرة التي شنتها السلطة العثمانية وذلك لرفض سكان المنطقة دفع الضرائب وعدم قبولهم بموظفي البايلك وامتناعهم عن التعامل معهم، ونذكر منها:

- **تمرد النمامشة والحراكتة**: وقامت بها الجهات الشرقية والوسطى من الأوراس من 1818 إلى 1823، وتسببت فيه الحملات العسكرية العديدة التي دأب البايات على القيام بها في تلك الجهات من أجل استخلاص الضرائب، وقد عم هذا التمرد المناطق الواقعة إلى الشمال من الأوراس وإلى الغرب من تبسة، عندما تحالفت قبيلتا النمامشة والحراكتة للوقوف في وجه سلطة البايلك عام 1797، مما اضطر الباي الوزناجي إلى شن حملات انتقامية متتالية، تضررت منها الرعية، وبعدها تجددت ثورة النمامشة عام 1803 ثم في عامي 1817 و1822، وقد تمكن التشاكر باي من الاستيلاء على أعداد ضخمة من الأغنام والخيول والجمال، ولكن هذه

1-Dr. Shaw, Op. Cit, P.384.

2-Mercier, Op. Cit, PP.340...

3-Féraud, ***Le sahara de constantine*** , Op. Cit, PP.248-250.

القبائل لم تخضع إلا في عهد أحمد باي المملوك عام 1822.

- **تمرد سيدي يحي بن سليمان وابنه أبو عبد الله أحمد:** وأعلن هذا الرجل تمرده منذ مطلع القرن السابع عشر ، وألحق خسائر جسيمة بقوات البايلك، وبعدها استسلم يحي بن سليمان لتنتهي بذلك حركة التمرد.

- **انتفاضة أولاد سعيد وأولاد موسى والأعشاش بالأوراس:** وكانت في عهد مصطفى باي الوزناجي، وقد تمكن من إخضاعها بقطع رؤوس المتمردين ووضعها فوق أبواب المدينة حتى تكون عبرة.

- **تمرد زعيم أسرة بوعكاز:** هو فرحات بن سعيد الذي دأب على إعلان تمرده على سلطة البايلك في المناطق الممتدة من توقرت وواد سوف حتى بسكرة، وقد أخذ هذا التمرد طابع التحدي، عندما تزعم هذا الثائر القبائل المعادية لزعامة ابن قانة، وقد تدخل الحاج أحمد باي لصالح هذا الأخير، مما أدى ببن فرحات بن سعيد إلى طلب العون من الأمير عبد القادر ومحاولة الاتصال بالفرنسيين[1].

- ثورة بن الصخري[2]: وهي ثورة عظيمة كادت تعصف بالنظام العثماني، وسنفصل فيها في العنصر الموالي، عند تطرقنا لمشاركة قبائل المخزن للنظام في إخماد الثورات المحلية.

وبهذا نكون قد تعرضنا لأهم التمردات والثورات والتي كانت بمثابة ردود فعل على السياسة الجبائية العثمانية، وتعد تعبيرا صريحا عن رفض سكان الإيالة للنظام العثماني الجائر، ووقوفهم صفا واحدا لمواجهته، وهذا ما لا يمكن تفسيره إلا ببروز الشعور الوطني بين السكان.

1-القشاعي فلة، مرجع سابق، ص.167-168.

2-ورغم أهمية هذه الثورة إلا أنها لم تنل اهتماما يذكر من طرف المؤرخين الجزائريين، إذ لم نجد من كتب عنها إلا فيرو وبربروجيه في مقالين في المجلة الإفريقية.

ثالثا: دورها (المخزنية) في إقرار الأمن بالإيالة

وذلك باعتماد السلطة العثمانية عليها في إخماد الثورات المحليـــة والمشـــاركة في صـــد الهجومات الخارجية على الإيالة في حال وقوعها.

1-مشاركتها في إخماد الثورات المحلية:

وسنتعرض لأشهر الثورات التي شاركت المخزنية في إخمادها إلى جانب قوات الإيالـــة العسكرية، وسيقتصر حديثنا على أربع منها وهي: ثورة ابن الأحرش وثورة ابـــن الشـــريف الدرقاوي والثورة التيجانية وثورة ابن الصخري. ويعود اختيارنا لهذه الثورات الأربع لنفصـــل فيها القول وكذا لنوضح من خلالها دور المخزنية في إخمادها والمحافظة على الأمن داخل الإيالـــة لسببين اثنين: الأول باعتبارها من أكثر الثورات تأثيرا على الحكم التركي، أما الثاني فهو أننـــا أردنا أن نأخذ أنموذجا عن كل سلطة محلية منافسة للحكم العثماني، فكما سبق وأن رأينـــا في الفصل الأول من البحث بأن الحكم العثماني لم يكن الوحيد بالإيالة، بل هناك سلطات أخـــرى تتمثل في سلطة شيوخ القبائل وسلطة الطرقيين وسلطة الأشراف والعلماء.

وعلى هذا الأساس سنتطرق إلى ثورة ابن الأحرش ودرقاوة والتجاني باعتبارهـــا تمثـــل سلطة الطريقة، وثورة ابن الصخري التي تمثل سلطة شيوخ الأسر الحاكمة وهذا لا يعـــني أنهـــا الثورات الوحيدة على مستوى الإيالة وما هذه إلا نماذج من الشرق والغرب على السواء.

1-1-ثورة عبد الله محمد بن الأحرش[1] 1804-1807/ 1219هـ -1221هـ

إن هذه الثورة كانت ثورة شعبية عميقة، أهدافها بعيدة، إذ كانت تهـــدف إلى قلـــب النظام العثماني بالبايلك، إن لم يكن لكل الإيالة، وفيما يأتي سنتعرض لهذه الثـــورة بتفصيـــل أحداثها والتعريف بزعيمها والنتائج التي أسفرت عنها.

1-وقد حظيت هذه الثورة باهتمام العديد من المؤرخين، إذ ورد التفصيل فيها في كثير من المصادر، وهي الـــتي اعتمدنـــا عليها.

• **التعريف بعبد الله بن الأحرش:** هو عبد الله محمد الشريف الدرقاوي الملقب بابن الأحرش[1] مقدم الطريقة الدرقاوية [2]وهو من عرب المغرب الأقصى، رحل من بلاده للحج، وفي طريق عودته شارك مع الجنود المصريين في صد حملة نابليون على مصر (1798-1801) وذلك بأن جمع جيشا من أعراب الجزائر والمغرب الأقصى وتونس، وقد أبلى بلاء حسنا في تلك المعارك، ولما عاد نابليون إلى مصر قفل راجعا إلى المغرب العربي، وذلك بعد أن استقر بتونس، أين لقيه حمودة باي[3] وفاوضه في القيام على حكومة الأتراك[4]، ومنها ذهب على متن سفينة إنجليزية إلى عنابة، ثم تحول منها إلى قسنطينة حيث قضى بعض الوقت إطلع فيه على أحوالها، بعدها توجه إلى مدينة جيجل قصد الاستقرار بها، وهناك بدأ يخطط لثورته ويتصل بالقبائل الجبلية التي تقطن المناطق الواقعة بين جيجل والقل وميلة، و لم يلبث أن اكتسب الأنصار والمؤيدين في مختلف قبائل تلك الجهة وأصبحت كلمته مطاعة عند أهالي الواد الكبير ورجال زواغة وناحية واد الزهور، وكان في طليعة مناصريه في تلك الجهات أولاد عيدون وابن مسلم وابن خطاب[5].

• **أسباب قيام الثورة:** يعتبر ظلم الحكام للرعية وإرهاقهم لها بالضرائب، أهم الأسباب التي دفعت بعض المرابطين والمتصوفة إلى التخلي عن تأييدهم للسلطة العثمانية والوقوف ضدها ومناهضة حكمها بأن شرعوا في التحضير لهذه الثورة. أضف إلى ذلك ما ذهب إليه بعض المؤرخين من أن الإنجليز أعجبوا بشجاعة ابن الأحرش في صد الفرنسيين أثناء حملتهم على مصر، الأمر الذي جعلهم يعتمدون عليه في ضرب المصالح الفرنسية بالجزائر، وقد استدلوا على ذلك بالمساعدات التي قدمها الإنجليز له في مصر، وأن ابن الأحرش بنفسه قد

1-والمشهور لدى العامة بالبودالي نسبة إلى أدبال الصالحين.

2-إذ قال عنه الزياني بأنه:«...فتى مغربي مالكي مذهبا درقاوي طريقة درعي نسبا».ينظر: الزياني، مصدر سابق، ص.207.

3-ويذكر صاحب طلوع سعد السعود أن هذا الباي كان يكن حقدا لملوك الجزائر، و لم يظهره لهم خوفا منهم والتزاما بوصية أبيه، ضف إلى ذلك أنه أراد أن يشغلهم بهذه الثورة عنه وعن بلاده.

4-وهذا ما أورده الزهار، مصدر سابق، ص85، محمد بن عبد القادر الجزائري، مرجع سابق،ص.117.

5-De Grammont, ***Histoire d'Alger sous la domination turque***, Leroux, Paris, 1887, P.364.

صرح بذلك في إحدى خطبه أمام الملأ[1]. أضف إلى ذلك تزامن هذه الثورة مع اشتداد الصراع الفرنسي الإنجليزي على أملاك الدولة العثمانية، وقد انتهز الإنجليز فرصة التنافر الذي حصل بين الجزائر وفرنسا، بسبب حملة نابليون على مصر، للتقرب من الجزائر والحصول منها على ما كان للفرنسيين من امتيازات بها، إلا أن عودة العلاقات بين الطرفين وخاصة بعد اتفاقية 1802، أزعج الإنجليز فعملوا على إثارة هذه الثورة[2].

• **أحداث الثورة ونهاية ابن الأحرش:** بعد أن جمع هذا الثائر عددا كافيا من الأتباع عن طريق دروسه ومواعظه التي كان يلقيها بمسجد سيدي الزيتوني بجيجل، وبزاوية بني فرقان، إذ حث الناس على الثورة بعد أن أطلعهم على نيته بأنه سيخلصهم من الحكم العثماني نهائيا. وبذلك تمكن من إخضاع أغلب المناطق الساحلية[3]. وهذا ما جعل الرعية تثور على الباي الإنجليز الذي خرج بمحلة انهزم فيها، مما جعله يفر إلى تونس بأهله وأولاده، وهذا ما جعل الداي يعين عصمان ابن محمد الكبير محله. في هذه الأثناء كان ابن الأحرش يستعد لمهاجمة عاصمة البايلك، فسار ومعه حوالي 100000 رجل من القبائل المستوطنة ما بين جيجل وسكيكدة[4]. وبالفعل تم الهجوم على قسنطينة في الربيع الثاني 1219هـ/ 10 جوان 1804، مستغلا غياب الباي عصمان الذي كان على رأس المحلة لجباية الضرائب من منطقة ريغة، وعندما وصلت طلائع ابن الأحرش في منتصف الربيع الثاني 1804 بضواحي سيدي محمد الغراب، خرج للتصدي لها قائد الدار أحمد بن الأبيض مع مجموعة من الفرسان قدروا بحوالي 1000 فارس، وبعد مناوشات حادة بالمنية والواد المالح، وعند قنطرة الرمال أسفل المدينة[5]، وعندما زاد الضغط تراجع ابن الأبيض وسكان المدينة داخل الأسوار لتنظيم المقاومة والحيلولة دون تسرب أتباع ابن الأحرش داخل المدينة. في الوقت الذي بدأ فيه ابن الأحرش بالاستيلاء

1-Berbrugger (A), Op. Cit, P.211.

2-الزبيري، التجارة الخارجية بالشرق الجزائري،د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973، ص.

3-إذ خضعت له مدينة القل، وانسحبت الحامية التركية من عنابة عندما علمت باعتزام ابن الأحرش على مهاجمتها.

4-وقدها فايسات وقرامون بـ 60 ألف رجل. ينظر: -Vayssette, Op. Cit, P.473.

-De Grammont, op. Cit, P.363

5-وإن كان محمد بن عبد القادر الجزائري يذكر أنهم عسكروا على سطح المنصورة، وهذا ما ذهب إليه العنتري.

على ضواحي المدينة الواقعة قربها كالكدية وعاتي وباردوا، فكاد يقتحم المدينة ولو لا حدوث الفوضى في جموع القبائل الذين اشتغلوا بنهب وتدمير وحرق ممتلكات الباي، وفي هذه الظروف بادر سكان المدينة وعلى رأسهم ابن الأبيض والشيخ محمد بن عبد الكريم الفقون بإطلاق المدافع من فوق الأسوار[1]. فتراجع الكثير منهم وهذا ما سمح لابن الأبيض[2] أن يخرج لمقاتلتهم مع فرسانه الذين بلغ عددهم بين 700 و800 وقد تمكن من إرغامهم على التقهقر، وسقط من أتباع الثائر حوالي 200 رجل[3]. لكنه لم يسلم بهذه النتيجة، فقد حاول الدخول إلى المدينة متسللا ليلا، لكن أحد الحراس تنبه إليه وأصابه بجرح خطير، ونقل بعدها إلى بني فرقان[4]. ولما سمع الباي بذلك عجل في الرجوع إلى قسنطينة، فاجتاز وطن ريغة بناحية البابور وسلو إلى الالتحاق بقسنطينة عن طريق ميلة وعندما وصل سارع إلى إعادة التنظيم الدفاع عنها وبدأ يستعد لملاحقة ابن الأحرش وهزيمته، خاصة وأن داي الجزائر بعث إليه بخطاب شديد اللهجة يحثه على معاقبة الثائرين، وقد جاء في هذا الخطاب: «...رأسك أو راس ابن الأحرش...»[5].

وفي شهر أوت 1804 غادر الباي عصمان قسنطينة متوجها إلى ناحية واد الزهور حيث كان يستقر ابن الأحرش، فعسكر خلال ثلاثة أيام في مواقع مختلفة، ليصل في اليوم الرابع بعد أن اجتاز مواطن بني تليلان وبني عيدون، في الميلية، إلى أن وصل إلى مشارف أراضي بني فرقان بنواحي واد الزهور، أين أرسل جيشا -يضم 400 آلاف مقاتل تركي، و3500 من فارس مخزني من قبائل دريد والتلاغمة وعبد النور والزمول وأولاد عنان وريغة سطيف، وترافقهم أربع قطع من المدفعية- يقوده آغا المحلة إلى ناحية واد الزهور، وعندما وصلت إلى مكان يعرف بخناق عليهم فوجئت بإطلاق النار عليها، فاحتموا بسفح جبل قريب وبقوا محاصرين لمدة أربعة أيام ولما بلغ الأمر للباي أمر المعسكر بالارتحال إلى واد الزهور، ثم أمر بإطلاق المدافع مع جماعات القبائل، وهنا تعرض الباي ومن معه لمناوشات قبائل الأعشاش وبني عيدون وبني مسلم

1-العطار أحمد بن المبارك، ***تاريخ قسنطينة***، تحقيق رابح بونار، د.ط، د.م، د.ت، ص.47-48.

2-حول فرار ابن الأبيض من قسنطينة. ينظر: الرسالة رقم 5، المجموعة رقم 1642.

3-العنتري، ***مجاعات قسنطينة***، مصدر سابق، ص.30-31.

4-العطار، المصدر السابق، ص13، الزهار، مصدر سابق، ص.35. العنتري، مجاعات، المصدر السابق، ص.13-14.

5-Esterhazy, ***domination***, OP.Cit, P.201.

ومشاط، وعندما شعر بالخطر بقي هناك على سهل الوادي، وفي الليل تحول المعسكر إلى مستنقع من جراء نزول الأمطار وبسبب تحويل القبائل مسيل الوادي عن مجراه إلى المكان الذي يخيم فيه الباي، فاستحال عليه وعلى جيشه التنقل، وفي هذا الصدد يصف لنا محمد بن عبد القادر الجزائري ذلك بقوله: «...فأمر ابن الأحرش بالنهر فسد، ثم أطلق على المعسكر أول الليل، فما طلع الفجر إلا والماء قد عم السهل كله»[1].

ونهاية الباي عصمان إثر هذه الهزيمة تكاد تتفق عليها أغلب المصادر وإن كانت تختلف بعض الشيء في سرد تفاصيلها[2]، وهي أن الباي لما تيقن من فشل خطته، حاول فك الحصار المضروب عليه والتراجع إلى ناحية الميلية حيث كان يعسكر سابقا، و لم يجد مسلكا لذلك سوى طريقا صعبا يوجد في أسفله مستنقع عميق وواسع، وهناك كبا به فرسه وانحدر إلى حافة السهل حيث طعنه المرابط الزبوشي[3]. وبقي كذلك خمسة أيام إلى أن دفنته جماعة من قبيلة واد عواط، وقد قدرت المصادر خسائر الباي بـ 500 قتيل تركي بالإضافة إلى الباي وثلاثة من نوابه والعديد من فرسان المخزن، وبما أن الباي كان قد حمل معه أموال البايلك على عادة حكام ذلك العهد فإن القبائل جمعوها[4].

أما ابن الأحرش فقد طاردته فرق الانكشارية والمخزن، وشيوخ الزوايا ورؤساء القبائل ومن هنا بدأ تصميم السلطة المركزية على وضع حد لهذه الثورة، وذلك بأن قرر مصطفى باشا (1779-1805م) الخروج بنفسه لتتبع الثائر، إلا أن مستشاريه حاولوا إقناعه بالعدول، فأرسل الحاج علي آغا لتهدئة الأوضاع بالجهة الشرقية، بمساعدة الباي الذي عينه محل عصمان باي وهو عبد الله بن إسماعيل (1804-1806م)، وبالفعل استطاع هذا الأخير وضع حد نهائي لهذه

1-محمد بن عبد القادر الجزائري، مرجع سابق، ص.17.

2-أهم المصادر التي تعرضت للهزيمة، العطار، مصدر سابق، ص14، العنتري، بحاعات ، مصدر سابق، ص.13.

3-وذلك انتقاما منه، لأنه كان في ثورة عليه لأسباب شخصية تمثلت في حرمانه من بعض الإمتيازات منها الإعفاء من الضريبة، وكان قد فر إلى مرتفعات عراس لإعلان الثورة على الباي، ولذلك كانت ثورة ابن الأحرش فرصة للتحالف ضد العدو المشترك وهو الباي عصمان.

4-

الثورة[1]. أما القضاء على ابن الأحرش فقد اختلفت المصادر حول نهايته، حيث يشير العنتري أنه اختفى في هذه الفترة و لم يعد إلى الثورة[2]، في حين يقول فايسات إن الثائر لم يظهر حتى سنة 1806 على رأس الثوار بمنطقة بجاية، قبل أن يقتل في السنة الموالية بمنطقة الرابطة قرب سطيف[3]، أما الشيخ البوعبدلي في مقدمته للثغر الجماني فيقول بأن ابن الأحرش لم يقتل في موقعة الربطة قرب ميلة، وذلك لأنه ظهر بعد ذلك بأسابيع في حصاره لبجاية، وبعد أن هزم عدة مرات بشرق الجزائر انسحب إلى الغرب، حيث التحق بزميله ابن الشريف الدرقاوي، ثم شاع خبر وفاته للمرة الثالثة، وقبل ملك المغرب طلب نقل جثمانه إلى المغرب الأقصى أي دفن بفاس[4].

• **نتائج الثورة:** لقد أسفرت هذه الثورة عن نتائج هامة، يمكن تلخيصها في:

- تسببت في إضعاف نفوذ البايلك، وذلك لما نتج عنها من خسائر فادحة في الأموال والأرواح.

- أنها أقنعت سكان الريف بإمكانية الثورة، أي أنها خلقت لهم نوعا من الوعي، جعلهم يمتنعون عن دفع الضرائب ولا يرضخون للأحكام الجائرة، هذا فضلا عن انتشار حركات التمرد في أوساط القبائل الجبلية، شملت الجهات الشرقية والوسطى من البلاد.

- نتج عنها اضطراب في الأحوال الاقتصادية، فأهملت الفلاحة واختفت الأقوات وحدثت المجاعة، وقد وصف العنتري سوء الأحوال هذه بقوله: «...وهاته الواقعة (...) أحد الأسباب التي نشأت عنها المجاعة وقلة الحبوب من كثرة الهول واضطراب الرعية (..) ومن أجل ذلك انعدمت الحراثة في تلك السنة (...) وانفقدت حبوب الزرع بقيام ذلك الهول فحصلت للناس الشدة»[5].

1-Vayssette, Op.Cit, P.480.

2-العنتري صالح، ***فريدة مؤنسة***، مصدر سابق، ص.50.

3-Berbrugger, Op.Cit, P.213.

4-مقدمة الشيخ المهدي البوعبدلي في كتاب الثغر الجماني، مصدر سابق، ص.42-43.

5-العنتري، ***مجاعات***، مصدر سابق، ص.31.

1-2-ثورة عبد القادر بن الشريف الدرقاوي من1220هـ-1224هـ/1805م-1809م:

وسنتعرض في تفصيلنا لهذه الثورة إلى التعرف على ملامح شخصية زعيم هذه الثورة وأسلوبه في مناهضة الحكم التركي والأحداث التي وقعت بينه وبين العثمانين مبرزين دور المخزن دائما في صد هجوماته، انتهاء إلى إخماد ثورته والنتائج التي أسفرت عنها.

- **التعريف بالسيد عبد القادر بن الشريف:** وهو من أولاد سيدي أبي الليل المرابطين بقبيل الكسانة، حي من أحياء العرب البادية المتوطنة بواد العبد، درس بزاوية القيطنة لمحي الدين والد الأمير عبد القادر[1] سائر العلوم، وكان رجلا صالحا متعبدا، يشير الناس إليه بالنسك والصلاح، فذهب إلى المغرب، واتصل بمولاي العربي الدرقاوي[2] وأخذ عنه، وبعدها رجع من المغرب وترك ما كان عليه من التعليل، واشتغل في زعمه بالتربية والتكليم، ولبس الخرقة المرقعة وعلق الببوش، وركب الكلخ وعلق القرون المرقعة وابتدع أمورا ينكرها الشرع، واقتدى به في ذلك كثير من الناس بخاصة أهل الصحراء، فأذعنوا له إلى أن قهرهم قهرا، وزاغت به نفسه الأمارة بالسوء، وصارت عامة درقاوة تجتمع إليه وكان يخرج بهم إلى الصحراء فيجتمعون عليه، وتتلقاه الأعراب بالفرح والسرور، وصارت كل شيعة تهدي إليه الهدايا، كما يأتي إليه الناس يشتكون من ظلم المخزن[3]، فكان يعدهم بنصرتهم، بعد أن يأخذ هداياهم إلى شيخه الذي شجعه على جذبهم تحت إمرته، فزاد بذلك طمع ابن الشريف، فدعا أهل الصحراء وغيرهم لمبايعته -وذلك بعد أن استجاب له أهل العناد والأحرار وغيرهم- فأجابه لذلك، وأصبح عليهم زعيما يقود ثورة ضد الأتراك[4].

1-مسلم بن عبد القادر، مصدر سابق، ص.49.

2-يصفهم (الدرقاويين) ابن عودة المزاري: «هم أهل الحالة الدالة على ذم وشقاوة، ينتحلون العبادات ويتلبسون على الناس ببعض الخيالات يجتمعون في الأسواق والطرق والفنادق والمقابر والمواسم والزوايا حلق حلقا، ثم يقومون لشطح بعد الأكل الكثير، إلى أن يغمرهم العرق (...) ويجلبون الناس للأخذ عنهم والدخول في طريقتهم تحليا ويضمون الدنيا وتابعها ويعظمون طريقهم وجامعها، ويطالعون كتب التصوف فيأخذون منها الألفاظ الدالة على ذم الدنيا ومدح الآخرة، وفي الحقيقة أنهم ليسوا من أبناء الدنيا ولا من أبناء الآخرة...». ينظر: بن عودة المزاري، مصدر سابق، ص.301-302.

3-بن عودة المزاري، المصدر نفسه، ص.302-303.

4-المزاري، مصدر سابق، ص.303.

• **أسباب قيامه بالثورة:** يعتبر مسلم بن عبد القادر أن السبب الرئيسي لهذه الثورة هو عداوة البايات في وهران لرجال التصوف والطرق الدينية، وقد قتل هؤلاء البايات بعض رجال الطائفة الدرقاوية[1]، هذا فضلا عن كونها رد فعل عن سياسة الأتراك الجائرة، إذ وجدت القبائل في هذا الرجل مخلصا لها منهم، فالتفت حوله، وهذا ما ذهب إليه صاحب دليل الحيران، إذ يقول: «... وسبب قيام السيد عبد القادر بن الشريف من أولاد سيدي بليل الكيساني، أنه لما ذهب للمغرب ببني زروال عند السيد محمد العربي بن أحمد البوبريحي الدرقاوي وأخذ عنه الذكرى، قال له يا سيدي إن بوطننا قوما يقال لهم الترك لا شيء لهم من دعائم الإسلام، ويظلمون الناس، ولا يعبئون بالعلماء والأولياء، نسأل منك أن يكون هلاكهم على يدي لتستريح منهم العباد...»[2].

• **الثورة وأحداثها:** كما سبق وأشرنا بأن ابن الشريف اجتمع حوله قبائل كثيرة، ولما وصل خبره للباي بوهران –وهو مصطفى بن عبد الله العجمي– أمر بأن يقبض عليه، ففر إلى الصحراء مستعدا للثورة، ولما حلت سنة 1805م زحف إلى جهة غريس، وأعلن العصيان على مقربة من تاقدمت، في الوقت الذي كان فيه الباي راجعا بعد فراغه إلى وهران، فبلغه الخبر بقيام الثورة حين نزل بوادي مينا بالموضع المعروف بالبطحاء، والقائم برأس الوادي المذكور بقرب تاقدمت، ثم جهز جيشا عظيما، وقصده به وتلاقيا بفرطاسة[3] بين وادي مينا وواد العبد، واشتدت المعركة بين الطرفين وانهزم الباي بجيشه، ومات من المخزن خلق كثير، وأخذ ابن الشريف بجيشه أدبارهم يقتلون ويأسرون إلى قرب معسكر، وبقيت محلة الباي بما فيها غنيمة للدرقاوي ودخل الباي معسكر مهزوما[4]. ثم خرج إلى وهران ودخل عليه أهل مخزنه يهونون عليه، كما يشير إلى ذلك صاحب دليل الحيران بقوله: «... لا تجزع من الدرقاوي وجيوشه،

1–مسلم بن عبد القادر، مصدر سابق، ص.50.

2–الزياني، مصدر سابق، ص.209.

3–تقع جنوب غليزان في طريقها إلى تاهرت، سميت ذلك العهد بواد الأبطال، وسماها الفرنسيين في عهد الاحتلال إيزاس لديك(Uzes Le Duck)، واسترجعت اسم وادي الأبطال بعد الاستقلال.

4–الزياني، مصدر سابق، ص.208.

فنحن شيوخك الماضية ورماحك النافذة القاضية وشجعانك الداهيـــة وفرســانك الضاربــة الدامية...»[1].

وهكذا انتصر الثائر في واقعة فرطاسة انتصارا عظيما، اعترف به مؤرخوا الدولة آنـذاك، كما اعترفوا بالخسائر التي لحقت بالأتراك في الأموال والعباد، إذ راح ضحيتها كاتب الباي ابـن هطال التلمساني صاحب الرحلة[2]. ومن ثمة، فقد كتب للرعايا يبشرهم بنصره، ويطلب منـــهم مبايعته، فاجتمع لديه خلق كثير يوم الجمعة 13 ربيع الأول من نفس السنة، وبعدها مر بغريـس ومنها إلى معسكر، وجعلها مقر إقامته، وهزم خليفة الباي حسن ببلاد المجاهر في ربيع الثاني من نفس السنة[3]. وخرج منها قاصدا وهران، مع الإشارة إلى أنه ألحق ضررا كبيرا بالغرابة، ودخـل وهران وأطاعه أهلها خوفا منه، ولكنه نكل بهم كما يذكر ذلك صاحب دليل الحيران: «فلـــم ينفع ذلك من دخل في طاعته وقد سلط على مزارع المخزن وحرقوا ونهبوا وقتلوا وأسروا...»[4]. ثم حاول الهجوم على بعض نواحي وهران، لكنهم قاوموه، وبقي محاصرا لها إلى أن عزل البـاي مصطفى وتولى مكانه الباي محمد المقلش (1805-1807) الذي أمر بفتح أبواب وهران الخمسة، وفك حصارها ومعه البحثاوي عثمان بن إسماعيل وابن عودة بن خدة، وفي هذا الوقت كـــان ابن الشريف يمني جيشه بفتح وهران حتى جاءه شيخه من الغرب لحضور المقاتلـــة بدخولهـــا بالفؤوس[5].

ولما رأى شيخه مدى استعداد أهل البلد ومقاومتهم، تركه وحيدا،فقفل الدرقاوي راجعا بعدما تيقن من هزيمته –إلى بلاد الغرابة–، التي نالت منه غنائم معتبرة، ولما وصل إلى ســـيدي

1-مسلم بن عبد القادر، مصدر سابق، ص.74.

2-أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، ***الدر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني***، تحقيق وتقديم: المهدي البوعبدلي، د.ط، مطبعة البعث، قسنطينة، 1973م، ص.41.

3-مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص.75.

4-الزياني، المصدر السابق، ص.210.

5-هناك رواية يذكرها المصدر على لسان آغا الغرابة الحاج عبد القادر بن ونان أنه سمع عن أبيه الذي انضـــم إلى جيـــش الدرقاوي خوفا وحارب معه، أنه كان خائفا بعدما أحس بزوال السر عنه. ينظر: المصدر نفسه، ص.212.

مبارك، تعرض هو وجيشه البرجية ومن انضم إليهم، حيث هزموه هزيمة شنيعة، مات فيه الكثير، وغنم البرجية وبني شقران غنائم كثيرة تمثلت في الإبل والأثاث...[1]. ويصف بلاءهم الزياني بقوله: «...فلله در فرسان البرجية ومن انضم إليهم، فقد أشفوا العليل وأبردوا الغليل...»[2].

بعد هذه الهزيمة التي لحقت بالدرقاوي وجيشه، قصد معسكر، ولكن أهلها منعوه من الدخول بعد أن نكلوا بأهله هناك. ولما سمع الباي بتشتيت جيش الدرقاوي أمر جيشه بالخروج طلبا لعدوه، وتحقق له ذلك بأن جاءوه بنسائه وأولاده، إذ أرسلهم إلى الجزائر وبقي هو ببلاد البرجية ينتظر الأخبار، أثناءها جاءه الخبر بأن الدرقاوي جمع جموعا كثيرة من قبائل الصحراء بموافقة بني عامر ومجاهر، وأنهم عزموا على محاربة الباي، فأشار عليه صديقه السيد محمد بن جيلاني بأن يجمع مخزنه ويستشيره في الأمر، وهنا انقسموا شطرين: بعضهم قال بالرجوع إلى وهران وغلق أبوابها، وليتكفل حكام الجزائر بمطاردته، وبعضهم قال بغير ذلك. وهنا فصل الخلاف السيد قدور الصغير بن إسماعيل البحثاوي[3] الذي أشار عليه بالقتال ومواجهة العدو، ثم أشار عليه بأن يبعث من أعيان المخزن إلى كبراء الحشم والبرجية الجبلية وكذا بني عامر ليجتمعوا إليه لمحاربة الدرقاوي، وحضر الحشم والبرجية، وغاب بني عامر وهزم الدرقاوي وطرد عن تلك النواحي، كما قام المخازنية بمحاربة مجاهر الذين قدموا إلى بلد البرجية وقتلوا منهم تسعين رجلا، لكنهم هاجموا محلة الباي إلى أن هزمهم في الأخير مخزنه، ومات منهم خلق كثير منهم قائدهم عدة بن الحاج محي الدين. وبعدها انتقل الباي إلى واد مينة أين أتته جموع مخزن الشرق وبني أوراغ، وساروا إلى واد المالح أين لقوا جيش الدرقاوي وهزموه هزيمة نكراء[4].

ويصف لنا الزياني ذلك بقوله: «وغضبت فرسان المخزن وصارت كأنها الطيور فلا ترى في

1-الزياني، مصدر سابق، ص.214.

2-المصدر نفسه، ص.215.

3-والد أو أخو مصطفى بن إسماعيل قائد المخزن الذي انظم إلى الفرنسيين وحارب معهم وقتله المجاهدون لبلاد فليتة وغليزان.

4-المزاري، مصدر سابق، ص. 304-306

جيش الدرقاوي إلا القتيل والمأسور والمسلوب والمقطوع الأعضاء والـــرأس...[1]». ثم ســـاروا وراءهم إلى غاية قرية الولي الكبير سيدي محمد بن عودة، ثم تراجعوا ليلحق بهم الباي في اليـــوم الموالي، لكنهم لم يأذوا من لجأ إلى الضريح، وألحقت جموع درقاوة هزيمة كبرى مـــن أعيـــان المخزن خارج القرية[2]، ويذكر صاحب أنيس الغريب والمسافر بأن «البـــاي رجـــع بمخزنـــه وعسكره إلى المحلة، وأمر بجمع الرؤوس، فاجتمعت، ولقد رأيت الجندي يأتي بثلاثة أو أربعـــة رؤوس، ويضعهم بين يدي الباي، ثم أمر ببعثها إلى أم العساكر»[3].وأقام بها الباي أياما وجـــاءه الخبر بأن الثائر نزل ببلد بنيارن، فارتحل فقصده ومعه القائد قدور بن إسماعيل الذي جـــرح في المعركة، وبقي الباي ينتقل من مكان إلى آخر حتى وصل بلاد الزائر أين كان ينتظره بنو عـــامر مع الدرقاوي، وبدأت المعركة التي عرفت بمعركة أولاد الزائر التي وصفها الزياني قـــائلا: «... ولما تلاقى صار عليهم المخزن صولة جامدة، ومال عليهم ميلة واحدة». وقدم فرسان المخـــزن للباي 600 رأس بعثها إلى الجزائر. وبعدها رجع إلى وهران وأقام بها قرابة الشهر، وكان كلمـــا سمع كلمة درقاوي جمع جيشا وفض جمعه.

ومنذ ذلك الحين، انقطعت أخبار الدرقاوة، و لم تعد إلا في عهد الباي محمد بن عثمـــان أبو كابوس (1808م-1812)، الذي قاد حملة على المجاهر الذين طلبوا النجدة من الدرقاوي الذي بعث لهم بخليفته ابن مجاهد، وقد هزمهم هزيمة شنعاء كما يقول الزياني: «... واشتد بهم القتـــل من ورائهم ودام عليهم إلى أن وصل دم قتلاهم للبحر فاختلط بمائه»[4]. وعندما عاد البـــاي إلى وهران، جاءه الخبر بأن الدرقاوي حل بأرض غريس بعين السدرة ومعه درقاوة كافة بنجوعـــها ونسائها وأولادها ومواشيها وأثقالها وأهل غريس يطلبون النجدة منه، فخرج البـــاي بجيشـــه، وقسمه ثلاثا: الجناح الأيمن جعل فيه أعيان الزمالة وأتباعهم والحشم باحتكام الأوامر، وأمرهـــم أن يكونوا في مقابلة بني عامر، والجناح الأيسر جعل فيه الخليفة بجيشه والبرجية وأمرهم بمواجهة

1-الزياني، مصدر سابق، ص.218.

2-مسلم بن عبد القادر، مصدر سابق، ص.85.

3-الزياني، المصدر السابق، ص ص. 219-222. مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص ص.89-93.

4-الزياني، المصدر السابق، ص.222.

الدرقاوي، والقلب فيه الباي وأعيان الدواير وأتباعهم وعساكر الأتراك. وكانت المعركة حامية الوطيس بين الطرفين، انهزم فيها الدرقاوي وقتل فيها أربعة من أعيان البرجية وهم: مصطفى بن المخفي والد الآغا السيد قدور وثلاثة من أبناء عمه، وفي هذا الصدد ندرج ما قاله الزياني: «...ودرقاوة كلهم فلوا، وقد كلت الناس من قتلهم وملوا وبقيت نجوع درقاوية كما هي، فأخذ المخزن أموالهم وسبى نساءهم فاضمحلوا من ذلك اليوم وفشل ريحهم، ولولا فرسان البرجية ورجالهم الكرام في تلك الواقعة، لكانت الدائرة في المخزن بالجمع...»[1]. وبعدها خرج الباي لمواجهته في مكان يسمى باجديرة وقاتله وهزمهم ومات في المعركة نحو ألف درقاوي، ثم سمع به في التافنة –وقيل بأنه ابن الأحرش الذي قاد الثورة في بايلك الشرق– فهزمه.

ثم انقطعت أخبار درقاوة، ولم تعد إلا على عهد مصطفى بن عبد الله الذي هزمه بالثعالبة ثم بمدغوسة، وانقطع خبره تماما، وفي عهد المسلوخ أبي كابوس، اشتغل بطلبه، ونكل بكل من له صلة به، ولكنه نجا بنفسه، بعد أن تفرق عنه أتباعه، وكان كلما ذهب إلى قبيلة طردته، إذ ذهب إلى الأحرار وعين ماضي وبني الأغواط وبني يزناسن، فأقروه عندهم وترك ما جاء لأجله، إلى أن أغار عليهم الباي فأهلك القرية عن آخرها، ولم تعد الدرقاوية إلا لفظ يطلق على كل عاص مخالف. وعلى عهد الباي علي قاربغلي (1813–1816م) سمع بأن الدرقاوي راود الأحرار ولباه قليل منهم، فهلكهم[2]. وبذلك انتهت هذه الثورة بالقضاء على قائدها نهائيا على يد الباي بوكابوس عام 1809م.

***نتائج ثورة درقاوة:** وهكذا، كانت هذه الثورة التي دامت قرابة العشر سنوات (1805–1809) وبالا على بايلك الغرب، تسبب في تخريب الحياة الاقتصادية والاجتماعية فيها، كما كان سببا في موت المئات من السكان، هذا فضلا عن استنفاذ الطاقات الحربية التي كانت خير قوة تعد لمدافعة الأسبان بوهران، ولردهم عن الجزائر (العاصمة) حينما حاصروها، وخير قوة يمكن أن ترصد لرد الجيوش الفرنسية فيما بعد.

1–الزياني، مصدر سابق، ص223.

2–المصدر نفسه، ص ص.223–231. مسلم بن عبد القادر، مصدر سابق، ص ص.94–100.

1-3-الثورة التيجانية 1826-1827:

وهي ثورة تزعمها أحد أقطاب الطريقة التيجانية لبايلك الغرب وهو أحمد بن سالم التيجاني، أصله من بني توجين أمراء تاهرت، كان والده السيد أحمد زاهدا عابدا صاحب طريق له مريدون وأتباع، ولما شاع أمره في وطنه وخاف من غوائل الحكومة، انتقل بأهله وأولاده إلى فاس في أيام سلطانها مولاي سليمان العلوي، وأقام بها إلى أن توفي، فقام بأمر الطريق بعده ابنه محمد الذي رجع إلى بلدهم عين ماضي، وكانت سلطة الأتراك ترهب سطوته وتتوقع خروجه عن طاعتها[1]، وذلك ما حدث عام 1826م أو 1828م[2]، حيث رحل من بلاده إلى الحجاز برا، ولما وصل الخبر إلى حسين باشا (1818-1830) بعث إلى باي قسنطينة ليقبض عليه، ولكنه أفلت منه، وبعد عودته إلى وطنه دعا الناس إلى طاعته، والخروج عن دعوة الحكومة، فوافقه أهل تلك النواحي بما فيهم الحشم ومن معهم[3].

وبدأت الثورة بأن قدم السيد أحمد التيجاني على رأس ستمائة رجل من التيجانية، أهل زاوية عين ماضي وعدد كثير من العرب الصحراوية مع قوم الحشم قاصدا معسكر. ومن جهته حسن باي (1826-1830) جهز جيشا عظيما -لهدم قوته قبل تجمعها خوفا من أن يواجه نفس مصير الباي مصطفى مع الدرقاوي- والتقى الفريقان بعواجة من أرض غريس، وحاربه وقضى على جميع أصحابه، إذ لم يبق معه سوى 300 مقاتل من قبيلة الأرباع[4]. كما أنه فتك 11 رئيسا من رؤساء البرجية في ضيافة أعدها لهم[5]. وفي العام الموالي، قام الباي بتجهيز جيشه لغزو عين ماضي، وبالفعل حدث ذلك وبقي محاصرا للتيجاني شهرا كاملا، وبتدخل كاتبه السيد الحاج محمد بن الخروبي القلعي وقع الصلح بينهما على أن يدفع لزمة سنوية قدرها 500 ريال، ويعطيه

1-محمد بن عبد القادر الجزائري، مرجع سابق، ص.125.

2-يذكر كل من مسلم بن عبد القادر ومحمد بن عبد القادر الجزائري أن الثورة كانت عام 1826، في حين ذهب بن عودة المزاري إلى أن كانت عام 1828م.

3-محمد بن عبد القادر الجزائري، المرجع السابق، ص.125.

4-المرجع نفسه، ص.125.

5-منهم محمد ولد عبد الله ابن أخته الحبيب، محمد بن ركموط، محمد بن نكرون،...إلخ.

في حينها 2000 ريال، لكن التيجاني نقض هذا الصلح وتآمر مع الحشم[1] مستعدا لمحاربته، ولما وصل الخبر إلى الباي وهو في تلمسان تجهز للحرب مستشيرا آغته محمد المزاري بن قدور بن إسماعيل، وبعد ذلك دخل التيجاني معسكر وواجهه أهلها بالقتال، واشتدت الحرب بينهما، إلى أن ضفر بها وسيطر على حومة بابا علي وحومة سيدي محمد أبي جلال وحومة الباب الشرقي وحومة سيدي علي محمد وحومة عين البيضاء والعرقوب والمدينة الداخلة، ولما بلغ الباي خبر ذلك اتجه صوبه، وهو متردد لولا تشجيع مخزنه له، ويذكر لنا بن عودة المزاري ما قاله محمد المزاري البحثاوي في هذا الصدد: «...يا من أنت في ستر الحليم الغفار، وحفظ العزيز القهار، لا يدخلك الجزع (...) وسترى ما يصدر من مخزنك الأبرار، فإن لهم حق عليك في المشورة (...) فأحسن ظنك بالله ولا تهن، فعند حلول الكفاح في الميدان يتبين لك الشجاع من الجبان (...) ولا يخفى سيدنا طعن مخزنه للعدو إذا تراءى الجمعان، فهم فداؤك في الهموم والكروب ووقايتك في القتال والحروب»[2]. وبتشجيع المخزن للباي، استعد وجمع جيشه، لكنه تفاجأ بقوة الحشم وسائر العرب خاصة وأن المبعوث الذي أرسله خليفة قائد المعسكر منع من مقابلة الآغا مصطفى بن إسماعيل، واشتد القتال بين الطرفين، وقتل التيجاني وجميع جيشه، ومن رجال الباي عدد كبير منهم محمد ولد قدور البحثاوي، كما تكسر آغته المزاري[3].

وبهذا استطاع الباي -بفضل مخزنه- القضاء على التيجاني وثورته، وقد أورد بن عودة المزاري وصفا مفصلا لنهاية هذا الثائر بقوله: «... ولما تم القتال أمر الباي بقطع الرؤوس، رأس التيجاني ويده ورؤوس التجاجنة أهل الضرر، فقطعت وبعث بها الباي أمامه للمعسكر، ودخلها فارحا مسرورا، ومؤيدا مغتبطا منصورا، وبمخزنه العظيم نال عزا وشكورا، ثم رجع إلى وهران في عزه وإكرامه وفضله وإنعامه وألوية النصر تخفي على رأسه وهو في أنيسه»[4].

1-وقد كاتب بني عامر وبني شقران والبرجية والغرابة والزمالة والدوابر، ولكن البرجية والغرابة والزمالة والدوابر وهم مخزن الباي أبوا الإذعان.

2-ابن عودة المزاري، مصدر سابق، ص.355-359.

3-ويذكر المزاري أن عدة بن قدور، وقد كان آغا للزمالة (متقاعد) حلف أن يضرب التيجاني إذا عثر عليه، وذلك ما فعله لما وجده ميتا، وقد عابت عليه الأعيان ذلك.

4-ابن عودة المزاري، مصدر سابق، ص.360..

1-4-ثورة أحمد بن الصخري 1637م-1642م/1047هـ-1057هـ:

وهي ثورة منظمة تزعمتها الأسر المحلية الحاكمة، وعلى رأسها أسرة بوعكاز الدّواودة، وتعد أهم وأشمل ثورة واجهها الحكام العثمانيين، ولكنها لم تنل اهتماما واضحا من طرف المؤرخين، إذ لم يكتب عنها سوى شارل فيرو وبر بروجيه في المجلة الإفريقية، ورغم تحول هذه الثورة إلى ثورة عامة، إلا أن أسبابها شخصية تقف وراءها إحدى الأسر المحلية الحاكمة، وهي أسرة بوعكاز الدّواودة التي كانت تحتكر مشيخة العرب وتسيطر على جنوب البايلك، وهذا ما تقبلته السلطة التركية في بداية عهدها لما كانت تجود به من ضرائب تدل على ولائها ولو اسميا. ولما وصل مراد باي (1622-1637) إلى الحكم، وفي عهده كانت المحاولة الأولى للقضاء على نفوذها، إذ قام بالقبض على محمد بن الصخري -وكان قد لاحظ استقلاله- وجماعة من أعيان الأسرة[1] متهما إياهم بالتمرد والعصيان، وكان قد أرسل إلى علي باشا يستأذنه في قتلهم، ولما وافقه على ذلك قام بتنفيذ الحكم في الشيخ وستة من مرافقيه ومعهم بن أحمد[2]، وعلقت رؤوسهم على أبواب قسنطينة، وذلك يوم الأربعاء 1 صفر 1047هـ/جوان 1637م[3].

ولما وصل الخبر إلى الدواودة بالصحراء، ثارت ثائرة أسرة بوعكاز وعلى رأسها أخ القتيل أحمد بن الصخري الذي أعلن الثورة على الباي، هذه الأخيرة التي امتدت من الزيبان والصحراء شرقا وجنوبا إلى حدود إقليم الجزائر، وقد شملت بسكرة وعنابة وقسنطينة وسطيف وحمزة وغيرها. وبدأ زحف أحمد بن الصخري بجيوشه على قسنطينة سنة 1638 من الجنوب الغربي، حيث انضمت إليه أسرة المقراني بزعامة الشيخ بتقة بن ناصر، في حين كانت أسرة أحرار الحنانشة تكبد القوات العثمانية بشرق البايلك الهزيمة تلو الأخرى[4].

1-وذلك عندما قدموا إلى معسكره الذي يبعد بـ4كلم عن جنوب قسنطينة، لتقديم ما على الأسرة من ضرائب.

2-سعد الله أبو القاسم، «بين باشاوات الجزائر وعلماء عنابة»، *مجلة الثقافة*، ع.51، جوان 1979، ص.14-15.

3-Féraud, «Epoque de l'établissement des Turcs à Constantine»,in *RA*. 1866, p.180.

4-ذلك أن أحرار الحنانشة قاموا بثورة ضد السلطة العثمانية لأنها هدمت حصن الباستيون بالقالة -وهو عبارة عن امتياز فرنسي قديم-، بسبب تجاوز الفرنسيين للامتيازات المخولة لهم إلى أعمال تجارية واسعة، تم الاتفاق عليها بين القبائل، وعلى رأسها أحرار الحنانشة وبين التجار الفرنسيين، وذلك دون علم السلطات الفرنسية، ضف إلى ذلك إقدام الفرنسيين-

وللتوصل إلى معرفة مدى قوة الثورة التي قادها أحمد بن الصخري، سنورد ما جـــاء في الوثيقة العربية التي عثر عليها فيرو في المجلة الإفريقية من وصف للهجوم، جاء فيه: «... بعد قتل المذكورين، جهز أخو الهالك المذكور جميع الأعراب والحنانشة وغيرهم من ساير الرعية مـــن باب الجزائر إلى باب تونس، وغار على دار السلطان وقصد بزمله[1] المذكور بلـــد قسـنطينة، فخرج أهل البلد لقتاله، فغشيهم بخيله ورجاله وقتل منهم نحو خمسة وعشرين رجلا، فخرجـوا إلى البلد مكسورين، وفي غد ذلك اليوم فزع بخيله ورجاله للفحص الأبيض والحامـــة وتلـك النواحي، وأطلق النار في نوادر القمح والشعير فأحرقها عن آخرها حتى انتهى الحرق إلى جنـــة المنيا، وأطلق النار من نواحي أخرى، ومن الغد، وهو اليوم الثالث أطلق النيران من قسنطينة إلى أن انتهى إلى حفرة صنهاجة، ولم يزل يحرق وينهب ومهما سمع بدشرة بها من الزرع نهبه...»[2].

وقد تكبدت قوات الباي خسائر فادحة، مما جعله يلتجئ إلى الباشا، إذ أرسل إليه قوتين: الأولى بقيادة القائد يوسف، والثانية بقيادة شعبان، وتتكون من حوالي 4000 رجل، بالإضافة إلى قـــوة الباي المكونة من 2000 رجل[3]. وسار الجيش محمد بن الصخري وأتباعـــه وعددهـــم 10000 رجل[4]،وكانت المعركة بين الطرفين بمنطقة كحال (بين سطيف وقسنطينة)، قتل فيها العديد من قوات الباي، وتكبد فيها العثمانيون خسائر فادحة، أما أحمد بن الصخري وأتباعه، فقد غنمـــوا متاع القوات العثمانية التي انسحبت منهزمة إلى الجزائر. ويذكر الأب دان أن القائد يوســـف اقترح على الثوار تسليم الباي للثوار، لكن هذا الأخير استطاع الفرار[5].

=على خطف سفينتين جزائريتين محملتين بالسلع، انتقاما من أعمال قرصنة الجزائريين ضدهم –وقد كـــان مصـــدر رزق لسكان البايلك ومصدر ثراء للأحرار الحنانشة–، وهو ما جعل زعيم الأسرة خالد بن نصر يعلن الثورة على الباي مـــراد بطرد الحاميات التركية المتواجدة بمناطق نفوذه، وقد انضم لخالد العديد من القبائل الجبلية الـــتي كـــانت في ثـــورة ضـــد العثمانيين لنفس السبب، وقد اختلطت أحداثها بثورة ابن الصخري. ينظر:

-Berbrugger (A),« Note relative à la révolte de Bensakhri,in». ***R.A,*** 1866, p.340.

–معاشي جميلة، مرجع سابق، ص.324.

1-Féraud, ***L'époque***..., Op.Cit, p.180-181.

2–زملة من كلمة زمول، ويقصد بها هنا مخزنه، أي قوته العسكرية.

3-Féraud, Idem, P.183.

4-Berbrugger (A), Idem, P.343.

5-Féraud,***Lépoque...***, Idem , P.184.

بعد الهزيمة التي لحقت القوات العثمانية في معركة كجال، قرر يوسف باشا –وقد تولى حكم الجزائر عدة مرات بين سنوات 1044هـ و 1064هـ– العودة إلى بايلك الشرق بقوات أضخم للقضاء على هذه الثورة –متخليا عن جهاده في وهران ضد الأسبان[1]–، ولكنه انهزم أمام قوات تحالف القبائل، وعاد منهزما إلى الجزائر، ليقرر بعدها العودة، ولكن بعد مراسلة المرابطين لمساندته. وبعدها تحرك بقواته نحو البايلك عبر طريقين بري وبحري، وهناك أقر الأمن وترك الأمر لأعيان المدينة، ليتابع ملاحقته لابن الصخري في الصحراء، أين دارت بين الطرفين – الباشا ومعه القوات المحلية والثائر ومن معه– معارك طاحنة[2]، كانت آخرها بمنطقة كجال، أين استطاعت القوات العثمانية إلحاق الهزيمة بجيش ابن الصخري، حيث أحرقوا المزارع وغنموا 2000 رأس من الغنم والجمال، وفر الشيخ بوعكاز إلى الصحراء وقتل 250 فارس و 700 فرس في حين خسر العثمانيون 60 فارسا[3].

وهكذا انتهت ثورة ابن الصخري، بعد أن دوخت النظام وكبدته خسائرفادحة ولكن انتهاءها لا يعني انتهاء الثورات ببايلك الشرق، إذ قام بعدها الكثير منها سواء بمنطقة القبائل أو منطقة الحنانشة أو الصحراء –وذلك على غرار ما كان في كل ربوع الإيالة– ولكن هذه الأخيرة لم تنل اهتمام المؤرخين لأنها لم تبلغ الشهرة التي بلغتها الثورات السالفة الذكر، فهي لم تكن تبلغ الذروة حتى تخمدها فرسان المخزن.

2–دورها في صد الهجومات الخارجية:

فضلا عن قيامها بجباية الضرائب، ومشاركتها في المحلات التأديبية وإخمادها الثورات والتمردات المحلية على مستوى الإيالة، كان لقبائل المخزن دور بارز في رد الهجومات الخارجية إلى جانب القوة العسكرية للدولة، وهذا ما جعل الأتراك العثمانيين يعملون على استقرار هذه

1–سعد الله أبو القاسم، مرجع سابق، ص.58

2–للتفصيل في هذه المعارك، ينظر، الرسالة التي أوردها فايسات وهي مرسلة من الشيخ عيسى بن محمد الشلبي إلى أستاذه علي بن محمد البوني، يصف له فيها سير المعارك بين الطرفين، وتصور لنا هذه الوثيقة، المعارك النهائية للثورة، وتؤكد لنا مشاركة القبائل المحلية للقضاء عليها. ينظر:
–Vayssette, Op.Cit, PP. 99- 101

3-Ibid, P.101.

القبائل في المواقع الحساسة –كما سبق وأشرنا في الفصل الثاني من البحث- المهددة بهجمات بايات تونس ببايلك الشرق وبهجمات المغاربة والإسبان ببايلك الغرب، فهذه هي القوى الثلاث التي كانت تمثل الخطر الذي يهدد الإيالة، والتي كان للقوة المخزنية دورا بارزا على طول الفترة العثمانية في صدها، وهذا ما سنتعرض له فيما يأتي.

2-1-مساعدتها للنظام في مواجهة بايات تونس:

كانت كل من تونس وليبيا تابعتين للجزائر[1]، ولكن بعد أن أصدر الباب العالي قراره بفصل الولايات الثلاث، أصبح لكل ولاية حاكم مستقل عن الآخر، ومن هنا بدأ الصراع بين الطرفين (الجزائر وتونس)، إذ اعتبر بايات الجزائر تونس منطقة نفوذ تابعة لهم، وأما بايات تونس فقد تأرجح موقفهم بين الولاء حينا والتمرد حينا آخر، وذلك كلما تولى في تونس حاكم قوي، واستمر النزاع بين الإيالتين وتميزت العلاقات السياسية بينهما بعدم الاستقرار والتوتر، وقد بلغ التوتر ذروته خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر والربع الأول من القرن التاسع عشر، مما أدى في كثير من الأحيان إلى وقوع حروب ومعارك دامية بينهما، وهذا ما سنحاول التطرق إليه مبرزين دور فرسان المخزن في مواجهة القوات التونسية إلى جانب العثمانيين دون شك.

كما سبق وأشرنا بأنه مع مطلع القرن التاسع عشر بدأت العلاقات تتدهور بشكل واضح بين الإيالتين، وبعد أن فشلت المفاوضات السياسية، أصبح اللجوء إلى استخدام القوة أمرا لا مفر منه، وهذا ما كان بخاصة على عهد حمودة باشا (1782-1814) الذي قام بتوجيه

1-فعندما استقر العثمانيون بالجزائر اتخذوها مقرا لحكمهم في شمال إفريقيا، وقاعدة لانطلاق فتوحاتهم، ففتحوا طرابلس سنة 1551،ثم أخذوا المبادرة بالهجوم على تونس، وبعد مد وجزر، وفق العثمانيون في الاستيلاء عليها في شهر جويلية 1574 بقيادة سنان باشا. ينظر:

- بن أبي الضياف (أحمد)، ***إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان***، ج .2، د.ط، منشورات الجامعة التونسية، تونس ، 1963، ص.2.

-ابن أبي دينار، ***المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس***، تحقيق محمد الشمام، دط، المكتبة العتيقة، تونس، 1980،ص.

-حسن حسني عبد الوهاب،***خلاصة تاريخ تونس***، ط.3، دار الكتب العربية الشرقية، تونس، 1373هـ.

جيشه لغزو بايلك الشرق في 25 ديسمبر 1806[1]، وبعد فترة قصيرة أي في 11 جانفي 1807 وبالرغم من الثلوج المتراكمة اقترب من المدينة وتمكن من هزيمة قواتها، نتيجة لذلك فر بايلك قسنطينة إلى قصر الطير بنواحي جميلة[2]، مما فسح المجال أمام تقدم القوات التونسية وتمركزها في أهم النقاط الإستراتيجية للمدينة[3]، وبذلك تمكنت من حصارها مدة طويلة[4]، واستمر الحصار إلى أن هزمت قوات الجيش التونسي على يد القوات الجزائرية وعلى رأسها فرسان المخزن.

وفي هذه الأثناء وصلت تعزيزات عسكرية جديدة من السلطة المركزية[5] تمثلت في محلتين عن طريق البر والبحر، إلى مقر البايلك المحاصر، والتقى الجيشان في المكان المسمى بمجاز الغنم، ووقعت المعركة بين الطرفين، وكانت مهولة، إذ وصفها ابن المبارك بقوله: "محلتين عن طريق البر والبحر" إلى مقر البايلك المحاصر، والتقى الجيشان في المكان المسمى بمجاز الغنم، ووقعت المعركة بين الطرفين، وكانت مهولة، إذ وصفها ابن المبارك بقوله: «...فلا ترى إلا يدا طائرة ورأسا مطروحا...»[6]، وهذا ما جعل الجيش التونسي ينسحب إلى الوراء ويعسكر في منطقة بومرزوق، واستمرت المعركة بين الطرفين ثلاثة أيام، انتهت بانتصار الجيش الجزائري، انتصارا كبيرا، جعلت الجيش التونسي وعلى رأسه القائد سليمان كاهية يفر تاركا أرض المعركة. وقد غنم فرسان المخزن غنائم معتبرة، خاصة وأن حمودة باشا كان قد وضع كل إمكاناته في هذه الحملة، وقد وصف العنتري تلك الغنائم قائلا: «...من كل شيء نوع متكاثر...»[7].

1-اختلفت الروايات التاريخية حول عدد هذا الجيش، فبعضهم قدرهم بـ 20 ألف رجل كالعنتري في المجاعات، ص.37، ومنهم من قدره بـ 50 ألف رجل كفايسات، ص.483، في حين قدره أحمد بن المبارك بأزيد عن 100 ألف.

2-العنتري، فريدة مؤنسة، مصدر سابق، ص.79.

3-هضبة المنصورة، كدية عاتي، سيدي مبروك، عن أهم المناطق وخطة الحصار، ينظر: أحمد بن المبارك مصدر سابق، ص.52، العنتري، مجاعات، مصدر سابق، ص.37.

4-يذكر العنتري والزهار أن مدة الحصار استغرقت مدة 30 يوما، ينظر: الزهار، مصدر سابق، ص.96.، العنتري، مجاعات، ص.38، فريدة مؤنسة، ص.79.

5-الزهار، المصدر السابق، ص.96.

6-العنتري، ***فريدة مؤنسة***، المصدر السابق، ص.76-80.

7-العنتري، المصدر نفسه، ص.81.

وبعد هذا النصر قرر حكام الجزائر متابعة الجيش التونسي حيث تتبعوه إلى غاية حدود واد سراط، لكنهم هزموا لأسباب عدة[1] في 13 جويلية 1807[2] في موقع سلاطة الشهيرة، مما جعل الباي حسين بن صالح باي يغادر الميدان مع جيشه ليلا، وبعد ذلك عين علي باي ليقوم محله بأخذ الثأر على حد تعبير العنتري، لكنه اغتيل على يد أحمد شاوش، الذي عين نفسه بايا على قسنطينة وأرسل إلى باي تونس طالبا منه الصلح، ولكن الداي أحمد تمكن من إعادة الأمور إلى نصابها متهيئا لمحاربة تونس مرة أخرى، غير أنه فشل في ذلك بعد انسحابه من المعركة في واد سراط في 13 جوان 1808لكثرة عسكر التونسيين.

ومن هذه المعركة توقفت الحملات البرية لتنطلق المعارك البحرية إلى غاية ربيع 1813 أين قرر داي الجزائر تجهيز حملة برية أخرى ضد التونسيين، أمر فيها باياته الثلاثة بتوجيه قواتهم نحو حدود تونس[3]، وهي الحملة التي تمرد فيها باي وهران بوكابوس بعدم امتثاله لأوامر الداي[4]، وفي 12 أكتوبر 1813، أمر حمودة باشا جيشه بالتوجه إلى الحدود الجزائرية تحت قيادة يوسف صاحب الطابع، ولكن صمود باي قسنطينة وجيشه لم يسمح للقوات التونسية بالتوغل في البايلك، وسرعان ما توجه جيش من الجزائر بقيادة عمر آغا قاصدا الحدود التونسية منضما إلى الجيش الجزائري تحت قيادة نعمان باي(1811-1814)، وبعد وصولهم هاجموا مدينة الكاف إلا أنهم لم يتمكنوا من اختراق حصونها وبذلك تراجعت الجيوش الجزائرية[5]، وكانت هذه آخر معركة برية بين الإيالتين، إذ نشطت المعارك البحرية بينهما، واشتدت الصراعات إلى غاية الاحتلال الفرنسي.

1-هذه الأسباب تمثلت في تخاذل القوم والقياد ومنهم فرسان فرجيوة والحراكتة والنمامشة وانسحابهم من المعركة، أضف إلى ذلك ما تذكره بعض المصادر بأن الباي نفسه لم يكن كفأ لقيادة مثل هذه العمليات.

2-ابن أبي الضياف، مصدر سابق، ج.3، ص.67.

3-مولاي بلحميسي، مرجع سابق، ص.108.

4- وقد تطرق المؤرخون لهذه الثورة كل من زاويته، فمسلم بن عبد القادر يشير إلى أن الباي: «...حدثته نفسه بشيء فيه حتفه(...) تظاهر على الخروج من ديوان أهل الجزائر والدخول في ديوان مولاي اسماعيل...»، أما الزهار فيذكر أنه «...ثار ونافق بسبب وحشه بين الباي وعمر آغا...». ينظر: مسلم بن عبد القادر، مصدر سابق، ص.103، الزهار، مصدر سابق، ص.107.

5-Gaid (M), ***Chronique***,O p.Cit , P.68.

هكذا وبعد أن تطرقنا –بشيء من الاختصار– إلى الصراعات بين إيالتي تونس والجزائر في نهايات القرن الثامن عشر، والتي أردنا من خلالها أن نبرز الدور الذي قامت به القوة المخزنية إلى جانب النظام في مواجهة بايات تونس، وعلى رأسهم حمودة باشا، وهو ما تجسد في معركة سراط عام 1807.

2-2-دورها في صد غارات المغاربة وهجمات الإسبان:

مما يجدر بنا الإشارة إليه –قبل التطرق إلى دور المخزنية في صد غارات المغاربة وهجمات الإسبان– هو أن استقرارها (الدوائر والزمالة) ببايلك الغرب كان عبر مراحل ثلاث[1]، وأنها قد أبلت بلاء حسنا في صد كل هجوم على تخوم البايلك، سواء من طرف سلاطين المغرب أو من طرف الإسبان، ولهذا كان دورها بارزا في الدفاع عن بايلك الغرب، وهذا ما سنتعرض إليه فيما يأتي.

- **صدها لهجومات المغاربة:** كما هو معروف، فإن مسألة الحدود بين الجزائر والمغرب، قديمة ظهرت زمن الزيانيين والمرينيين واستمرت إلى العهد العثماني في الجزائر والدولة السعدية (1550-1575) بالمغرب، إذ حاول ملوكها مرارا التوسع في الجزائر من خلال حملات عديدة[2]، لكن العثمانيين وقفوا لها بالمرصاد وردوها، غير أن هذه الأطماع عادت بمجيء العلويين وكانت في شكل حملات سنتطرق إليها مبرزين دور المخزن في صدها.

كانت أولى هذه المحاولات على يد محمد بن الشريف العلوي على وجدة، التي استولى عليها بمساعدة بعض الناقمين على الحكم العثماني[3]. وبعدها قام بغارات على بني يزناسن وبني

1-ينظر الفصل الثاني، ص. 59-60

2-ولكننا لم نتطرق إلى هذه الحملات لأن القبائل المخزنية في مرحلة حكم هذه الدولة لم تكن قد استقرت نهائيا على السهول الوهرانية، إذ لم يتم استقرارها النهائي إلا في نهاية القرن الثامن عشر بعد طرد الإسبان من وهران في المرة الأولى.

3-الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، ***الإستقصا لأخبار دولة المغرب الأقصى***، تحقيق وتعليق، جعفر ومحمد الناصري، ج.8، د.ط، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ص.104.

مطهر[1] وذوي يحي[2] وبني سنوس[3] وأولاد زكري[4]، ...الخ، لكنه فشل في ضم أي منها إلى التراب المغربي، لم يستطع مواجهة القوات العسكرية العثمانية، إذ ليس له جيش منظم ولا منطقة نفوذ يفر إليها[5].

ولما تولى أخوه الرشيد الحكم، حاول مواصلة جهود أخيه، ففشل في ذلك. وعادت مناوشات سلاطين المغرب على الحدود الجزائرية على عهد المولى إسماعيل العلوي (1082-1139هـ) بأن حرض أهل تلمسان على الثورة ضد الأتراك إلى أن قامت بها وأغار[6] بنفسه على قبيلة سقونة[7]، تمهيدا للاستيلاء على تلمسان[8]، غير أن الداي محمد باشا (1671-1682) قضى على الثورة، بمساعدة قبائل المخزن، وبهذا فشلت خطة إسماعيل، و لم تكن لهذه الغارة أي نتيجة، ليشن غارة أخرى بالهضاب العليا الغربية حيث اتجه شمالا إلى أن وصل مكانا يسمى القويقعة أين هزمه الجيش الجزائري[9]، ولكن هذا السلطان لم يستسلم حيث قام بإعداد حملة للاستيلاء على تلمسان، وتم له ذلك لكن الجيش الجزائري هزمه في آخر لحظة فانسحب إلى المغرب، وقد أعاد الكرة بعدها في ذلك مرات عديدة لكنه فشل في تغيير الحدود بين الإقليمين[10].

وفي هذه الأثناء بدأ رد فعل الجزائر على يد الداي شعبان (1688، 1695) إذ توجه إلى المغرب ووصل قبالة معسكر زيدان على الضفة اليسرى غربي ملوية، ودارت المعركة التي انهزم

1-جنوب شرقي وجدة.

2-جنوب غربي تلمسان.

3-شرقي ذوي يحي.

4-شمال شرقي وجدة.

5-الناصري، المصدر السابق، ص105.

6-المصدرنفسه، ص.59.

7-وتقع بجوار يزناسن، وذلك عام 1674.

8-الزياني، مصدر سابق، ص.13.

9-المصدر نفسه، ص.17.

10- De Voulx, ***Tachrifat***, Alger, 1852, P.7.

فيها زيدان وعاد إلى فاس. وراح ضحية هذه المعركة 5000 قتيل مغربي و100 قتيل جزائري وانتهى الأمر بعقد مصالحة بين الطرفين وتوقيع معاهدة نقضها المولى إسماعيل بأن جدد غاراته على الحدود الغربية حيث أرسل حملة بقيادة الزيدان على قبائل الحدود الجزائرية (الأحلاف والأنجاد) و لم يكن لها أي نتيجة[1]، ثم عقد حلفا مع مراد بن علي بن حمودة باي تونس على أن يهاجما الإيالة من الشرق والغرب، ولكنه وبعد غارات عديدة على يد زيدان على نواحي تلمسان ومعسكر، هزم (المولى) وأصيب بجراح في رأسه، وكاد يقع في يد العثمانيين، هذا فضلا عن الخسائر التي تكبدها على يد الجيش[2].

كما قام السلطان إسماعيل بغارات عدة فشل فيها، كانت آخرها معركة زبوجة الغرب، ومنها لم يعد يجرأ على المغامرة للدخول إلى الإيالة.

وبعد مرور 36 سنة من توقف غارات المغاربة على الحدود الجزائرية، لتعود على عهد سليمان، بأول غارة على وجدة، واستطاع الحصول عليها بعد مكاتبة الباي محمد الكبير[3]، بألن يتخلى عن قبائلها بني يزناس وسقونة والمهاية وأولاد زكري، ووافق الباي على ذلك وبذلك بدأ التدخل في شؤون الإيالة بتغذية الفتن والتحريض على الثورات[4]، لمواصلة غاراته مستغلا انشغال العثمانيين بإخماد الثورات المحلية، حيث قام بحملات على الجنوب الغربي الجزائري استولى فيها عام 1806 على فقيق، وفي ظروف مشابهة قام بحملات على منطقتي قورارة وتوات واستولى عليهما عام1808[5].

وبهذا نكون قد تعرضنا لأهم غارات المغاربة على عهد الدولة العلوية، وعلى يد أربعة سلاطين علويين هم: المولى محمد والمولى الرشيد والمولى إسماعيل والمولى سليمان، والتي لم

1-الزياني، مصدر سابق، ص.26، الناصري، مصدر سابق، ص.87.

2-ابن ميمون الجزائري (محمد)، ***التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية***، تقديم وتحقيق: محمد عبد الكريم، ط.1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، 1972، ص.27.

3-الناصري، المصدر السابق، ج.8، ص.104.

4-الزياني، المصدر السابق، ص.112، مسلم بن عبد القادر، مصدر سابق، ص.51.

5-الزياني، المصدر السابق، ص.102.

يتحقق منها سوى أربعة فقط، وذلك بفضل دفاع قبائل مخزن بايلك الغرب عن الحدود واستعدادها الدائم لصد هذه الهجومات وإخمادها قبل وصولها إلى ذروتها.

- **صدها لهجومات الإسبان:** وسيقتصر حديثنا على دورها في تحرير وهران من يد الإسبان[1]، أو بمعنى آخر مشاركتها إلى جانب قوات الباي في الفتحين الأول عام 1718 والثاني عام 1792.

وكان الفتح الأول على يد الباي مصطفى بوشلاغم المسراتي (1686-1734) الذي تولى على مازونة وتلمسان معا، ثم نقل العاصمة منهما إلى القلعة ثم إلى معسكر، استعدادا لفتح وهران. وبعد ذلك تجهز له متجها نحو وهران وبدأ حصارها إلى أن أتته جيوش الباشا أبي عبد الله محمد خوجه وخيموا على أرجائها سهلا ووعرا، مما ضايق الإسبان فبدءوا بالقتال ودارت بين الطرفين معارك ضارية، كان النصر فيها حليف الباي وجيشه -بما فيه قبائل المخزن- ويصف لنا المزاري هذا الفتح قائلا: «...فحاصروا وهران وضايقوها من كل وجه متفق ومتخالف واشتد القتال وقتل الترال بها مدة والحرب مترادف (...) ولا زالت جيوش الإسلام تحاربها وتنال منها الغنائم والمثوبة والإجراء(...) إلى أن فتحوها عنوة وقهرا...»[2]. وذلك يوم

1-إذ أن الاحتلال الإسباني بوهران، دام ثلاثة قرون، حيث وقع احتلال مرساها عام 1505، ووقع احتلال المدينة نفسها عام 1508، ويذكر الحافظ أبو راس أن سبب هذا الاحتلال هو يهودي من وهران، غدر بالمسلمين بأن جاء بجيش النصارى وأدخلهم ليلا إلى المدينة، وهو الجيش الذي فتك بالمسلمين، إذ زحف إلى قلعة بني راشد بنواحي معسكر لمحاصرة إسحاق أخ أوروج ثم فتحوا عام 1552 مزغران، لكن خير الدين استطاع استرجاعها عنوة في 15 ذي القعدة 1557، ولما كانت الدولة الزيانية في الترع الأخير من حياتها، فقد استطاعوا الزحف إلى تلمسان بعد محاولات عديدة. وقد حاول البايات الذين توالوا على حكم بايلك الغرب فتحها وافتكاكها من يد الإسبان، وكانت أولى هذه الحملات على يد البلي شعبان الزناقي الذي غزاها في فترات مختلفة، وتعددت بينه وبين الإسبان المعارك إلى أن توفي في آخرها عام 1687 . ليأتي بعد ذلك الفتح الأول والثاني. ينظر: بن عودة المزاري، مصدر سابق، ص ص.211-217.

-مسلم بن عبد القادر، مصدر سابق، الزياني، مصدر سابق.

2-المزاري، مصدر سابق، ص.235.

الجمعة 26 شوال/ 19جانفي 1708، بعد إقامة الإسبان بها 250 سنة[1].

وبعد اثنين وعشرين سنة هاجمها الإسبان مرة أخرى عام 1730 وحاول الباي مصطفى مقاومتهم بمخزنه، لكنه انهزم وراح ضحية هذه المعركة أحد فرسان المخزن المشهورين وهو علي بن مسعود المحمودي الحشمي. وبقيت وهران كذلك إلى أن فتحها الله على يد محمد بن العثمان الكبير.

أما الفتح الثاني فكان على يد محمد بن عثمان باي (1778-1796)، وذلك بأن بعث إلى داي الجزائر محمد بن عثمان باشا يستشيره في ذلك، فأذن له، ومن ذلك بعث الباي مناديا ينادي في الناس ويدعوهم للجهاد فاستجابت له كل القبائل، ثم اتفق مع علماء معسكر وضواحيها أن يجمع الطلبة والمدرسين وقراء القرآن بقصد الرباط بجبل المائدة على مقربة من مدينة وهران ليثبطوا همة الإسبانيين ويحولوا بينهم وبين ما يأتيهم من أسلحة ومؤن من الخارج[2]، وبعد ذلك جعل أهل تلمسان وفليتة وما جاورهما من القبائل تحت قيادة ابنه عثمان، وتكفل هو بقيادة مازونة ومستغانم، وجعل قلعة بني راشد وقبائل نواحي الشرق تحت قيادة صهره محمد بن الإبراهيم. بعد كافة الاستعدادات خرج الباي من معسكر يوم الخميس 15 صفر ونزل بواد الحمام، ثم رحل منه ونزل بسيق ومنه نزل بواد تليلات، وفي الغد نزل واد المايج، أين جاءه أعيان المخزن[1] وأشاروا عليه بتأجيل الفتح إلى فصل الخريف، لأن ذلك الوقت

1-وقد أشاد الكثير بهذا الفتح منهم: الحافظ أبو راس، الحافظ التغريري والحافظ التلمساني الذي نختار الأبيات الأولى من رجزه.

إذ أجمع الرأي برأي حازم ** على الجهاد لم يعقبه حازم
بجهزا جيشا حمى الدين فساد ** إذ ظهرت به بقاع من فساد
فنهضوا لله جزما وأعد ** معهم آلة حرب لا تعد
من نحو بارود وكم من مدفع ** ومن جنيق ما له من مدفع
مؤمرا صهره أوزن حسنا ** قرما رضى فسار سيرا حسنا

2-ابن هطال، مصدر سابق، ص.19.

الهايج، أين جاءه أعيان المخزن[1] وأشاروا عليه بتأجيل الفتح إلى فصل الخريف، لأن ذلك الوقت هو موسم حصاد تجمع فيه الرعية عيشها، فرد عليهم بضرورة أخذ رأي العلماء، ولذلك فقد استشار الولي سيدي محمد أبي دية الذي أشار عليه بتأجيل الفتح إلى السنة المقبلة، فأخذ برأيه.

ولما حلت سنة 1791، تجهز بجيشه وخرج متجها نحو وهران ونزل بحمام أبي حنيفة ثم بالزفيزف وبعده بالقعدة ثم بجنين مسكن، ثم تقدم إلى تليلات ومنها إلى الضاية إلى أن وصل وهران وحاصرها ومعه ما يزيد عن 500 طالب. وبعد الهجومات المتوالية التي قام بها الباي ومعه فرسان الدوائر والزمالة على أسوار المدينة، وفي غضون أسبوعين قرر الباي أن يبقي الجيش محاصرا لها حتى لا يتسرب إلى المدينة شيء من المؤونة أو العتاد، وفي أثناء هذا الحصار، توفي داي الجزائر محمد بن عثمان باشا (1766-1791)، ودام الحصار إلى غاية أول محرم 1206هـ/1792م ورفع بسبب انعقاد الصلح بين الطرفين، ليتم بذلك الفتح الثاني للمدينة[2].

وقد جاء في طلوع سعد السعود وصف لهذا الفتح: «...ودام حصاره لها بالقتل الصادر منه، ومن جنوده، وشدة صواعقه ومدافعه وكوره وباروده، إلى أن فتحها في أوائل محرم سنة ست من القرن الثالث عشر بقتاله الضليع، ودخلها في اليوم الخامس من رجب (...) وقد أقام النصارى بها في هذه المدة الثانية ثلاثا وستين سنة وفي الأولى خمسا ومائتي سنة... »[3].

وبهذا نكون قد تعرضنا -بشيء من الاختصار- إلى دور فرسان المخزن في تحرير وهران من يد الإسبان، هذا فضلا عن مرابطتهم الدائمة على حدود البايلك لصد أي هجوم إسباني قبل ذلك.

1-ويشير المزاري إلى ذلك بقوله: «...وجاءه المخزن والنصر يلوح عليه من رب العالمين (...) فتفاوضوا معه في الأمر وتشاوروا وقالوا له يالأمير الرأي الذي لنا ولك فيه العز والنيف، أن تدع هذا القتال وتأخره إلى وقت الخريف...». ينظر: المزاري، مصدر سابق، ص.261.

2-وقد اختلف المؤرخون في هذا الفتح إن كان عنوة أم بتأثير الزلزال الذي ضرب المدينة فاضعف حصانتها، مما جعل الإسبان يطلبون السلم.

3-المزاري، المصدر السابق، ص.264.

وفي ختام هذا الفصل الأخير من البحث والذي تعرضنا فيه لـــدور المخـــزني الإداري والعسكري والفلاحي، وذلك من خلال تعرضنا لعلاقته بالأرض، وكـــذا دوره في خدمتـــها، أضف إلى ذلك دوره البارز في الخروج مع رجال السلطة لجباية الضرائب، وصولا إلى اعتمـــاد الدولة الكبير عليها في إخماد أي تمرد داخلي، وصد أي هجوم خارجي، ومن خلال هذا كلـــه نصل إلى أن هذه القوة بمثابة اليد اليمنى والدرع الواقي لها من كل الأخطار، يكفي أنها بعـــد أن كانت تخدم الأرض لصالح الدولة أصبحت تمتلكها، وهذا يدل على المكانة التي احتلـــها هـــذه المؤسسة بمرور الوقت، وبإثباتها لولائها الدائم للعثمـــانيين بمشـــاركتها إلى جانبـــهم في كـــل تحركاتهم، إذ نستطيع اعتبارها بمثابة العصب للقوة العسكرية للدولة، إذ عرفت ببسالتها وقـــوة شكيمتها، وإن كانت قد تسببت في خسائر فادحة على المستويين المادي والمعنوي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن أهم ما يمكن القيام به في خاتمة دراستنا هذه -و الموسومة بـ:"**موقع المخزنية في النظام العثماني بالجزائر**"، والتي ارتكزت على إشكالية رئيسية تمثلت في معرفة مدى فاعلية قبائل المخزن باعتبارها مؤسسة إدارية عسكرية وحتى فلاحية على مسرح الأحداث بالإيالة، وعلى جميع الأصعدة، وما هي حدود الحيز الذي شغلته هذه المؤسسة في النظام العثماني بالجزائر-، هو الوقوف على النتائج الأساسية لها في ضوء ما كشفت عنه فصولها. ومن أهم هذه النتائج نذكر.

1-إن السلطة العثمانية لم تكن الطرف الوحيد صاحب النفوذ بالإيالة، فإن سلطات أخرى تمثلت أساسا في السلطة الشيخية والسلطة الطرقية والسلطة المذهبية، فضلا عن سلطة العلماء، كانت سائدة بالجزائر خلال الفترة العثمانية ولا سيما بالريف، ولكن هذا لا ينفي وجود نظام حكم عثماني، بهذا الأخير مستندا في بسط مجال نفوذه إلى القبائل المخزنية.

2-تعتبر قبائل المخزن -من حيث نشأتها وتطورها وصلاحياتها- مؤسسة قبلية حليفة للنظام العثماني تعود جذورها إلى العهود السابقة للعهد العثماني، فاعتماد السلطة على القوى المحلية لتدعيم حكمها وبسط نفوذها، يرجع إلى عهد الزيانيين والحفصيين، وإن كانت مساهمة الأتراك فيها تتمثل في إعادة تنظيمها وتطويرها وذلك وفق سياسة دأبوا على اتباعها، تلك السياسة التي برزت من خلال نوعية التأثير الذي أحدثته علاقة الأتراك بسكان الريف.

3-وجد الأتراك العثمانيون في قبائل المخزن سندا قويا لمد نفوذهم، خاصة وأنهم لم يعودوا يتلقوا أي دعم مادي أو بشري من مركز السلطة باستانبول، أضف إلى ذلك قلة عدد الأتراك بالإيالة، مما أدى إلى عجزهم عن تجنيد أكثر من 12.000رجل، بعد أن وصل عدد فرسان المخزن إلى 30.000، هذا فضلا عن اتساع مساحة الإيالة واحتياجها لقوة عسكرية ضخمة، لفرض الأمن داخلها وصد الهجومات الآتية من خارجها.

4-لقيامها المخزنية بأدوارها المنوطة بها -من فلاحة وجباية وإقرار للأمن داخل الإيالة- كان لزاما على الدولة جعلها تتمتع بجملة من الامتيازات المعنوية المادية والتي جعلتها تحتل مكانة

لم تبلغها أي مؤسسة أخرى، إذ تكاد تضاهي مكانة أحد الموظفين السامين بالنسبة للسلطة العثمانية، ويعتبر حصولها على جملة من الآراضي من أهم الامتيازات التي تحصل عليها القبيلة المخزنية، وإن كانت هذه الأراضي تدخل ضمن إقطاع تابع لملكية الدولة، حيث لا يسمح بكرائها ولا بيعها ولا حتى توارثها بين أبناء القبيلة الواحدة، وذلك بأن يقوم المخزني بمهامه مقابل حق انتقالها (الأرض) إلى الابن الأكبر، أو لمن يكون على رأس الأسرة في حال وفاته، ولكن تردي الأوضاع السياسية والعسكرية بالإيالة في أواخر عهدها، أدت إلى اختراق القانون الخاص باستغلال الأرض، بأن استغل المخازنية الظروف لتغييره، وهو ما أدى بالبايات –تحت الضغط واحتياجا لها– إلى التسليم بحق ملكيتهم التامة للأراضي، وهذا ما يدل على قوة هذه المؤسسة وعلى مدى أهميتها باعتماد السلطة عليها.

5-يمكننا أن نطلق صفة الإقطاع أو شبه الإقطاع على عشائر المخزن، وذلك للتطابق النسبي في المقاييس الإقطاعية السائدة في أوروبا، وتلك التي تتميز بها عشائر المخزن دون سواها، فهي الأنموذج الوحيد للإقطاع الريفي الجزائري، لأن مهامها جعلت علاقة سكان الريف بالحكام تقوم على الخوف والاحتقار المتبادل، مما أصبغ الحكم العثماني بالأرياف بصبغة الإقطاع العسكرية، فقبائل المخزن ساهمت بصورة فعالة في تعميق الصفة الإقطاعية للمجتمع الريفي الجزائري.

6-من أهم النتائج التي نقف عندها من خلال هذه الدراسة هي انقسام السكان إلى قسمين: أحدهما منتفع من سياسة الدولة والآخر متضرر، ويتمثل الأول في عشائر المخزن المتعاملة مع البايلك بجمعها للضرائب وضمان الأمن والاستقرار، أما الثاني فيتشكل من المجموعات الخاضعة التي تؤلف الرعية غالبيته وهو الذي تقوم عليه الحياة الاقتصادية، إذ يستند عليه النظام الجبائي بمطالبه المختلفة وضرائبه المتنوعة.

7-نتج عن تواجد قبائل المخزن كمؤسسة إدارية وعسكرية بالمجتمع الريفي الجزائري جملة من الآثار السلبية تمثلت في:

- تقهقر النشاط الزراعي والفلاحي بالريف الجزائري، نتج عن استقرار قبائل المخزن على الأراضي الصالحة للزراعة وقيامها بأعمالها العسكرية، حيث أصبحت تشكل عائقا أمام تطور الإنتاج وتحسن طرق استغلاله، أضف إلى أن استقرارها بالسهول أدى إلى إحداث تخلخل في توزيع الكثافة السكانية بالأرياف، بحيث أصبحت قبائل الرعية تهجر مواطنها لتسكن الجبال والمناطق النائية.

- سعيا للانضمام إلى هذه المؤسسة والحصول على امتيازات مقابل القيام بمهامها، عمل الكثيرون على الانفصال عن قبائلهم الأصلية التي تربطهم بها الروابط الدموية، وهو ما أدى إلى تشتيت أواصر القبيلة الواحدة.

- من الآثار السلبية لهذه المؤسسة، البشاعة التي كانت تعامل بها قبائل الرعية، فقد كانت بمثابة سلاح يجرده الأتراك العثمانيون ضد المناهضين والمتمردين على حكمهم مما ترك أثرا سلبيا في نفسية السكان وغير نظرتهم إلى الوجود العثماني بالإيالة، والحملات والثورات التي شاركت بها هذه القبائل والتي تعرضنا لها من خلال دراستنا هذه،تثبت ذلك.

- من أهم الآثار السلبية لهذه القبائل أيضا أنها كانت بمثابة طائفة تشد الحاكم إلى المحكوم وتخدم مصالح رجال البايلك على حساب سكان الريف، وهذا ما جعلها تعتبر جدارا عازلا حال دون حدوث أي تغيرات اجتماعية في الأرياف قد تؤدي إلى تبلور وعي وطني جمعي، كان من الممكن أن يجمع سكان الإيالة لمواجهة التوسع الفرنسي بعد انحصار نفوذ العثمانيين، بل على العكس فقد كان لها دورا بارزا في العهد الفرنسي، حيث قدمت ولاءها للفرنسيين، على أن تقف إلى جانب الأمير عبد القادر، فهل هذا إلى استعداد هذه القبائل الدائم لخدمة الأجنبي، أما أن هناك أسباب أخرى؟

كانت هذه أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا حول المخزنية وفاعليتها بالمجتمع الريفي الجزائري، والتي كانت تشكل الواسطة بين غالبية السكان والجهاز الإداري للإيالة، بحيث اكتسبت صبغة روحية ومكانة اجتماعية وامتيازات معترف بها، تتمثل أساسا في

الإعفاء من الضرائب، وإسناد المناصب والمهام ونيل الأراضي، وحيازة المراعي، وذلك مقابل الحد من عداء السكان وضمان الأمن والإبقاء على المواصلات والتبادل التجاري وتأمين مرور فرق الحاميات العسكرية والحملات الفصلية.

وللتحسيس بأهمية هذه المؤسسة بإيالة الجزائر—التي إنما تدل على مدى تطور النظام العثماني- علينا أن نفترض غيابها، فمن يستطيع سد مكانتها بتحمل مهام تشمل المجالات العسكري والإداري والفلاحي؟ وهل كان لهذه المؤسسة من الأهمية بباقي الإيالات التابعة للدولة ما كان لها بالجزائر؟ وما هي أوجه التشابه والاختلاف بينها وبين الأخرى؟ وهذا ما نطمح إلى الكتابة عنه في المستقبل إن شاء الله.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملاحق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم (1): ثبت المصطلحات التركية الواردة في البحث

المصطلح باللغة التركية	شرحه اعتمادا على القاموس الفرنسي التركي وتبيين معناه في النظام العثماني
الداي (دايي) (Daïy)	وله عدة معاني: الخال، العراب، الوليف، الرجل المتوسط السن. أما من الناحية الإدارية، فهي تعني قائد الجيش أو القبطان، أما في الجزائر فتطلق على الجندي الذي يعينه الأوجاق لتولي الحكم إلى جانب الباشا، ثم أصبحت تدل على الحاكم العام وذلك منذ عام 1711.
الباي (باي) (Baï)	وله عدة معاني: الرجل الغني، الرجل القوي، وفي بعض الأحيان تحمل معنى الغنى والفقر. وفي الجزائر فالباي هو القائم على رأس الوحدة الإدارية المعروفة بالبايلك ويعتبر ممثل الداي على مستوى مقاطعته.
الخزناجي (خزنه جي)	الخزنة: وتعني الخزينة التي تحفظ فيها الأموال وبالضبط أموال الدولة، كما تدل على الأموال. أما "جي": فهي علامة الوظيفة في اللغة التركية، وبذلك استمد الخزناجي وظيفته الرئيسية والمتمثلة في إدارة الشؤون المالية.
بيت المالجي (بيت المال جي)	وهنا أيضا ألحقت أداة الوظيفة بكلمة بيت المال، لتدل على أن بيت المالجي وظيفته تتعلق ببيت المال، وبالفعل فهو القائم على مصادرة أملاك الجنود والموظفين بالإيالة.
وكيل الحرج (يالي وكيل حرج)	هذا المصطلح مكون من: يالي: وتعني ساحل البحر، شاطئ البحر. أما وكيل: فتعني ممثل، مفاوض، مندوب، نائب، منتدب، نقيب بحري. وبذلك استمد وظيفته والمتمثلة في إشرافه على شؤون البحرية والعلاقات الخارجية.
آغا الانكشارية (ïéni-tchérie)	وهذا المصطلح يتشكل من كلمتي: الآغا والانكشارية. آغا: وتعني السيد، المعلم، القائد، وبالضبط قائد الجيش. الانكشارية: وتعني الجيش الجديد، وهي إحدى فرق الجيش العثماني النظامي، وتعد من أقوى وأكثر الفرق عددا في الجنود، سواء في استانبول أو في الولايات التابعة لها. وآغا الانكشارية هو القائد الأعلى للجيش الانكشاري في إيالة الجزائر.

الخوجة (الخواجة) (Khodja)	الخوجة: وتعني المعلم أو الأستاذ، ويطلق هذا المصطلح في الإدارة العثمانية على كل الأشخاص الذين يحسنون القراءة والكتابة أو المتعلمين بشكل عام، ولقد كان هذا الإطار هو نفسه الذي استعملت فيه الكلمة، حيث كانت تطلق على الأشخاص الذين يعرفون القراءة والكتابة ويختارون من بين جنود الأوجاق ليعين منهم الباشا كتابه وأمناءه.
مقاطعة جي	واللفظة هنا تتكون من كلمة مقاطعة و"جي" علامة الوظيفة، وهو أحد الكتاب الأربعة، ومهمته تتمثل في الإشراف على سجلات الأوجاق الخاصة بمصاريف الجنود اليومية ومرتباتهم، وهو رئيس الكتاب.
باش دفتر (إيكنجي مقاطعة جي) (رقمجي)	وتتكون من كلمة دفترة و"باش"، والتي تعني رئيس أو قائد. "ايكي": ومعناها اثنان، "ايكنجي" تعني الثاني، وهو خوجة المقاطعة الثاني. الرقمجي: وتتكون من كلمة "رقم" مع علامة الوظيفة "جي". وهؤلاء هم الكتاب الثلاثة الذين يمارسون وظائفهم تحت رئاسة المقاطعة "جي".
الديوان (Dyvân)	وهي كلمة تركية لها معاني كثيرة، منها: التوصية، المجلس العسكري، المحكمة، المصنف الشعري، السكرتير، الأمين الخاص للمحافظ أو الحاكم العام، المكتب الخاص برسائل الصدر الأعظم، مكتب الباب العالي، قنصلية الدولة العثمانية...الخ. أما من الناحية الإدارية، فهو بمثابة مجلس عام يضم وزراء الدولة وكبار موظفيها وقادتها العسكريين والعلماء، يجتمع في مواعيد معينة لمعالجة قضايا الدولة.
الأوجاق (Odjâq)	ولها عدة معاني منها: الموقد، المدفأة، المترل، المقر، مسهر الحديد، المشتى، فتحت البالوعة، الشأن، الدولة، الانقلاب، العائلة...الخ. أما من الناحية الإدارية في النظام العثماني، فقد أطلق في استانبول على فرق الجيش، أما في الجزائر فله ثلاث معاني: الإيالة، الجيش العثماني، كما يستعمل بمعنى أورتة، أي وحدة من وحدات الجيش الانكشاري.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

السباهية (سباهي) (Sypahy)	كلمة تركية معناها الرحل العسكري أو فارس الإقطاع، وهي إحدى الفرق المشكلة للجيش العثماني، وهم الفرسان.
الدنوس (دونش) (Deunuch)	كلمة تركية معناها العودة، ويقصد به عودة الباي بنفسه إلى مدينة الجزائر لتقديم حساباته المالية وتقاريره عن المقاطعة للباشا، ومن خلاله يتحدد مصير الباي إما بتجديد تعيينه وإلباسه القفطان، أو بسحبها منه وتعيين من يخلفه.
الفرمان (Fermân)	وهي كلمة تركية لها معاني عدة، منها: أمر قيادة، مرسوم، قانون، تنظيم. أما في النظام العثماني فهو المرسوم أو القانون الذي يتضمن أوامر السلطان العثماني من خلع أو تولية، ويضم حتى الرسائل إلى الدول العثمانية.
القلج (Qulydj)	وهو نوع من السيوف العثمانية

المصدر: 1-ديران كليكان، مرجع سابق.

2-حماش خليفة، مرجع سابق.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم (2): جدول خاص بالموظفين المساعدين بالجهاز الإداري للإيالة.

فئة الموظفين	نوع الخدمات التي كان يؤديها كل موظف
الكتاب الأربعة الكبار: الخوجة باشي	الكاتب الأول: المكتباجي الكاتب الثاني: الدفتر دار أو وكيل الحرج الكبير الكاتب الثالث: وكيل الحرج الصغير الكاتب الرابع: الكاتب العام
الأعوان والقياد والحكم	الأغوات منهم: الكاهية أو الباشي بلوك باشي، أو آغا الهلالين. القياد بالبوادي: بعضهم بالمدن كقائد الشوارع، وقائد العبيد... حكام المدن.
البايات ومساعدوهم	كل باي يساعدوه ديوان محلي، أهم أعضائه: الخليفة، الباش خزناجي، آغا الدايرة، خوجة الخيل، والباش كاتب.
الخوجات	خوجة (القصر، الجمارك، الغنائم، الرحبة، مخزن الزرع، العيون، أبواب المدينة، المنازل،الدكاكين،الحدائق، الملح، الجلد، الفحم.
موظفو الخدمات الاجتماعية	شيخ البلد، المحتسب، المزوار
جماعة الخدم والشواش	-الطباخون: كبيرهم أشجي باشي -الشواش: كبيرهم باش شاوش -آغا العزرة -الدلال والبراج

المصدر: سعيدوني (ناصر الدين)، ***النظام المالي***، مرجع سابق، ص.25

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم (3): مخطط يبين هيكل الحكم العثماني بالمدينة والريف في الجزائر

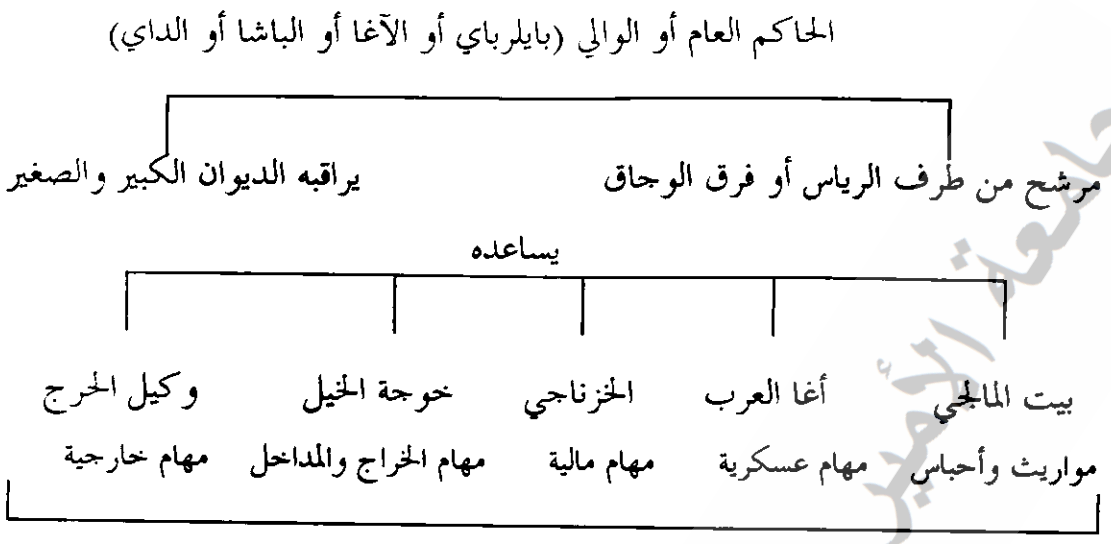

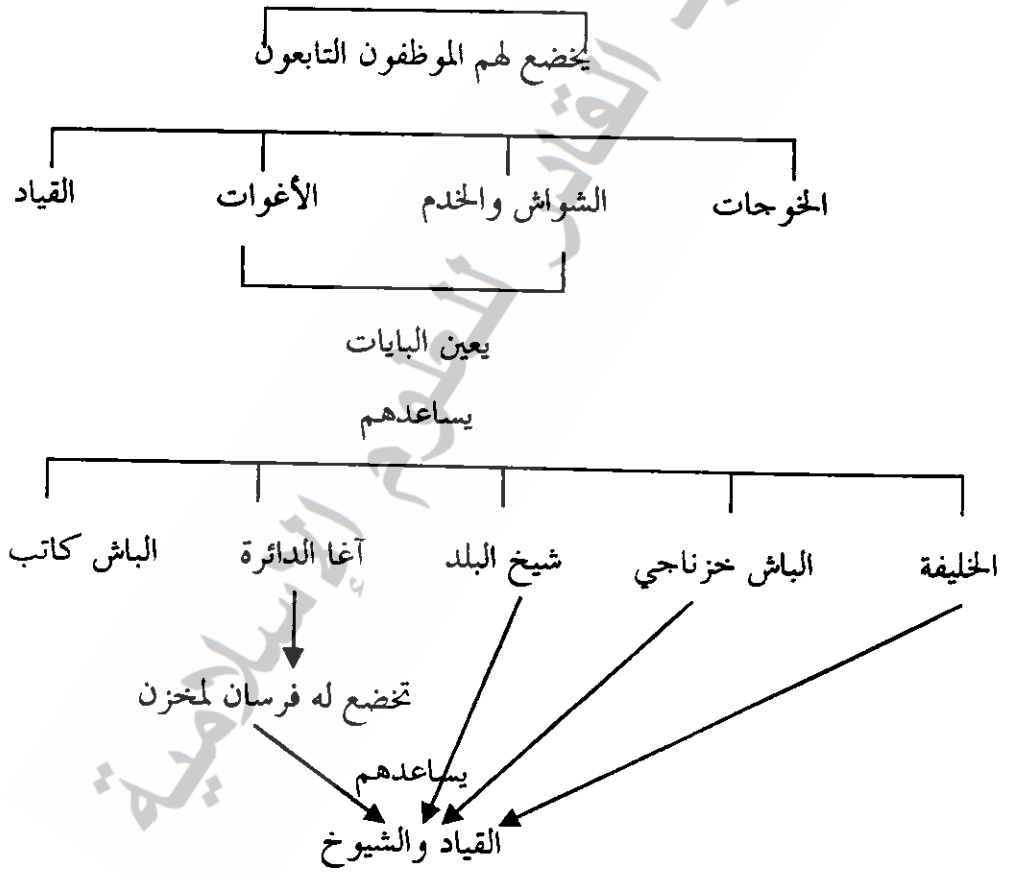

المصدر: سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية، ص629، مع بعض الإضافات

الملحق رقم (4): جدول يوضح لنا قيمة الضرائب الزراعية بالإيالة، اعتمادا على أهم المصادر والمراجع المهتمة بمصادر دخل الإدارة الجزائرية في العهد العثماني

المصدر المعتمد في تقدير الضرائب الزراعية للجزائر العثمانية	المردود الضريبي لدار السلطان	المردود الضريبي لبايلك التيطري	المردود الضريبي لبايليك الشرق (قسنطينة)	المردود الضريبي لبايليك الغرب (وهران)	نوع العملة
د. شو (Dr Shaw)	12000	12000	80000 إلى 100000	40000 إلى 50000	ريال بوجو
فانتور دوبارادي (Venture de Paradis)	5000	67000	228000	273000	قرش قوي "بياستر"
شالر (W.Shaler)	16000	4000	6000	75000	دولار إسباني
الشريف الزهار	20000	80000	110000	110000	ريال بوجو
مذكرة عن الجزائر (1830) (Notice...)	86880	21720	325800	325800	فرنك
كلوزال (Clauzel)	100000	150000	406562	500000	فرنك
جانتي دوبوسي (Genty de Bussy)	130277	44932	148455	155432	ريال بوجو
ليكان (Liskenne)	287500	287000	575000	690000	فرنك
البارون جوشرو (Le Baron Juchereau)	94000	24000	220000	138000	فرنك
روزي (Rozert)	410213	-	778811	62240.5	فرنك
فال باريزو (Val-Parisont)	225000	325000	550000	650000	فرنك

المصدر: سعيدوني ناصر الدين، دراسات تاريخية، مرجع سابق، ص349-350.

الملحق رقم (5): خريطة تبين: مواقع استقرار قبائل المخزن

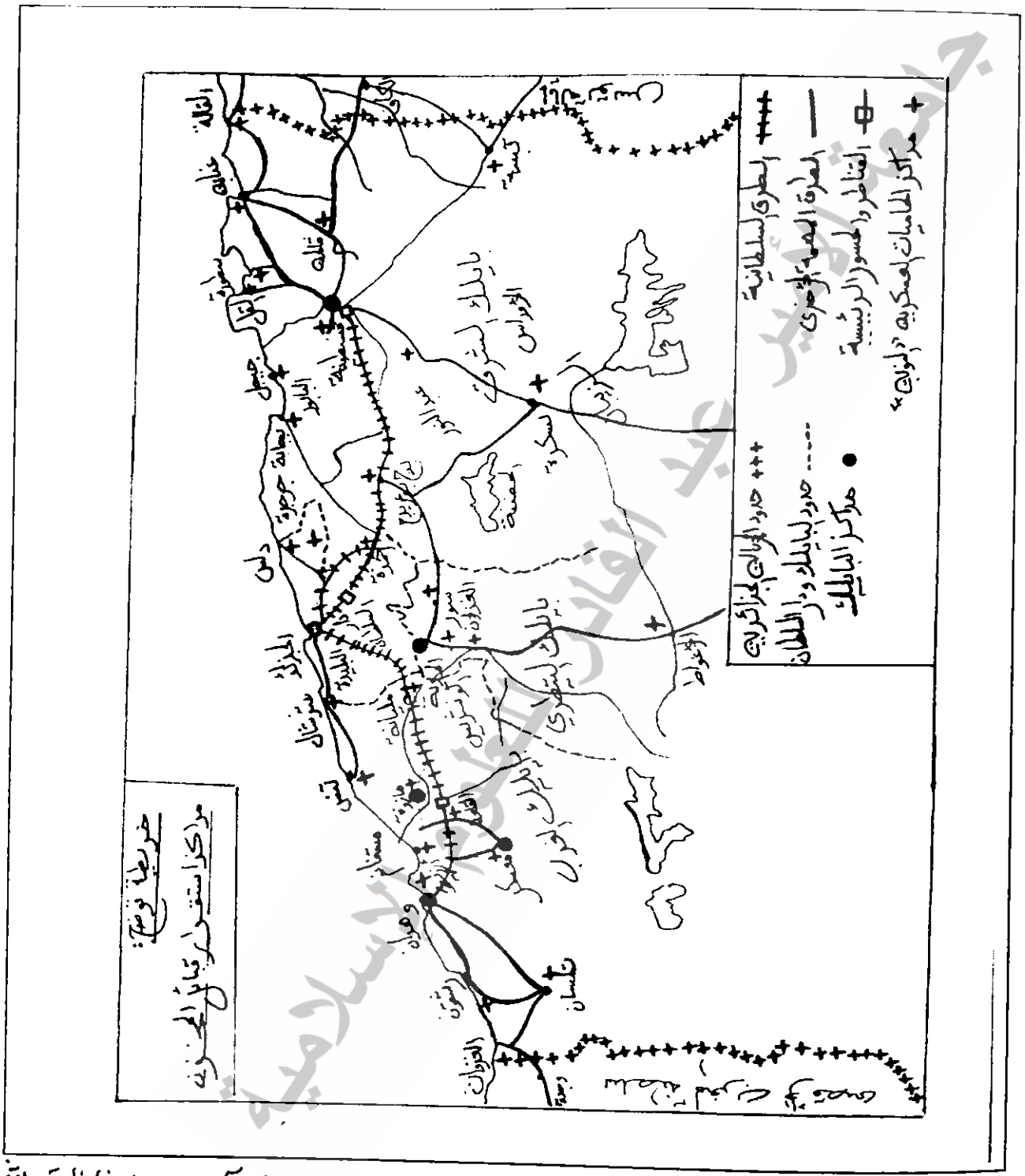

المصدر: سعيدوني ناصر الدين، ورقات، مرجع سابق، مع إضافات شخصية

الملحق رقم (6): خريطة تبين: استعمال الأرض في الجزائر خلال العهد العثماني

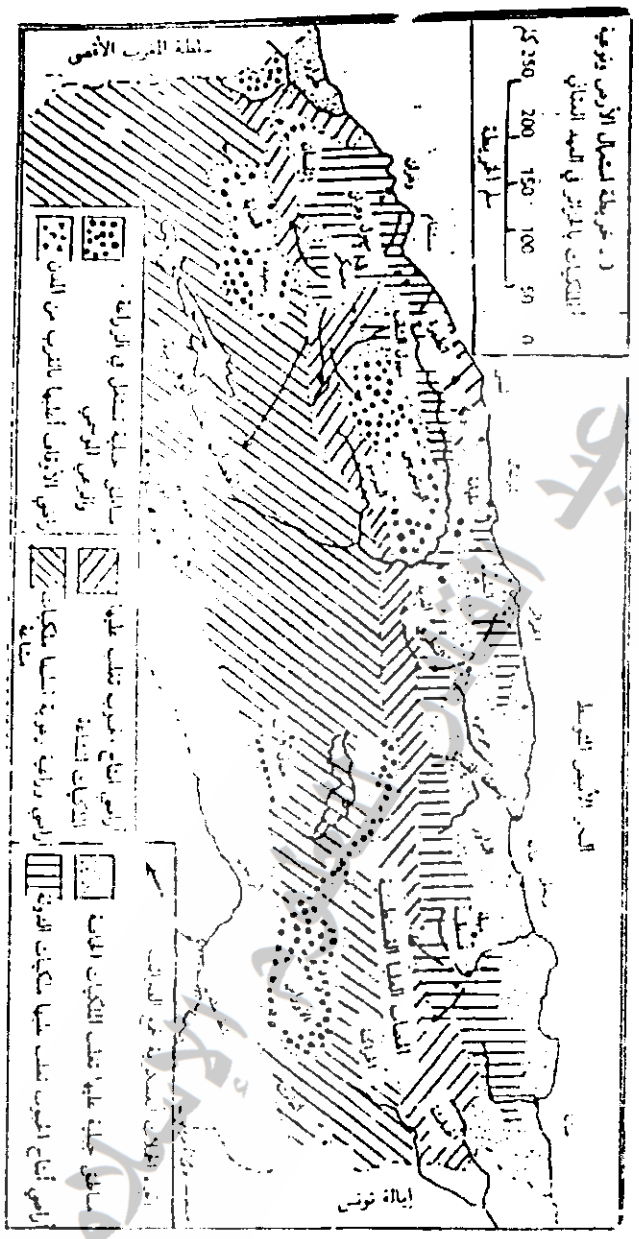

72

المصدر: سعيدوني ناصر الدين، دراسات تاريخية، مرجع سابق.

الملحق رقم (7): خريطة تبين: أراضي قبائل المخزن واتجاه سير الحملات العسكرية التي شاركت فيها

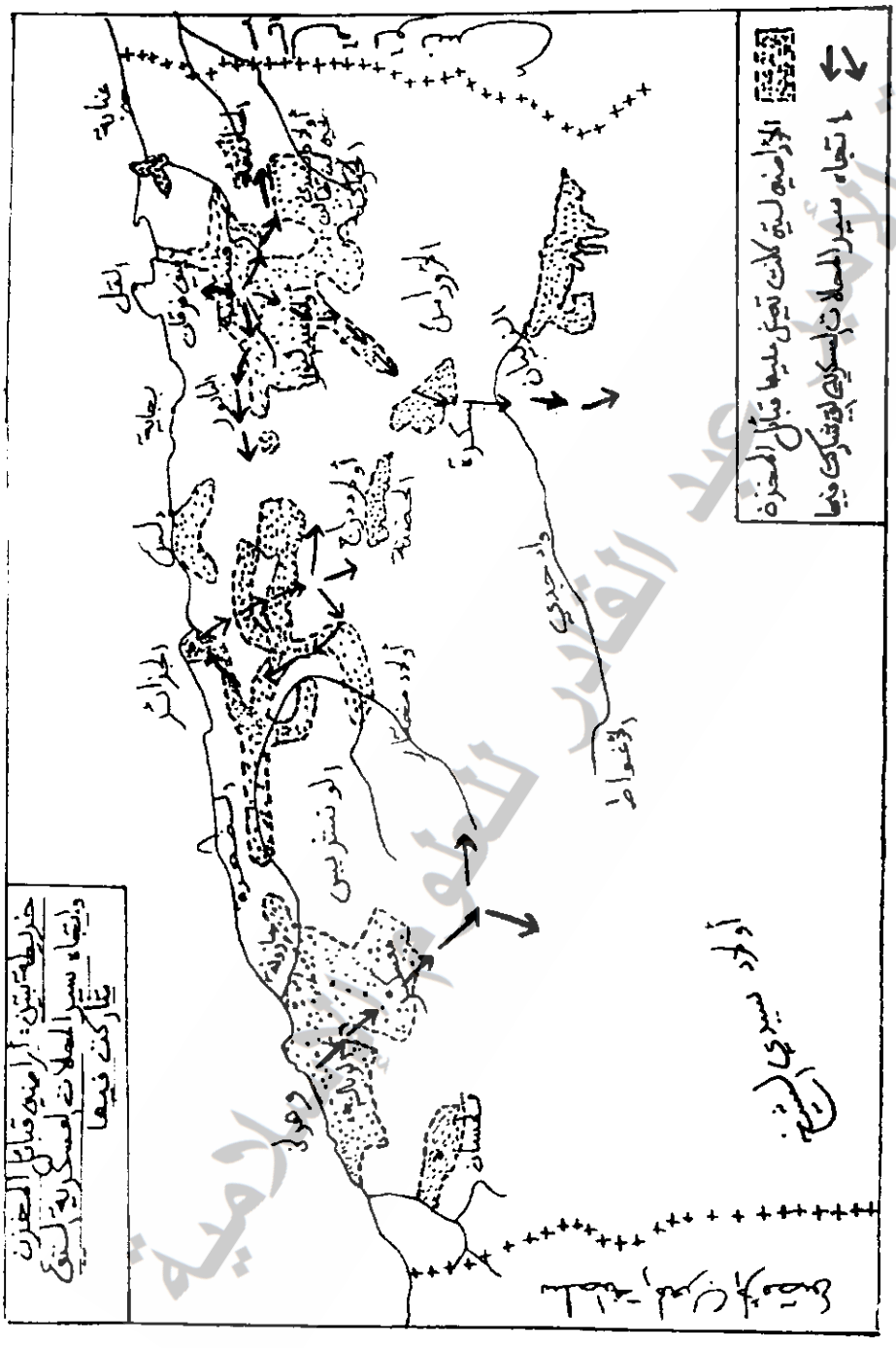

المصدر: سعيدوني ناصر الدين، ورقات، مرجع سابق.

الملحق رقم (8): خريطة تبين: أحداث ثورة ابن الأحرش

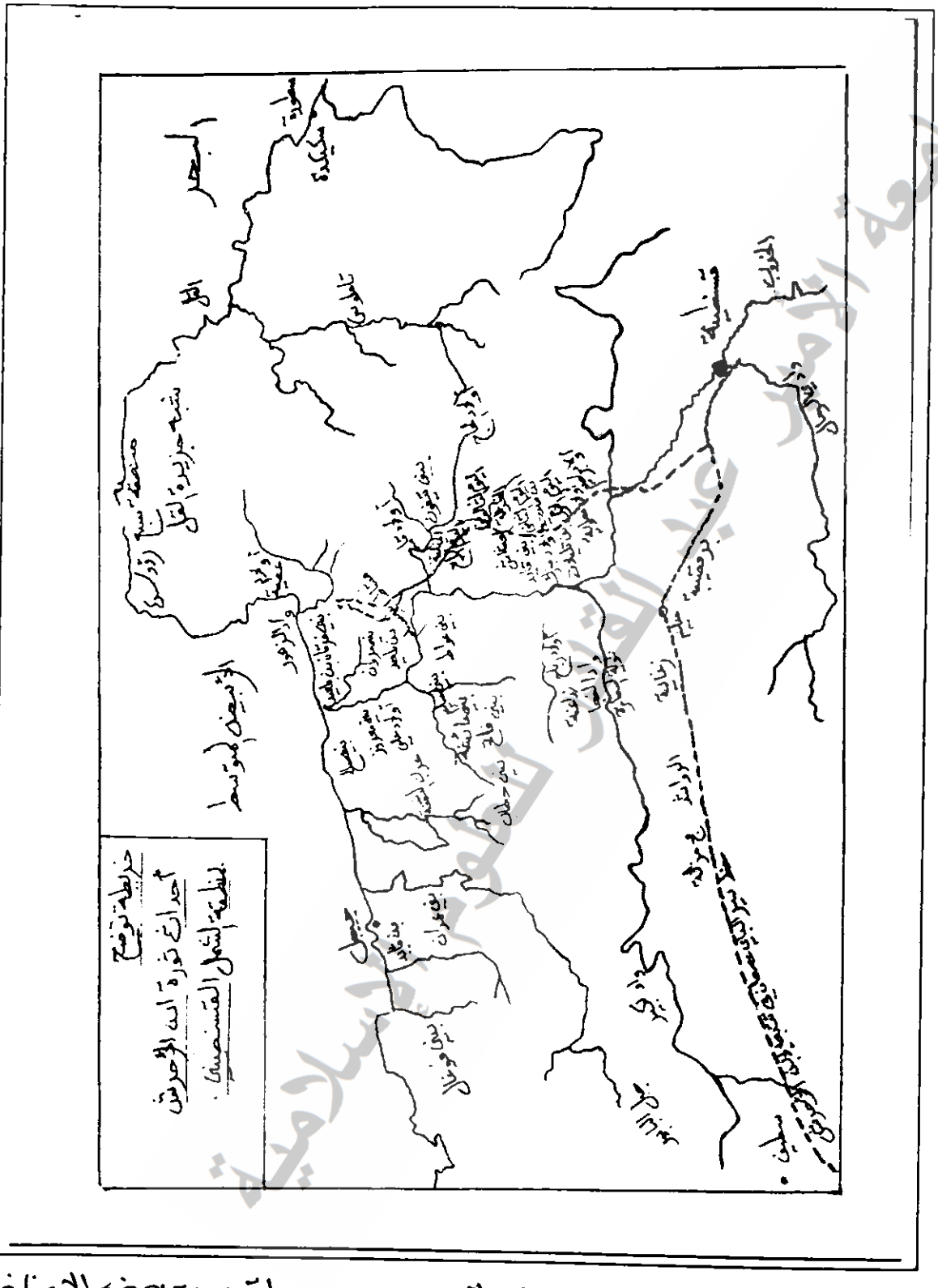

المصدر: سعيدوني ناصر الدين، ورقات، مرجع سابق، مع بعض الإضافات الشخصية.

الملحق رقم (9): رسالة من إبراهيم آغا إلى أولاد علي في أواخر جمادى الثاني 1243هـ

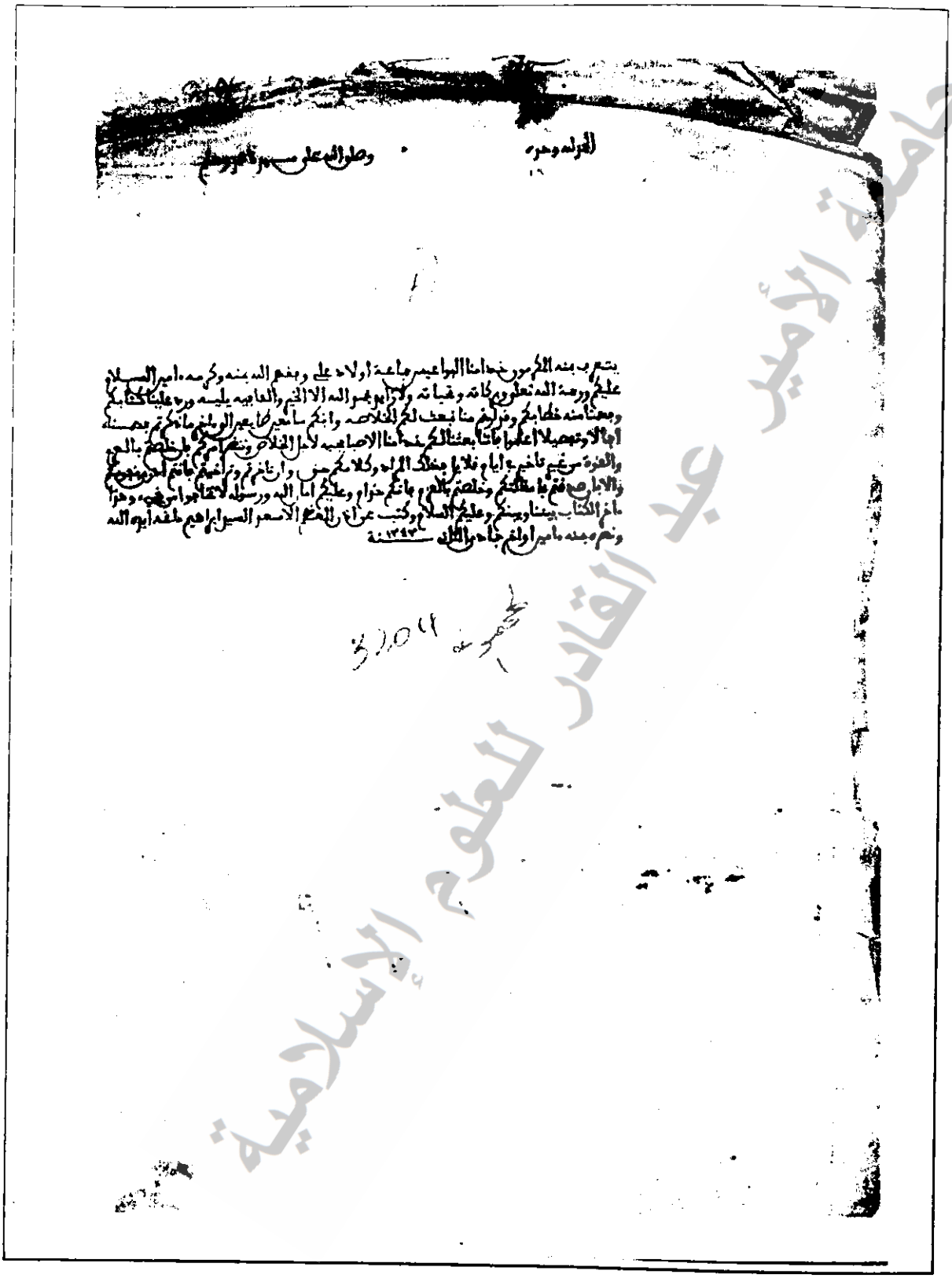

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وسلم، يتعرف بمنه المكرمون خدامنا البواعيس جماعة أولاد علي وفقكم الله بمنه وكرمه آمين السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وتحياته ولا زايد بحمد الله إلا الخير والعافية يليه ورد علينا كتابكم وفهمنا منه خطابكم منا نبعث لكم الخلاصة وأنكم سامعين طايعين إلى آخر ما ذكرتم فهمناه إجمالا وتفصيلا إعلموا فإننا بعثنا لكم خدامنا إلا صبايحية لأجل الخلاص وننظر أمركم بأن خلصتهم بالعزم والقوة من غير تأخير في أيام قلايل بذلك المراد وكلامكم حتى وإن تأخرتم وتراخيتم فأنتم أدرى بنفوسكم، وإلا بأن صدقتم بما مقالتكم وخلصتم بالعزم فإنكم كرام وعليكم أمان الله ورسوله لا تخافوا من شيء وهذا آخر الكتاب بيننا وبينكم وعليكم السلام. وكتب عن إذن المعظم الأسعد السيد إبراهيم آغا أبره الله ونصره بمنه آمين. أواخر جمادى الثاني سنة 1243هـ

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم (10): رسالة من حسن باي الغرب إلى أولاد بسام وأولاد عمار وأولاد رابح

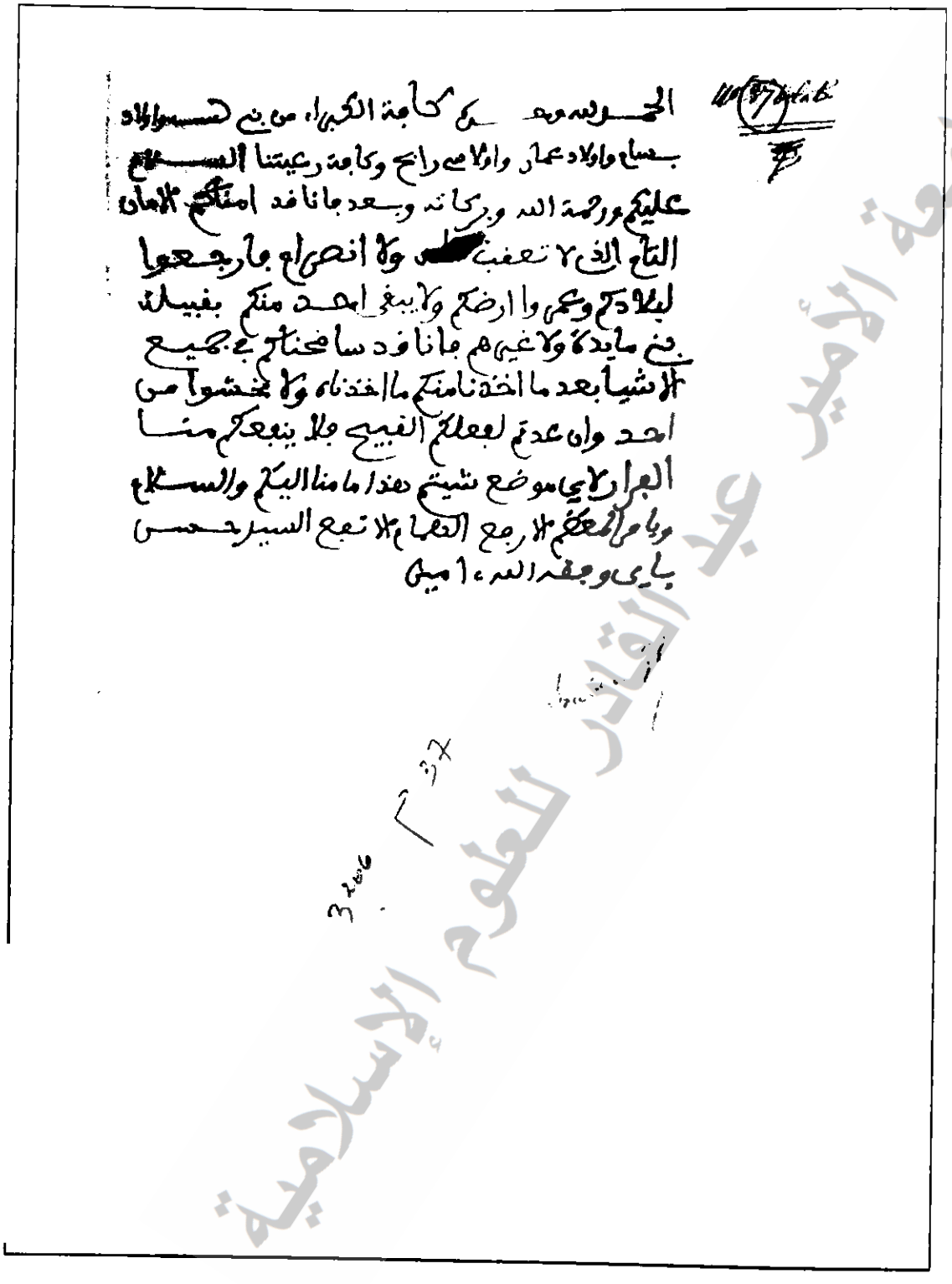

الحمد لله وحده كتابة الكبراء من بني [illegible] أولاد بسام وأولاد عمار وأولاد رابح وكافة رعيتنا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فانا قد امنكم الامان التام الذي لا تعقب [illegible] ولا انصراف فارجعوا لبلادكم وبلدكم وارضكم ولا يبغي احد منكم بقبيلة بني مايدة ولا غيرهم فانا قد سامحناكم في جميع الاشياء بعد ما اخذنا منكم ما اخذناه ولا تخشوا من احد وان عدتم لفعلكم القبيح فلا ينفعكم منا الفرار لاي موضع شئتم هذا ما منا اليكم والسلام وبامر الحاكم ارجع القهار لا تبع السير حسن باي وفقه الله، آمين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحمد لله وحده، كافة الكبراء من بني حسن وأولاد بسام وأولاد عمار وأولاد سي رابح وكافة رعيتنا، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فإن قد أماناكم الأمن الذي لا تعقب ولا إنصرام فرجعوا لبلادكم وعمروا أرضكم ولا يبقى أحد منكم بقبيلة بني مائدة ولا غيرهم فإن قد سامحناكم في جميع الأشياء بعدما أخذنا منكم ما أخذناه ولا تخشوا من أحد وإن عدتم لفعلكم القبيح فلا ينفعكم منا الفرار لأي موضع شئتم هذا مأمنا إليكم والسلام، ويأمر المعظم الهمام الأنفع السيد حسن باي وفقه الله آمين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم (11): رسالة تضم: قرار من حسين باشا أواسط محرم 1235هـ بإعفاء بعض العلماء وبعض القبائل من المطالب المخزنية

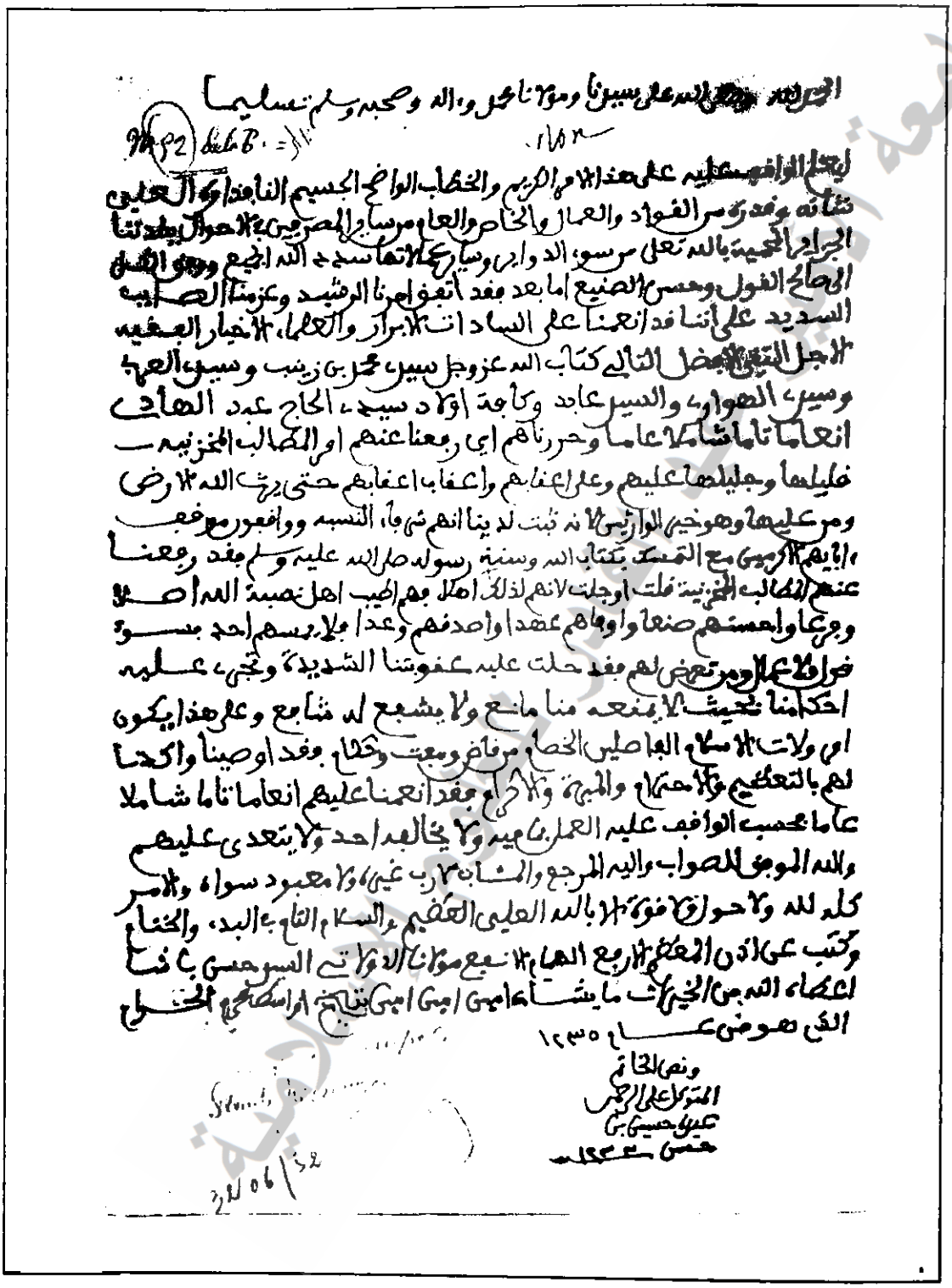

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

ليعلم الواقف عليه على هذا الأمر الكريم والخطاب الواضح الجسيم النافذ أمره العلي شأنه وقدره من القواد والعمال والخاص والعام من ساير المتصرفين في الأحوال ببلدتنا الجزائر المحمية بالله تعالى من سوء الدواير وساير عمالاتها صدد الله الجميع ووقف الكل إلى صالح القول وحسن الصنيع أما بعد. فقد اتفق أمرنا الرشيد وعزمنا الصايب السديد على أننا قد أنعمنا على السادات الأبرار والعلماء الأخيار، الفقيه الأجل التقي الأفضل التالي كتاب الله عز وجل سيد محمد بن زينب وسيد العرب وسيد الهواري والسيد عابد وكافة أولاد سيدي الحاج عبد الهادي إنعاما تاما شاملا عاما وحررناهم أي رفعنا عنهم أمر المطالب المخزنية قليلها وجليلها عليهم وعلى أعقابهم وأعقاب أعقابهم حتى يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، لأنه ثبت لدينا أنهم شرفاء النسب وواقفون موقف أبائهم الأكرمين مع التمسك بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد رفعنا عنهم المطالب المخزنية قلت أو جلت لأنهم لذلك أهلا فهم أيطب أهل نسبة أصلا وفرعا وأحسنهم صنعا وأوفاهم عهدا، وأصدقهم وعدا، فلا يمسهم أحدا بسوء قولا وعملا، ومن تعرض لهم فقد حلت عليهم عقوبتنا الشديدة، وتجري عليه أحكامنا بحيث لا يمنعه منا مانع ولا يشفع له شافع وعلى هذا يكون أمر ولاة الإسلام الفاصلين الخصام من قاض ومفت وحكام فقد أوصينا وأكدنا لهم بالتعظيم والاحترام والمبرة والإكرام فقد أنعمنا عليهم إنعاما تاما شاملا عاما فحسب الواقف عليه العمل بما فيه ولا يخالفه أحد ولا يتعدى عليه والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب لا رب غيره ولا معبود سواه والأمر كله لله، ولا حولة ولا قوة إلا بالله العظيم والسلام التام في البلد والختام وكتب عن إذن المعظم الأرفع الهمام الأنبع مولانا الدولاتي سيد حسن باشا أعطاه الله من الخيرات ما يشاء آمين. بتاريخ أواسط محرم الحرام الذي هو من عام 1235هـ

ونص الخاتم المتوكل على الرحمن عبده حسين بن حسن 1235هـ

الفهارس

أولا: فهرس الأعلام

ثانيا: فهرس الأماكن

ثالثا: فهرس القبائل والجماعات والهيئات

رابعا: فهرس المصادر والمراجع

خامسا: فهرس الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملاحظة: هناك مجموعة من المصطلحات تكرر ذكرها في معظم صفحات البحث لم ندرجها ضمن الفهارس وهي: الإيالة، الباليك، المخزنية، الجزائر، العثمانيين

أولا: فهرس الأعلام

العلم	الصفحة
-أ-	
إبراهيم (باشا الجزائر)	3
إبراهيم (باي قسنطينة)	53، 88
إبراهيم الحاج (باي التيطري)	94
إبراهيم الغربي (باي قسنطينة)	89
إبراهيم القسنطيني (باي التيطري)	94
أحمد (باي قسنطينة)	27، 39، 42، 52، 65، 75، 89، 98، 100
أحمد الطوبال (باي قسنطينة)	88
أحمد المملوك (باي قسنطينة)	88، 100
أحمد بن الأبيض (قائد الدار)	103، 104
أحمد بن الصخري (شيخ الدواودة)	115، 116
أحمد بن سالم (التيجاني)	113، 114
أحمد بن علي القلي (باي قسنطينة)	52
إسماعيل (باي التيطري)	94
إنجليز (باي قسنطينة)	53، 87، 103
أوروج (مؤسس الدولة العثمانية)	44
ابن الأحرش (الشريف)	88، 98، 100، 102، 103، 105، 106، 112
-ب-	
باهيز	95
بتقة بن ناصر (شيخ أولاد مقران)	115
بربروجيه (مؤرخ)	115
بلبجاوي (خليفة الباي)	98

بلقاسم برعاش (شيخ قبيلة)	94
بودومة	95
بوعزيز بن ناصر (شيخ الحنانشة)	86
بوميدونة	95
-ت-	
تيدنا(أسير)	92،7
-ج-	
جعفر باي (التيطري)	94
-ح-	
الحاج مسعود بن زكري (باش سيار)	87
حسن (باي التيطري)	93
حسن (باي الغرب)	113،57
حسن بن حسين بو حنك(باي قسنطينة)	53،52
حسين (باشا الجزائر)	113
حسين الكلياني (باي قسنطينة)	86
حسين بن خير الدين (باشا)	44،42
حسين بن صالح باي(قسنطينة)	120
حفص عمر(باي قسنطينة)	51
حفصي بن عون (فارس مخزني)	88
حمادي بن عون (فارس مخزني)	88
حمدان بن عثمان خوجة	46،26،10،9،3
الحملاوي (آغاالزمول)	52
حمودة (باي تونس)	102، 118، 119، 120، 121
حمودة (باي قسنطينة)	53

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-خ-	
ابن خديجة (باي الغرب)	42
خير الدين (أول بايلر باي للإيالة)	33، 47
-د-	
ابن دهيليس (فارس مخزني)	55
-ر-	
رجب (باي قسنطينة)	33، 44، 47، 51
الرشيد العلوي (سلطان الدولة العلوية)	122، 123
رين (مؤرخ)	48
-ز-	
الزبوشي (مرابط)	105
الزهار أحمد الشريف (نقيب الأشراف)	21
-س-	
سليمان بن أحمد (قائد الأرباع)	95
سليمان بن صفة طايرة (قائد قبيلة)	95
سليمان كاهية (قائد الجيوش التونسية)	119
سيدي خليف	86
-ش-	
الشريف الدرقاوي (زعيم الثورة الدرقاوية)	100، 106، 107، 108، 109، 110، 111، 112
شعبان (داي الجزائر)	122
شعبان باي	33، 47، 51
شو (رحالة)	39

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-ص-	
صالح (باي قسنطينة)	39، 52، 69، 72، 78، 82، 83، 86
ابن الصخري (شيخ أسرة بوعكاز الدواوة)	100
صوفتا (باي التيطري)	87، 93
-ع-	
عبد القادر (الأمير)	100
عبد الله بن إسماعيل (باي قسنطينة)	105
عثمان (باي قسنطينة)	88
عثمان بن إسماعيل (آغا المخزن)	109
عثمان بن محمد الكبير (باي قسنطينة)	103، 104، 105
عدة بن الحاج محيي الدين (آغا)	110
علي آغا	105
علي بن مسعود المحمودي (فارس مخزني)	125
علي شاوش	3
علي قار بغلي (باي الغرب)	112
عمار بن الشريف	53، 88
عمر (آغا الجزائر)	120
العنتري محمد الصالح (مؤرخ)	106، 119، 120
ابن عودة المزاري (آغا المخزن)	92، 95، 114، 124
ابن عودة بن خدة (آغا المخزن)	109
ابن عيسى (خليفة الباي)	89
ابن عيسى (مرابط)	26، 42

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-ف-	
فرحات بن جلاب	86
فرحات بن سعيد (زعيم أسرة بوعكاز)	100
فيرو (مؤرخ)	77، 115، 116
-ق-	
قدور بن إسماعيل البحثاوي (آغا)	110، 111، 112
-ك-	
كرميش (قائد مخزني)	52
-م-	
ابن المبارك (مؤرخ)	119
محمد (آغا الجزائر)	93
محمد أبو كابوس (باي الغرب)	93، 113
محمد أبي دية (ولي صالح)	126
محمد الدباح (شيخ الدواودة)	86
محمد الزموري (باش سراج)	88
محمد العربي بن أحمد البوبريحي	108
محمد الكبير (باي الغرب)	43، 58، 59، 60، 90، 123، 125
محمد المقلش (باي الغرب)	109
محمد الميلي (باي قسنطينة)	89
محمد بكداش (داي الجزائر)	43
محمد بن إبراهيم (سهر الداي)	125
محمد بن الخروبي القلعي (كاتب باي وهران)	113
محمد بن الشريف العلوي	121
محمد بن الصخري	115، 116

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

محمد بن جلاب	89
محمد بن جيلاني	110
محمد بن عبد القادر الجزائري	105
محمد بن عبد الكريم الفقون	104
محمد بن عثمان باشا (داي الجزائر)	122، 125، 126
محمد بن قارة قنداز (قائد السباهية)	94
محمد بن قانة (شيخ الزبان)	98، 99
محمد بن قدور بن إسماعيل (آغا)	114
محمد تشاكر (باي قسنطينة)	88، 98، 99
محمد خوجة أبو عبد الله (داي الجزائر)	124
محيي الدين (والد الأمير عبد القادر)	107
مراد (باي قسنطينة)	115
مسلم بن عبد القادر	108
مصطفى (باشا الجزائر)	105
مصطفى بلأحرش (فارس مخزني)	88
مصطفى بن إسماعيل (آغا)	114
مصطفى بن المخفي (آغا)	112
مصطفى بن سليمان الوزناجي	61، 87، 99، 100
مصطفى بن عبد الله العجمي (باي الغرب)	93، 112، 120
مصطفى بن محمد (آغا الزمول)	52
مصطفى بوشلاغم (باي الغرب)	43، 54، 59، 124، 125
مصطفى بومرزاق (باي التيطري)	94، 95
منامني (باي قسنطينة)	89، 111
مولاي إسماعيل (سلطان المغرب)	54، 122، 123

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مولاي العربي الدرقاوي (شيخ ابن الشريف)	107
مولاي سليمان العلوي	113، 123
الميلي (مبارك بن محمد)	31
-ن-	
نابليون (بونابرت)	102، 103
نعمان (باي قسنطينة)	88، 120
نوشي (مؤرخ)	82
-هـ-	
ابن هطال (كاتب الباي)	92، 108
-ي-	
يحي (آغا الجزائر)	89
يحي بن سليمان	100
يوسف (باشا الجزائر)	116، 117
يوسف بن محمد المسراتي (باي الغرب)	90

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا: فهرس الأماكن

الأماكن	الصفحة
-أ-	
الأبيض المتوسط (بحر)	42، 55
أرزيو	59
الأطلس البليدي	44
الأطلس التلي	59
الأطلس الصحراوي	44، 55
الأغواط	87، 90، 92، 112
الأناضول	35
الأوراس	33، 39، 50، 69، 78، 87، 88، 89، 99
إيسلي (واد)	37
إيغرغر	39
استانبول	2
-ب-	
البابور(ساحل)	42، 81، 89، 104
باتنة	52،87
بجاية	42،81
برج الثنية	36
برج بوعريريج	36،37
برج حمزة	39
برج سباو	36
البرواقية	39،61،62
بريكة	50

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسكرة	115،100،52،50،39
بغاي	48
بلزمة	25، 33، 52، 57
بوسعادة	94،87،36
بوصلاح (واد)	49
بوعريف	50
بوغار	39
بوغني	39
بومرزوق (واد)	52، 72
البيبان(جبال)	87،42
	-ت-
تاجموت	92
تاملوكة	51
تقرت	100،88،86،39
تلاغمة	104،99،98،73،49،42
تلمسان	13، 43، 44، 69، 90، 114، 122، 124،125
تليلات (واد)	125، 126
تنس	42
تونس	25، 37، 41،83،102،103،116،118،120،121
	-ج-
الجر (واد)	38
جرجرة	39، 69
الجزائر	ذكرت في جل مواضع البحث
الجلفة	87

جميلة	39
الجنان (واد)	93
جيجل	102، 103
-حـ-	
الحاسي	48
الحمام (واد)	83
-خـ-	
خناق تشودة	87
خناق عليهم	104
خنقة سيدي ناجي	25
-د-	
الدار البيضاء	69
-ذ-	
الذهب واد	37، 49
-ر-	
الروينة (واد)	37
ريو (واد)	37
ريغ (واد)	39، 86
الرحية	48
الرمال (واد)	72
ريغة	99، 103، 104
-ز-	
الزاب	33
الزلامطة (واد)	90

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

زمورة (واد)	56، 102، 104
الزواغة	42
الزيبان	89
الزيتون (واد)	37
-س-	
سطيف	33، 37، 49، 53، 80، 89، 104، 106، 115
السرسو	35، 95
سيدي عيسى	36
سفلات واد	37
سور الغزلان	38، 46، 47، 62
ستورة	38، 49
سعيدة	54
سباو	39
سيدي رغيس	48
سكيكدة	49، 53، 103
سطارة	51
السو (واد)	52
سوق أهراس	89
سيرات (واد)	120
ف	
فاس	106، 123
فج مزالة	49
فرجيوة	42، 78
فرطاسة	108، 109

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفضة(واد)	57،37
فكرينة	48
فليتة	125 ،56
-ق-	
القالة	87
قالمة	89 ،78 ،38
قسنطينة	98، 87، 83، 69، 53، 39، 38، 37، 33، 25، 125 ،120 ،115 ،113 ،102
القصب (واد)	49
قصر عزوز	95
القل	102 ،53
-ك-	
الكباب (واد)	50
الكبير (واد)	102 ،72
كحال (واد)	37
الكنتارة	50
الكوتون (واد)	51
-ل-	
ليبيا	118
-م-	
المائدة (جبل)	125
المالح (واد)	110 ،103 ،55
متيجة	10
مجانة	115 ،99 ،42

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المجدل	94
مدفون	48
المدية	13، 38، 44، 45، 62، 93
مروانة	49
مزونة	42، 43، 56، 125
مستغانم	18، 42، 43، 55، 56، 59، 125
مسرغين	68
مسلولة	48
المسيلة	33، 87، 88، 89
مصر	102
معسكر	38، 42، 43، 65، 90، 92، 96، 104، 105، 109، 110، 113، 114، 123، 124، 125
المغرب الأقصى	31، 43، 48، 102، 106، 107، 108، 121، 123
المغرب الأوسط	59
مليانة	13، 37، 44، 93
ميلة	54، 102، 104
الميلية	51، 81، 104
مينة (واد)	37، 38، 54، 59، 108، 110
-هـ-	
الهايج (واد)	126
-و-	
واد زناتي	49، 72
واد سوف	25، 39، 89، 100
الواسعة	48

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وجدة	43، 44، 121
ورقلة	25، 33، 39
الونشريس (جبال)	35
ونوغة	39، 44
وهران	18، 37، 38، 42، 43، 55، 59، 69، 94، 96، 108، 110، 111، 112، 117، 124، 125، 126
-ي-	
يسر (واد)	38، 39

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثالثا: فهرس القبائل والجماعات والهيئات

القبائل والجماعات والهيئات	الصفحة
-أ-	
أحساسنة	50
أم نائل	36، 38، 45
أولا سيدي عبد الله	36
أولاد إبراهيم	38، 53
أولاد أحمد	51، 56
أولاد أورلال	89
أولاد الحايف	49
أولاد الصحاري (قبيلة مخزنية)	37، 38
أولاد العمراوي	38
أولاد الميمون	44
أولاد بالغ	44
أولاد بلعون (قبيلة)	33
أولاد بلهوشات	49
أولاد بوعايش	62
أولاد بوعفان	49
أولاد بوقرارة	58
أولاد تبيب	50
أولاد جبارة	51
أولاد حسن	78
أولاد حمزة	51

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولاد خلوف	56، 78
أولاد خويدم	58
أولاد داود	50
أولاد دراج	89
أولاد دردور	57
أولاد رحاب	62
أولاد روينة	56
أولاد زاير	57
أولاد زايم	49
أولاد زرارة	49
أولاد زرفة	58
أولاد زناتي (قبيلة مخزنية)	41
أولاد ساسي	51
أولاد سحنون	42
أولاد سعيد	100،89،88،87،65،57
أولاد سلام	53
أولاد سلامة	56
أولاد سلطان (قبيلة مخزنية)	42، 50، 52، 53
أولاد سليمان	51، 63
أولاد سنوني	56
أولاد سولاد	50
أولاد سيدي بالليل	108،107
أولاد سيدي بوزيد	56
أولاد شايب	94

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولاد شايب (قبيلة)	36
أولاد شباح	55
أولاد شريف	55
أولاد صابر	76،57
أولاد صولة	53
أولاد ضياء	95،94
أولاد عامر (قبيلة مخزنية)	43
أولاد عبد النور	49 ،41
أولاد عبد النور	104،99،98،88،73،65
أولاد عريفة	62
أولاد عطية (قبيلة مخزنية)	49، 51، 65
أولاد عفيف	56
أولاد علي بونوبة	49
أولاد عمر بن فاضل	50، 87
أولاد عنتر (قبيلة)	36
أولاد عياد (قبيلة)	35
أولاد غومريان	50
أولاد فاضل (قبيلة مخزنية)	49، 50
أولاد فلاح	49
أولاد قايم	50
أولاد قوام	50
أولاد مختار	95،94،82
أولاد مختار (قبيلة)	36، 45، 47
أولاد مخنشة	49

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولاد مسعود	49
أولاد معاوية	49
أولاد مقران (أسرة)	25، 54، 88، 89، 115
أولاد منسار	50
أولاد منصور	50
أولاد نصور	50
أولاد هلال (قبيلة)	36
أولاد يحيى	51
أولاد يسر	38
أولاد يعقوب	65
أونازرة	55
الأتراك (طائفة)	32، 34، 35، 36، 39، 68، 85، 107، 108، 121، 123
الأرباع	65،95،113
الإسبان	39، 43، 54، 59، 60، 90، 112، 117، 121، 124، 125
الأعشاش	50، 87، 100، 104
الأمحال	59
الإنكشارية	5، 9، 10، 35، 85، 92، 105
الأوجاق	4، 7، 9، 11، 21، 32، 38
الأوراس (القبائل)	25
اولاد نايل	89،93،94
ب	
الباب العالي	3،4
البرجية (قبيلة مخزنية)	44، 55، 58، 60، 63، 109-113
براسة	49

برجية الجبايلية	56
برجية السيرات	56
بن عامر	43، 59، 110، 111
بن غدو	58
بن وجانة	88
بن ياهي	56
بني بشير	49
بني جلاب(أسرة)	25،86،88،89
بني حسن	56
بني خيمس	57
بني راشد (قبيلة مخزنية)	43، 62
بني شقران	57، 58، 60، 110
بني عيدون	104
بني فودة (قبيلة مخزنية)	59
بني قشة	50
بني مايدة	56
بني مراد(قبيلة مخزنية)	37
بني مروان	57
بني مسلم	104
بني مطهر	122
بني مهنا	49
بني هارون	51
بني وعزان	43
بني يزناسن	112، 121، 123

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بني يفرن (قبيلة مخزنية)	50
بو حلوان(قبيلة مخزنية)	37،38
بو صلاح(قبيلة مخزنية)	37،53
بو عياش(قبيلة)	36
بوحجار	55
بوعكاز الدواودة	25،33،78،100،115
بوعمور	55
بويعقوب (قبيلة مخزنية)	45
-ت-	
التيجانية	106، 113
-ج-	
الجعافرة (قبيلة مخزنية)	44
-ح-	
الحاج بغدادي (زمالة)	37
الحراكتة	42، 48، 50، 54، 63، 87، 99
الحرشاوة (قبيلة مخزنية)	37
الحشم (قبيلة مخزنية)	44، 57، 58، 60، 110، 111، 113، 114
الحضنة	88
الحفصيين	24، 33، 53، 79
الحنانشة	25، 41، 53، 69، 81، 86، 87، 88، 90، 115، 116
حار ملية	51
حسن بن علي	45، 61
حميان (قبيلة مخزنية)	44

-خ-	
الخشنة (قبيلة مخزنية)	36، 38، 39
خزارة	51
-د-	
ابن دايخة (قبيلة مخزنية)	50
الدرقاويين	107، 108، 111، 112
الدواودة	86
الدوابر (قبيلة مخزنية)	38، 39، 43، 45، 51، 53-56، 58، 59، 60-64، 94، 111، 121، 126
دار السلطان	10، 16، 18، 20، 25
ديوان	3-7، 14، 16، 46
-ر-	
الرحمانية (طريقة)	26
ريغة	45، 53، 89، 99، 104
-ز-	
الزردازة	87
الزمالة (قبيلة مخزنية)	39، 43، 44، 54-57
الزمول (قبيلة مخزنية)	39، 42، 49، 51، 62، 63، 78، 87، 104
الزناتية (قبيلة مخزنية)	37، 38، 78
الزناكرة	94
الزهالدية	57
الزواتنة (قبيلة مخزنية)	37، 53
الزواغة (قبيلة مخزنية)	51
الزواوة (قبيلة)	33

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الزيانيين	79، 121
	-س-
السراوية	37، 49، 53، 78
السقنية (قبيلة مخزنية)	42، 78، 87-89
بن سديرة (قبيلة)	50
سباو (قبائل)	45
سجرارة	56، 58، 60
سدراتة	49، 89
سمندو (مدينة مخزنية)	51
سوحالية	51
	-ش-
الشراقة	58، 60، 90
شوبريج	58
الشعابنة	65
	-ص-
الصحاري(مخزن)	56،76،81
	-ع-
العبيد (قبيلة مخزنية)	38، 45،63
العثامنية (قبيلة مخزنية)	37، 49
العريب (قبيلة مخزنية)	37، 38، 62، 76، 93
عامر الشراقة	71
عبيد الشراقة (قبيلة مخزنية)	49 ،56
عزارة (قبيلة مخزنية)	37
عكرمة الشراقة	56

عكرمة الغرابة	56
عمار الشراقة (قبيلة مخزنية)	41، 50
عمار لغرابة (قبيلة مخزنية)	42، 51
عمراوة (قبيلة)	36
عمور السراوية	50
عوامري	45
-غ-	
الغرابة (قبيلة مخزنية)	43، 44، 54، 55، 58، 60، 90، 109
-ف-	
الفرنسيون	27، 34، 100، 102،103
فرحات (عائلة)	35
فليتة	43، 59، 87
-ق-	
ابن قانة	25
القدادرة	56
القرازلة (قبيلة مخزنية)	49
القرفة (قبيلة مخزنية)	49، 51، 57
قردوسة	56
قلال	51
-ك-	
الكراغلة	22، 39، 48، 49، 69
-م-	
المراريج	50
المرينيون	121

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المغاربة	39، 60، 120، 121، 123
الموحدون	33، 79
مجانة	89، 99
مجاهر (قبيلة مخزنية)	43، 44، 110، 111
مزاية (قبيلة)	93
مشماش	51
موية	51
ميلة (قبيلة مخزنية)	39
-ن-	
النمامشة	42، 81، 88، 89، 99
-هـ-	
هاشم (قبيلة)	36، 37، 55
هوارة	45
-و-	
وزرة (قبيلة)	45
-ي-	
اليعقوبية (قبيلة مخزنية)	43، 44، 65
اليهود (طائفة)	69
ابن يحيى (قبيلة مخزنية)	37
يحيى بن طالب	41، 42، 81، 89
يسر (قبائل)	45

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رابعا: قائمة المصادر والمراجع

أولا: قائمة المصادر باللغة العربية

1-الوثائق غير المنشورة

1. الرسالة رقم 14 من المجموعة 1642.
2. الرسالة رقم 15 من المجموعة 1642.
3. الرسالة رقم 18 من المجموعة 1642.
4. الرسالة رقم 19 من المجموعة 1642.
5. الرسالة رقم 26 من المجموعة 1642.
6. الرسالة رقم 30 من المجموعة 1642.
7. الرسالة رقم 7 من المجموعة 3204.
8. الرسالة رقم 35 من المجموعة 3206.
9. الرسالة رقم 37 من المجموعة 3206.
10. الرسالة رقم 38 من المجموعة 3206.
11. الرسالة رقم 52 من المجموعة 3206.

2-المصادر المطبوعة

12. ابن التهامي (الحاج مصطفى)، ***سيرة الأمير عبد القادر وجهاده***، تحقيق: يحيى بوعزيز، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995.
13. ابن خلدون (عبد الرحمن)، ***كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر***، مج.6، ط.3، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت، 1983.
14. خوجة (حمدان بن عثمان)، ***المرآة***، تقديم وتعريب وتحقيق: محمد العربي الزبيري، ط.2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
15. ابن أبي دينار (أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم)، ***المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس***، تحقيق: محمد الشمام، د.ط، المكتبة العتيقة، تونس، 1980.

16. الراشدي (أحمد بن محمد بن سحنون)، ***الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني***، تحقيق وتقديم: المهدي بوعبدلي، د.ط، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1973.

17. الزهار (أحمد الشريف)، ***مذكرات***، تحقيق: أحمد توفيق المدني، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.

18. الزياني (محمد بن يوسف)، ***دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران***، تقديم وتحقيق: مهدي البوعبدلي، د.ط، الشركة الوطنية للطباعة والتوزيع، الجزائر، 1978.

19. ابن أبي الضياف (أحمد)، ***إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان***، ج.2، د.ط، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1963.

20. ابن عبد القادر (مسلم)، ***أنيس الغريب والمسافر***، تحقيق: رابح بونار، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (1394هـ-1974م).

21. العنتري (محمد صالح)، ***فريدة مؤنسة حال دخول الأتراك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها***، مراجعة وتقديم وتعليق: يحي بوعزيز، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

22. العنتري (محمد صالح)، ***مجاعات قسنطينة***، تحقيق: رابح بونار، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (1394هـ-1974م).

23. عودة المزاري (إسماعيل)، ***طلوع سعد السعود في أخبار وهران وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر***، تحقيق: يحي بوعزيز، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.

24. ابن المبارك بن العطار (أحمد)، ***تاريخ قسنطينة***، تحقيق: رابح بونار، د.ط، د.م، د.ت.

25. ابن ميمون الجزائري (محمد)، ***التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية***، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم، ط.1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972.

26. الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد)، ***الاستقصا لأخبار دورة المغرب الأقصى***، تحقيق وتعليق: جعفر ومحمد الناصري، ج.8، د.ط، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954.

27. ابن هطال (أحمد التلمساني)، *رحلة محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي الجزائري*، تحقيق وتقديم: محمد بن عبد الكريم، ط.1، عالم الكتب، القاهرة، 1969.

3-المراجع

28. الزبيري (محمد العربي)، *التجارة الخارجية بالشرق الجزائري*، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973.

29. السليماني (أحمد)، *النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني*، د.ط، مطبعة دحلب، الجزائر.

30. العربي (إسماعيل)، *العلاقات الدبلوماسية الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر*، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

31. المدني (أحمد توفيق)، *محمد عثمان باشا*، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

32. الميلي (محمد بن مبارك)، *تاريخ الجزائر القديم*، ج.3، د.ط، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964.

33. بلحميسي (مولاي)، *الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني*، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1997.

34. خنوف (علي)، *السلطة في الأرياف الشمالية لبايلك الشرق الجزائري*، د.ط، الميزان للطباعة والنشر، مطبعة العناصر، الجزائر، د.ت.

35. سعيدوني (ناصر الدين)، *ورقات جزائرية -دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني-*، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.

36. سعيدوني (ناصر الدين)، *النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792-1830)*، ط.2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

37. سعيدوني (ناصر الدين)، *دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية*، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001.

38. سعيدوني (ناصر الدين)، ***دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر***، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.

39. ابن عبد القادر الجزائري (محمد)، ***تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر***، شرح وتعليق: ممدوح حقي، ط.2، دار اليقظة العربية للتأليف، بيروت، 1964.

40. عبد الوهاب (حسن حسني)، ***خلاصة تاريخ تونس***، ط.3، دار الكتب العربية الشرقية، تونس، 1373هـ.

41. علي رضا (أفندي)، ***وصف رحلة من الجزائر إلى قسنطينة عبر الجبال عام 1832***، تعريب وتقديم: عميراوي احميدة، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2000.

42. عميراوي (احميدة)، ***أدبيات الرحلة والأسر -مذكرات تدنة أنموذجا-***، ط.1، دار الهدى، قسنطينة، 2002.

43. عميراوي (احميدة)، ***دراسات في تاريخ الجزائر الحديث***، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 1999.

44. عميراوي (احميدة)، ***علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي***، ط.1، دار البعث، قسنطينة.

45. عميراوي (احميدة)، ***محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث***، ط.1، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 1999.

46. عميراوي (احميدة)، ***من الملتقيات التاريخية الجزائرية***، ط.1، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 2000.

47. مجموعة من المؤلفين، ***مبايعة الأمير عبد القادر***، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، قسنطينة، 2004.

48. محمد المختار (اسكندر)، ***المدية بين القديم والحديث***، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، مديرية الدراسات التاريخية وإحياء التراث، د.ت.

49. ملحم (حسين)، *النظرية العامة للدولة*، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977.

50. منصور (عبد الوهاب)، *قبائل المغرب*، ج.1، د.ط، المطبعة الملكية، الرباط، (1388هـ-1968م).

4-المصادر والمراجع باللغة الفرنسية

51. Bochard (A), ***Impôt Arabe en Algérie***, Paris, 1892.

52. Boudicourt (L), ***La guerre et le gouvernement de l'Algérie***, Sagnier Bary, Paris, 1853.

53. Boyer (B), ***L'évolution de l'Algérie Médiane***, adrien maisonneuve ancien département d'Alger, Paris, 1960.

54. De Grammont, ***Histoire d'Alger sous la domination Turque***, Paris, 1887.

55. De Paradis (Venture), ***Alger au XVIII^{emé} siècles*** ; Alger, Jourdan, 1898.

56. Devoulx, ***Tachrifat***, Alger, 1852.

57. Dr Shaw (T), ***Voyage dans la régence d'Alger***, 2^{e} ed, Bouslama, Tunis, 1980.

58. Esterhazy (W), ***Domination Turques dans l'ancienne régence d'Alger***, Librairie, de charles Gosselin, Paris, 1840.

59. Esterhazy (W), ***Notice Histotique sur le Maghzen d'Oran***, Oran, 1849.

60. Féraud (Ch), ***Le sahra de Constantine Note et souvenirs***, Jourdan, Alger, 1887.

61. Gaid (M), ***Chronique des Bey de Constantine***, Office des publications Universitaire, Alger, S.D.

62. Gaid (M), ***L'Algérie sou les Turcs***, Société nationale d'édition et division, Alger, Tunis, ***1974.***

63. Kaddache (M), ***L'Algérie durant la péroide Ottomane***.

64. Léon Fey (H) : ***Histoire d'Oran pendant et après la domination Espagnole***, Oran, Typographie, Addolphe, Perier, 1858.

65. Mercier (E), ***Histoire de Constantine***, Marle et Biron Imprimeurs et éditeurs, Constantine, 1903.

66. Mercier (E), ***l'Algérie en 1880***, Paris, 1980.

67. Nouschi (A), *Enquêter sur le niveau de vis des population rurales Constantinoises de la conquête jusqu'à 1919*, Paris, 1961.

68. Péchot (L), *L'Afrique du Nord Avant 1830*, T.2, Alger, 1914.

69. Pouyanne (M), Propriété foncière en Algérie, Alger, Jourdan, 1900.

70. Rinn (L), *Le royaume d'Algérie sous le dernier Dey*, Jourdan, Alger, 1900.

71. Robe (M), *L'impôt en Algérie*, Typographie, bastide, Alger, 1871.

72. Temimi (A), *Le Beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bey (1830-1837)*, Publication de la révue d'histoire Maghribine, V.1.

73. Warnier et Carette, *Description et division de l'Algérie*, Hachette et Cie Librairie de l'université Royale de France, 1847.

5-الرسائل الجامعية

74. القشاعي (فلة)، *النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني*، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة قسنطينة، 1980.

75. الواليش (فتيحة)، *الحياة الحضرية في بايلك الغرب خلال القرن الثامن عشر*، رسالة

76. حماش إبراهيم (خليفة)، *العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي (1798-1830)*، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الإسكندرية، مصر، 1988.

77. فركوس (صالح)، *بايلك الغرب الجزائري في عهد محمد الكبير (1779-1796)*، دبلوم دراسات معمقة، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، 1979.

ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر.

78. معاشي (جميلة)، *الأسر المحلية الحاكمة ببايلك الشرق*، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1998.

6-الدوريات باللغة العربية

79. بوعزيز (يحي)، "الحياة الاقتصادية والاجتماعية للريف بالشرق الجزائري خلال القـــرن التاسع عشر"، ***مجلة الثقافة***، ع.80، رجب 1404هـ/1984م.

80. سعد الله (أبو القاسم)، "بين باشوات الجزائر وعلماء عنابة"، ***مجـــلة الثقافـــة***، ع.51، جوان1979.

81. سعيدوني (ناصر الدين)، "دور قبائل المخزن في تدعيم الحكم التركي في الجزائر"، ***مجلـــة الأصالة***، ع.32، 1976.

82. سعيدوني (ناصر الدين)، "وضعية عشائر المخزن الاجتماعية والآثار التي ترتبت عليـــها، ***المجلة التاريخية المغربية***، ع.7، 1977.

7-الدوريات باللغة الفرنسية

83. Berbrugger (A), « Note relative à la révolte de Bensakhri », ***In R.A***, 1866.

84. Berbrugger (A), «Epoque de l'établissement des Turcs à Constantine », ***In R.A***, 1856-1857.

85. Emerit (M), « Les aventure de thedenat », ***in R.A***,1948.

86. Federmann (H), « Notice sur l'histoire et l'administration du Beylik du Titteri », ***In R.A***, 1865.

87. Féraud (Ch), « Ain Beida, province de Constantine », ***In R.A***, 1872.

88. Féraud (Ch), « Epoque de l'établissement des Turcs à Constantine », ***In R.A***, 1866.

89. Féraud (Ch), « Les anciens établissements religieux Musulmans », ***in R.A***, 1886.

90. Féraud (Ch), « Les hrar, Seigneurs des Hanencha », ***In R.A***, 1874.

91. Féraud (Ch), «Notice historique sur les Ouled Abdennour », ***InR.A***, 1864.

92. Filali (K), « Le Don (Epine Dorsale du système Ottoman), ***Annales***, V.V, Constantine, 2002.

93. Gorguoss (M), « Expédition de Mohammed El Kebir », ***InR.A***, 1858-1859, 1859-1860.

94. Masqueray (E), «Djebel Chechar », ***In R.A***, 1878.

95. Urbain (I), «Notice sur l'ancienne province de titteri », ***In R.A***, 1843.*

96. Vayssette (E), « Histoire des derniers Beys de Constantine », ***In R.A***, 1858.

8-القواميس والموسوعات

97. كليكان ديران، ***قاموس تركي فرنسي***، مطبعة مهران، استانبول، (1329هـ-1911م).

98. مجموعة من المؤلفين، ***الموسوعة العالمية العربية***، ج.2، ط.2، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، 1999.

99. ابن منظور (أبو الفضل)، ***لسان العرب***، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، ج.6، د.ط، دار المعارف، بيروت، د.ت.

100. ابن منظور (أبو الفضل)، ***لسان العرب المحيط***، تقديم الشيخ: عبد الله العلايلي، مج.2، ج. د.ط، دار لسان العرب، دار الجيل، بيروت، د.ت.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خامسا: فهرس الموضوعات

المقدمة ..... أ

الفصل الأول: نظام الحكم في الجزائر في العهد العثماني

أولا: نظام الحكم العثماني في المدينة 3

1-هيكل الحكم 3

2-التقسيم الإداري 15

ثانيا: نظام الحكم في الريف 19

1-هيكل الحكم العثماني 20

2-نظام الحكم غير العثماني بالريف 23

الفصل الثاني: المخزنية ومجال النفوذ

أولا: مفهوم المخزنية وجذورها التاريخية 29

1-مفهوم المخزنية 29

2-جذورها التاريخية 32

3-سبب اعتمادها كقوة 34

ثانيا: مجال نفوذها 36

1-مواقع تمركزها 36

2-أهم القبائل المخزنية بالبايلكات الثلاثة 39

2-1-لمحة عامة عن البايلكات 39

2-1-1-بايلك الشرق 39

2-1-2-بايلك الغرب 42

2-1-3-بايلك التيطري 44

2-2-قبائل المخزن بها 47

2-2-1-بايلك الشرق 47

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2-2-2-بايلك الغرب 54
2-2-3-بايلك التيطري 61
3-امتيازاتها 63
3-1-الامتيازات المادية 63
3-2-الامتيازات المعنوية 66

الفصل الثالث: قبائل المخزن وعلاقتها بالواقع الاجتماعي للريف الجزائري

أولا: المخزني والأرض 68
1-أنواع الأرض 68
2-دور المخزني في خدمة الأرض 74
ثانيا: دور المخزني في جباية الضرائب 79
1-نظرة عامة حول الضرائب في الجزائر خلال العهد العثماني 79
2-مشاركتها في الحملات العسكرية التأديبية 85
2-1-بايلك الشرق 86
2-2-بايلك الغرب 90
2-3-بايلك التيطري 93
3-أثر جباية الضرائب على الرعية وردود فعلها 95
ثالثا: دورها (المخزنية في إقرار الأمن بالإيالة) 101
1-مشاركتها في إخماد الثورات المحلية 101
1-1-ثورة عبد الله محمد بن الأحرش 101
1-2-ثورة عبد القادر بن الشريف الدرقاوي 107
1-3-الثورة التيجانية 113
1-4-ثورة أحمد بن الصخري 115
2-دورها في صد الهجومات الخارجية 117
2-1-مساعدتها للنظام في مواجهة بايات تونس 118

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2-2-دورها في صد غارات المغاربة وهجومات الإسبان 121
2-2-1-صدها لهجومات المغاربة 121
2-2-2-صدها لهجومات الإسبان 124
الخاتمة 127
الملاحق 133

الفهارس

أولا: فهرس الأعلام 151
ثانيا: فهرس الأماكن 158
ثالثا: فهرس القبائل والجماعات والهيئات 165
رابعا: فهرس المصادر والمراجع 175
خامسا: فهرس الموضوعات 183

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2-2-دورها في صد غارات المغاربة وهجومات الإسبان 121
2-2-1-صدها لهجومات المغاربة 121
2-2-2-صدها لهجومات الإسبان 124
الخاتمة 127
الملاحق 133

الفهارس

أولا: فهرس الأعلام 151
ثانيا: فهرس الأماكن 158
ثالثا: فهرس القبائل والجماعات والهيئات 165
رابعا: فهرس المصادر والمراجع 175
خامسا: فهرس الموضوعات 183

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية